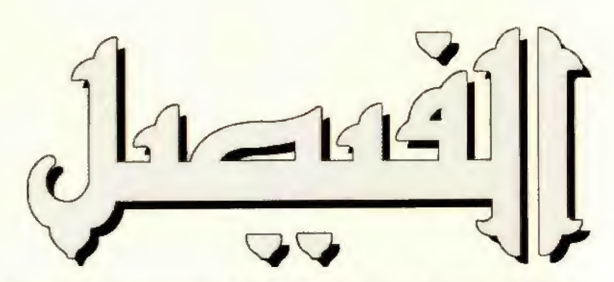
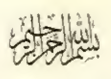


مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٤١ - ذو القعدة ١٤٢٥هـ - ديسمبر ٢٠٠٤م/ يناير ٢٠٠٥م

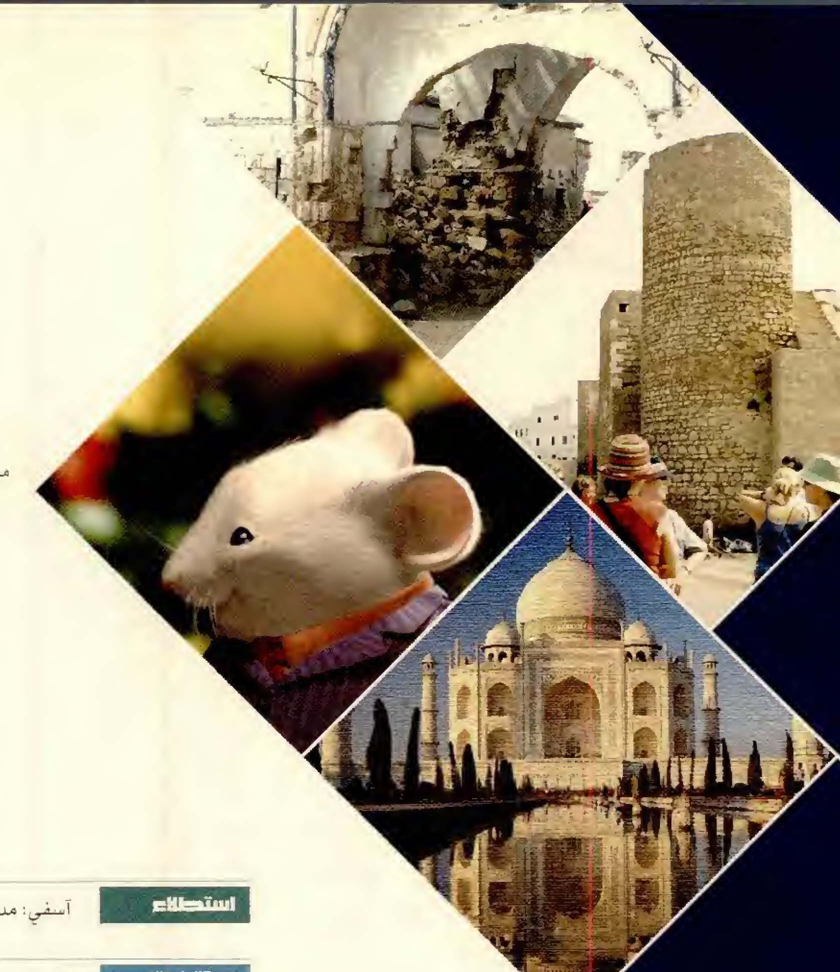
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 341 - Dec. 2004 Jan.2005

- ثروة المستقبل ولغة العالم: الذكاء
- من مظاهر عناية الإسلام بالبيئة
- سواكن: نافذة أطلت على البحر الأحمر





مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٤١ - ذو القعدة ١٤٢٥هـ - ديسمبر٢٠٠٤م/ يناير٢٠٠٥م
ALFAISAL MAGAZINE - No.341 - Dec.2004 / Jan.2005



استطلاع	آسفي: مدينة تحتفظ بسرها التاريخي والحضاري	محمد القاضي	٦
مستقبليات	الذكاء: ثروة المستقبل ولغة العالم	حمدي محمد الجمل	١٨
بيئة	من مظاهر عناية الإسلام بالبيئة	صالح بن علي أبو عرّاد	٢٨
تاريخ	ضحايا الإرهاب الأحمر	عائدة قاسموفا بنت شاهلار	٤٤
تحقيق	سواكن: نافذة أطلت على البحر الأحمر	عبدالله جعفر السيد	٦٤
قصائد	ما نسيته جدتي من حكاية بنت النعمان	إبراهيم أحمد الوافي	٧٨
	إلى ابن المقرب في مهرجانه	محمد الجلواح	٨٠
قصص قصيرة	الكلب الآلي	ترجمة: محمد مجد الدين باكير	٨٢
	الأم الغائبة	علي صالح طمبل	٨٦
رحلة في كتاب	الصين: عمق الحضارة وخصوصيتها	نايف الظيط	٨٨
حوار	الجغرافي المجري يوناش كوباشيك: لاموازنة بين جرمانوس وكولومبس	أجراه: عبدالله الكويليت - حسين حسن حسين	١٠٢
المسابقة			١٢١
الملف الثقافي			١٢٣
خاتمة المطاف	مقتطفات من الفكر التربوي عند إخوان الصفا	نجيب الجباري	١٤٢

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.

  الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

  يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

  يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

  التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

  تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.

  ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات . الكويت ٨٠٠ فلس . الإمارات ١٠ دراهم . قطر ١٠ ريالات . البحرين دينار واحد . عُمان ريال واحد . الأردن ٧٥٠ فلس . اليمن ١٠٠ ريال . مصر ٤جنيهات . السودان ١٥٠ ديناراً . المغرب ١٠ دراهم . تونس ٢٥٠ . ١دينار . الجزائر ٨٠ ديناراً . العراق ٨٠٠ فلس . سورية ٤٥ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنك . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد .

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٢٣٩١٠٩٥ . فاكس ٢٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢ .،، سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨. فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١. ٠٠٩٦٣، تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٣نهج المغرب . ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ . ٧١ . ٠٠٢١٦، قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٠٠٩٧٤، الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦. ٠٠٩٦٢، البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٣١٢٨١ . ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٠٠٩٧١، الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٠٠٩٦٥، المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٢١/٢٢ . ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ . ٣ . ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







الذكاء: ثروة المستقبل ولغة العالم

مع أن الذكاء الصناعي يستهدف استثمار الذكاء البشري، إلا أن الباحثين غالبًا ما يجدون أنفسهم أمام موازنة بين الذكاءين. وقد طفق الإنسان في هذا العصر يبث الذكاء في الحاسب حتى انطلقت بسرعة متنامية إلى حد أن أصبحنا نتساءل: إلى أي حد يمكننا التحكم في الذكاء الاصطناعي إذا ما خرجت معدلات نموه عن السيطرة؟

وفي كل الأحوال يبقى الذكاء مطلبًا لاستشراف آفاق المستقبل، ولغة تحتاج إليه كل دولة في هذا العالم تروم التقدم.

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ .

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ . ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢

ردمد ١١٤٠ . ٠٢٥٨



عتاب محب

أنا أحد قراء مجلتكم الغالية، ومتابع لها باستمرار، منذ عودتها إلى الأسواق اليمنية.. وكنت قد أرسلت لكم برسائل سابقة تكرمتم بالرد عليها، وهذا ما دفعني الآن إلى كتابة هذه السطور آملاً الإجابة عن استفساراتي كما عودتمونا دائمًا.

- بالنسبة إلى مسابقة الفيصل الثقافية.. مكتوب أسفل الورقة ما نصه:

- «ونأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني، لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية».

- السؤال هو: أين نكتب أسماءنا بالإنجليزية، وهويتنا «البطاقة» مكتوبة باللغة العربية فقط؛ نرجو توضيح هذا الأمر؟

- السؤال الثاني: لماذا لا تكون أسئلة المسابقة كما كانت سابقًا أسئلة من أعداد سابقة للمجلة؟

- لماذا غياب الكثير من الأبواب الثابتة كالاستراحة، بينما يطالب بها الكثير من القراء، فلماذا لا تعاد الأبواب التي تنال إعجاب القراء.. أليس أنتم تبحثون عمّا يرضي قرّاءكم؟! وأين هي الموسوعة؟ هل التجديد فقط في طباعة المجلة، وشكلها العام الذي أصبح أكثر جاذبية (الآن)؟

كما أن المجلة تتأخر في الوصول إلى اليمن وإلى هذه المدينة (تعز)، وعند ذهابنا إلى الموزع يرد علينا بأن التأخير هو من عندكم؟ فهل ما يقوله هذا الموزع صحيح؟

- لماذا لم تفتحوا لكم موقعًا في شبكة المعلومات العالمية «الإنترنت»، وأين بريدكم الإليكتروني؟

- أين هي مجلة الفيصل العلمية؟ نقرأ إعلانات فقط، ولا نرى المجلة؟

- أين هي إصدارات مركز الملك فيصل، فهي غير متوافرة هنا في اليمن؟

تقبلوا ختامًا خالص تحياتي وشكري وتقديري لكم..

وأرجو لكم المزيد من النجاح والازدهار، وأرجو أن تقبلوا كلامي هذا كعتاب المحب الذي يتمنى لحبيبه كل خير وتفوق وإلى الأمام..

فالعتاب صابون القلوب.. هذا والله الهادي إلى الصواب.

معاذ بن محمد القريضي

اليمن - تعز - ص.ب (٢٣٥١) بريد المصلى

التحرير:

نشكر لك استفساراتك وأسئلتك التي تدل على حرصك على تطور المجلة، وهذا ما نأمله من جميع الإخوة القراء، فنحن مستعدون لنشر كل ما يرد إلينا من أسئلة وملاحظات في هذا الباب مهما اتفقنا أو اختلفنا مع ما هو مطروح.

بالنسبة إلى كتابة الاسم بالحرف اللاتيني، فإن هذا المطلب مرده أن هناك من لا تتوافق تهجية الاسم الذي نكتبه باللاتيني مع ما هو مكتوب في الأوراق الثبوتية، مما يجعله يعيد إلينا الشيك لتصحيح الاسم.

والاسم باللاتيني يكتب في الخانة الخاصة به لأن القارئ عادة يكتب اسمه باللغة العربية على مغلف الخطاب، أو في الرسالة التي يرفقها غالبًا مع كوبون المسابقة.

واختيار أسئلة من خارج ما ينشر في المجلة من مقالات لتشجيع القارئ على البحث عن المعلومة في مظانها.

أما الأبواب التي تم إلغاؤها فإن هذا جاء بعد دراسة مستفيضة، والآن تدفعنا كتابات بعض الإخوة القراء إلى إعادة التقويم لنقرر ما يمكن إبقاؤه أو إلغاؤه.

وتأخر وصول المجلة قد يكون بسبب تأخر صدورها عن موعدها، كما قد يكون بسبب التوزيع.

ونفيدك أننا نعمل على إطلاق موقع للمجلة على الإنترنت، وسيتضمن كل العناوين الخاصة بها بما في ذلك البريد الإلكتروني. علمًا بأن هناك موقعًا خاصًا لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وعنوانه: (Website: www. Kfcris.com - Email: Sjameel@kff.com)، ويمكن الحصول على إصدارات الفيصل عن طريق الكتابة إلى (قسم التسويق بالمركز) على العنوان الآتي: (الرياض ١١٥٤٣ - ص.ب ٥١٠٤٩). وختامًا نأمل أن تكون ردودنا مقنعة، وآملين استمرار تعاونك ومتابعتك للمجلة.

اختطاف

أشيد بما تحويه مجلتكم الغراء من موضوعات تستحق كل الثناء

والتقدير، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى اهتمامكم بما يجذب القارئ لمجلتكم لما تحتويه من معارف شتى، لتتير العقول بالمعلومات الثقافية التي نحن بأمس الحاجة إليها.

وأعلمكم بأن زملائي بالمدرسة يختطفون مني العدد قبل اطّلاعي عليه، ولا أحصل عليه إلا بعد عدة أيام، فتقبلوا منا وافر التحية والتقدير.

محمد عبدالكريم الحيدرية

سورية - ص.ب ١٩١١٥

التحرير:

نشكر لك ولزملائك ثقتكم بمجلتكم «الفيصل»، ونتمنى دائمًا تلقي ملاحظاتكم وآرائكم، وهي -لا شك- ستكون مفيدة لنا، لأنكم تمثلون شريحة من المجتمع تهم المجلة أن ترضي رغباتها.

مجلة الأسرة العربية

يسرني أن أكتب إليكم هذه الرسالة التي يسوقها الشوق، ويدفعها، الحنان داعيًا المولى جل في علاه أن يكتب لكم دوام التوفيق والنجاح في أداء رسالتكم الصحفية عبر هذه المجلة القيمة، فأنا من عشاق مجلة الفيصل، وأحرص على اقتناء عددين منها شهريًا: فهي مجلة الأسرة العربية، وهي النور الساطع لقرائها. وقد كتبت إليكم هذه الرسالة لأعرب لكم عن شعوري، وما أكنّ لها من حب وتقدير في أعماق قلبي، ولأبدي لكم مدى إعجابي بهذه المجلة التي لا يستغني عنها أحد. ومن المعلوم أن «الحكمة ضالة المؤمن» فأنا أعد المجلة ضالتي المنشودة، ولا تقدر مدى استفادتي من هذه المجلة. فأسأل الله عز وجل أن يكتب لمجلتنا دوام التوفيق والنجاح والتقدم دائمًا إلى الأمام. ولا يفوتني أن أبعث بأطيب تحياتي القلبية إلى جميع العاملين والقائمين على إخراج هذه المجلة بصورتها المقبولة لدى جميع قرائها في جميع أنحاء العالم، سائلاً الله أن يتقبل منهم هذا الجهد المبذول، والسعي المشكور.

محمد مختار محمد رضوان

شبراخيت - محافظة البحيرة - مصر

التحرير:

نشكر لك هذه المشاعر الفياضة، وتحية لجميع قرائنا الذين يعبرون عن إعجابهم، وليتنا نتلقى من الملاحظات ما يفيد في تطوير المجلة حتى تصبح مادة وإخراجًا على المستوى الذي يليق بقرائها الأفاضل.

ردود سريعة

الأخت ضحى الإسلام الأحمد - حلب - سورية:

التحية لك ولزميلاتك في معهد العلوم الشرعية بحلب. كان بودنا تلبية طلبكم بتزويدكم شهريًا بعدد من المجلة، ولكنّ الطلبات الكثيرة المماثلة التي تصل إلينا تجعلنا عاجزين عن تلبيتها.

الأخ يوسف عبدالكريم عبدالجليل - شبراخيت - البحيرة - مصر:

كما كررنا من قبل، فإن اختيار الفائزين يكون عن طريق القرعة، لأن أي طريقة أخرى قد تفقد المتسابقين تساوي الفرص.

ونشكر لك إضافاتك على موضوع «متحف رشيد»، ولكنها تبدو مقتضبة: وليتك توسعت في المقالة نفسها حتى تأتي على النحو المأمول. داعين الله لك بالتوفيق ومواصلة طريق الكفاح، والعمل الجاد من أجل بلوغ غاياتك.

الأخت غزالة بنت عبدالوهاب الإبراهيم - حلب - سورية:

نشكر لك تهنئتك الرقيقة بعيد الفطر المبارك، وندعو الله أن يعيد عليكم مثل هذا العيد وأنت ترفلين بأثواب الصحة والعافية مع أسرتك.

وإصدارات المركز يمكنك الحصول عليها من خلال الاتصال بقسم التسويق والعنوان ستجدينه في هذا الباب.

الأخت مليلة بداوي - سيدي يحيى - المغرب:

نشكر لك اهتمامك ومتابعتك للمجلة، ونتمنى أن نكون عند حسن ظنك، ويسرنا كثيرًا تلقي مشاركاتك عن هموم المرأة العربية وقضاياها.

ومن الجميل أن تعبر فتاة مثلك عن تلك الهموم والقضايا: لأن ذلك سيأتي من واقع المعايشة الحقيقية، فمرحبًا بك صديقة للمجلة.



آسفي: مدينة تحتفظ بسرها التاريخي والحضاري

محمد القاضي

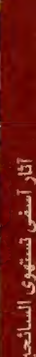
طنجة ـ المغرب

ارتبطت بالبحر ارتباطًا وثيقًا منذ القدم إلى اليوم. هذه المدينة الضاربة بمهمازها في جلد التاريخ. إنها العروس البيضاء المستلقية على ضفاف المحيط الأطلسي.

ما زالت تستحم في هدوء تحت أشعة الشمس الذهبية، هذا البحر بأمواجه الزبدية يداعبها في حركة مد وجزر سرمدية. وصفها لسان الدين بن الخطيب قائلاً: «رباط آسفي لطف خفي، ووعد وفي، ودين ظاهره مالكي، وباطنه حنفي الدماثة والجمال، والسذاجة والجلال، قليلة الأحزان، صابرة على الاختزان، وافية المكيال والميزان، رافعة للداء بصحة الهواء، بلد موصوف برفيع ثياب الصوف، وبه تربة الشيخ أبي محمد صالح، وهو خاتمة المراحل لمسورات ذلك الساحل، لكن ماءه قليل، وعزيز. لعادية من يواليه من الأعراب. ذليل»

معيار الاختيار

مدينة حيرّت الأركيولوجيين والمؤرخين بسرها التاريخي والحضاري الدفين. وفي كل مرة تطل من تحت أنقاض زمنها القديم بصمات ومعالم لحضارات عريقة كالفينيقية، والقرطاجية، وربما الفرعونية. انصهرت فيها أجناس بربرية وإفريقية وعربية وأوربية. وتعايشت فيها الديانات الثلاث: اليهودية، والنصرانية، والإسلامية. تقع



آثار آسفي تستهوي السائحين

بين مدينتي: الجديدة والصويرة، وتبعد عن مدينة الدار البيضاء بـ ٢٥٦ كلم، وعن مراكش بـ ١٩٩كلم.

تاريخ عريق واسم لفضاء محير

لا يعــرف تاريخ دقــيق لبناء المدينة، وكل المادة التاريخية المتوافرة من مرحلة ما قبل العهود الإسلامية تبقى مجرد افتراضات وتخمينات لا ترقى إلى مستوى الحقيقة العلمية. وقد أشار المؤرخ عبدالله الدكالي السلاوي إلى أن آسفي مذكورة في تاريخ تيسو الفرنسي الذي ترجم فيه الدرج اليوناني المشتمل على أسماء المدن التي أسسها الرحالة حانون القرطاجي على سواحل البحر الأبيض المتوسط، والمحيط الأطلسي من تونس إلى ماسة، وأن آسفي من مؤسسات حانون الذي ورد إلى المغرب بأسطوله الستيني في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد. وفي عام ١٩٦٢م، تم العثور على ساق تمثال بجرف اليهود يعود إلى حقبة الرومان، وهو ما يؤكد أن آسفي سبقت العهد القرطاجي، وأن حانون قد تزود منها في رحلته.

إلا أن المؤرخ الفرنسي بيرجي يذكر أن الطيريين أنشؤوا بآسفي وكالة تجارية في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وأسكنوا فيها اللاجئين الكنعانيين، الذين طردوا على يد الغزاة العبرانيين، وأطلقوا على هذه المدينة اسم أعظم لسيد مقدس لبلد كنعان، وهو آسفي!

وفي بعض الأخبار - حسب ما يذكره صاحب كتاب الروض المعطار - أن الشيطان نزغ بين بني حام وبني سام أو سوسان، فوقعت بينهم مناوشات وحروب كانت الدائرة فيها لسام وبنيه، وكان آخر أمر حام أن هرب إلى ناحية مصر، وتفرق بنوه، ومضى على وجهه يؤم المغرب، حتى انتهى إلى السوس الأقصى، إلى موضع يُعرف اليوم بآسفي!! وهو آخر مرسى تبلغه المراكب من عند الأندلس إلى ناحية القبلة، وليس بعده للمراكب مذهب.

أما الفقيه محمد بن أحمد العبدي الكانوني (توفي عام ١٩٣٨م) فيرجع اسم آسفي إلى الأصل البربري المأخوذ من قول البربر للضوء أسفو. والكسر الظاهر الآن يرجعه إلى تحريف الاستعمال، فمعنى ذلك أن سكان المغرب البربر قبل الإسلام، كانوا يشيدون المنارات على شواطئ البحر لهداية السفن البربرية في أثناء عودتها، كما كانوا يشعلون الأضواء في تلك المنارات: إعلامًا بالهجوم واستعدادًا له، ويمكن أن يكون البلد بهذه المنارات فسمي بها، كما عرفت آسفي رحلات تجارية بحرية منذ العهد البائد.

على الرغم من هذه الإحالات من المعلوم إلى المجهول في التسمية، فإن فضاءها الجغرافي ما زال حاضرًا في ثنائية المعقول، واللامعقول وكأنه حضور بالقوة، حيث ترسخه اللغة عنوة لتأكيد مزيته.

آسفي والفتح الإسلامي

ولما جاء الفتح الإسلامي لآسفي على يد الفاتح عقبة بن نافع الفهري سنة ٦٢هـ. وسار حتى بلغ البحر المحيط، فدخل فيه حتى بلغ الماء بطن فرسه، ثم رفع يده إلى السماء، وقال: « يارب لولا أن البحر منعني، لمضيت في البلاد إلى مسلك ذي القرنين مدافعًا عن دينك، مقاتلاً من كفر بك» ثم قال لأصحابه: «انصرفوا على بركة الله» فجلا الناس أمامه بكل ناحية هاربين. ويرى بعض المؤرخين أن سبب عمارة آسفي يرجع الفضل فيه إلى البحر، إلاّ أنها تعرضت بعد ذلك للتخريب على يد البرغواطيين وذلك في المئة الثالثة من الهجرة، واستمروا يفسدون عقائد السكان المجاورين في سواحل المحيط الأطلسي، وتضعضعت الأحوال الاقتصادية في البلاد، إلى أن ظهر المرابطون الذين جابهوا كل هذه الأخطار والمصاعب، فاسترجعوا آسفي، وعمروها شيئًا فشيئًا، وجعلوها مرسى مراكش.

ولما جاءت الدولة الموحدية، التفت إليها ملوكها وسوروها بسور واسع، وحسب اعتقاد الفقيه الكانوني في كتابه: «آسفي وما إليه قديمًا وحديثًا» هو الذي توجد آثاره بأطراف البلد يبتدئ جنوبًا من وسط تراب الصيني من زنقة القنيطرة ويمر شمال المستشفى الأهلي ثم يمر أمام رحى الريح الأثرية، وعليه أساس الجدار القبلي من فندق شركة باكيت، ثم أمامه القصبة

تبرز مدينة آسفي كإحدى أكثر المدن تلوثًا على المستوى الوطني لكونها أحد أهم المراكز الاقتصادية بالمغرب، حيث توجد الصناعات الكيماوية، وصناعة تصبير الأسماك، بالإضافة إلى صناعة الخزف



سوق قديم في المدينة



قصر البحر لايزال يقف شامخاً

العليا ثم الوسطى بياضة شمالاً من آسفي حتى يبلغ البحر في سمت قبة الولي سيدي أبيه من الشمال.

وفي عهد المرينيين اتسعت عمارة آسفي، ونضجت بها الحضارة، وشيدت بها المدرسة العلمية، والمارستان (المستشفى)، وغير ذلك من لوازم التمدن، وهذا ما دفع ابن خلدون إلى أن يطلق عليها في القرن الثامن الهجري: «حاضرة البحر المحيط»؛ مما يدل على أنها بلغت مبلغًا عظيمًا في اتساع العمارة، والتفوق في الحضارة.

الإنسان الآسفي جُبِل على الأخلاق الفاضلة، والقيم الشريفة، وهو محب للعمل، بسيط في عيشه، قنوع بحرفته وسمك محيطه، مشهور بتفننه في تهيىء أطباق السمك المختلفة والشهية على الصعيد الوطني

آسفي والاحتلال البرتغالي

عاشت مدينة آسفي عيشة رفاهية وازدهار أيام الموحدين والمرينيين، واستمرت على ذلك حتى أواخر عهد المرينيين الذين ضعفوا، فاستبد بدولتهم وزراؤهم الوطاسيون، وأصبح المغرب حينئذ فاقدًا هيبته؛ مما جعله عرضة للطامعين، وجعل بعض مدنه لقمة سائغة في أيدي البرتغاليين، وذلك ابتداء من سنة ٨١٨ هـ - ١٤١٥م.

حقيقة إن البرتغاليين استغلوا هلهلة الوضع الداخلي

في البلاد، فاستبدوا بالحكم في بعض شواطئه، وتسلّطوا على عدد من مدنه، وسيطروا على بعض مراكزه الكبرى، وكانت آسفي إحدى المدن الواقعة في قبضتهم. ويذكر صاحب كتاب «آسفي وما إليه»: أن هؤلاء عاملوها أسوأ معاملة، وأذاقوا من بها ألوان النكال والعذاب؛ مما يخجل منه جبين الإنسانية، فخربوا المعاهد الدينية والعلمية، ومنها ما جعلوه محلاً للقاذورات، كالمسجد الكبير، وعبثوا بالمحارم، واستحلوا التجارة في الأحرار، فكانوا يبيعونهم جهارًا، وسفكوا الدماء، ونهبوا المال وخرّبوا الدور.

ولما كان السور القديم؛ لاتساعه وقدمه ومعرفة المسلمين بمواقع الغرة منه، إذ كانوا يفتحون الترع منه، ويهجمون على البرتغال، كان ذلك باعثًا لهؤلاء على تسويره بهذا السور الموجود الذي يقدر بنحو ربع السور القديم أو خمسه.

حصنوا هذا القدر الصغير منه؛ لأن هجوم المسلمين كان متواليًا عليهم، وجعلوه في مسيل الوادي إلى البحر، وكان قبل ذلك مرتفعًا على المسيل، فكان وضعه بها من الهندسة الخرقاء.

ويوجد على هذا السور البرتغالي نحو عشرين برجًا، أهمها: البرج الكبير بالقصبة العليا المعروفة بدار السلطان، وبرج أشبار لارتفاعهما على طرفي المدينة من جهة البر.

أما أهم الأبراج البحرية فهي: البرج الجنوبي بالقصبة السفلى البرتغالية، وهذه القصبة على شاطئ البحر مربعة الشكل، على كل ربع منها برج، وفي وسطها عدة دور وخزائن، وهي من أول ما بناه البرتغاليون. ويقابل البرج من الشمال برج السلوقية على البحر أيضًا، غير أنه منفصل عنه، وكان يصله بالبحر سور وثيق يعرف عند الناس بالعرَّاضَة، وكان منحدرًا، ولعلّ البرتغاليين هدّموه؛ لأنهم لما أخلوها خربوها، وأوقدوا فيها النار، أو هدمه المسلمون، ثم زاد في علوه القائد عبدالرحمن العبدي سنة ١٢١١هـ.

آسفي أيام السعديين والعلويين

كان لسقوط الأندلس، وغزو البرتغاليين والإسبان لسواحل إفريقية الشمالية رد فعل قوي في نفوس الجماهير التي انتفضت في الحواضر والبوادي للجهاد في معركة صليبية عنيفة، اتخذت المغرب مسرحًا لها، وقد أذكى هذا

من الحارات القديمة





إطلالة على التاريخ





يعج سوق آسفي بالحركة

الاعتداء الروح العسكرية، وبغض الأجنبي المغير.

وفي هذا الخضم العارم انبرى السعديون لقيادة الثورة، وتحرير البلاد من الاستعمار، وأولوا اهتمامًا كبيرًا لاسترجاع مدينة آسفي من البرتغاليين، وقد استغرق هذا الجلاء أحد عشر يومًا من ١٠ إلى ٣١ أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٥٤١م، بعد احتلال دام ٣٣ عامًا.

وقد اعتمد السعديون على ميناء آسفي لجلب المدافع، وقطع السفن والعتاد. فمحمد الشيخ السعدي كان يصدر منه السكر الذي يأتي من «شيشاوة» ليستورد بعض المنتوجات القادمة من إيرلندا. وحسب بعض الوثائق التاريخية أن سفينة إنجليزية وصلت إلى ميناء آسفي عام ١٥٥٢م، محملة بكميات من الرماح والحديد وألفين من عصي الرماح والسيوف.

ولأهمية الميناء، قام السلطان مولاي زيدان بزيارة لميناء آسفي عام ١٦١٦م، لاستقبال سفينة هولندية، كما توجد اتفاقية لتشجيع التبادل التجاري بين تجار آسفي وفرنسا وإنجلترا والبرتغال (وقد تم العثور على معاهدتين تجاريتين بين الملوك السعديين وفرنسا: الأولى سنة ١٠٤٠هـ/١٦٣١م، والثانية سنة ١٠٤٤هـ/١٦٣٥م.

ودام حال ميناء آسفي على ذلك في الدولة السعدية



الإبداع في صناعة الفخار أكثر ما تشتهر به آسفي

والعلوية من بعدها إلى أن جاء السلطان محمد بن عبدالله، وبنى مرسى الصويرة، فتوقفت حركة ميناء آسفي التجارية، ودام هذا الركود إلى غاية سنة ١٢٦٠هـ.

إلا أنها عرفت إصلاحات وزيادات، وشيدت بها معاهد دينية وعلمية وعمرانية وخصوصًا صدر القرن الثالث عشر الهجري في رئاسة القائد عبدالرحمن بن ناصر العبدي الذي اعتنى بها عناية كبيرة، وخلد بها الآثار الجليلة كالمساجد والأبراج والأوقاف، وغير ذلك.

واستقرت بالمدينة شركات تجارية، وتأسست بنوك فرنسية وألمانية وإنجليزية، واستقر بها القناصل الأوربيون.

وأخذت المدينة شكلها الجديد ابتداء من عام ١٩٠٤م، بإقامة نشاط اقتصادي معتمد على البحر والصيد

صناعة الفخار من أشهر مميزات آسفي. فقد حازت فيها أجمل ذكر. وأجل إكبار بوجود تربتها الطيبة. فسارت بذكر أوانيها الركبان. وزينت بها المتاحف والبيوت. وكان لها في المعارض أجمل التفات

والتصبير وتصدير المواد المعدنية وبالخصوص الفوسفات.

ومع تقهقر الوضع السياسي في المغرب، وفرض الحماية الأجنبية عليه استوطن المدينة جالية فرنسية مهمة. وفي عام ١٩٢١م، زارها المقيم العام الفرنسي ليوطي عن طريق البحر، وأعطى أوامره بإصلاح الميناء الذي أدّى دورًا اقتصاديًا مهمًا في تصدير الأسماك سواء على الصعيد الوطني أو الدولي.

وفي عام ١٩٤٢م، استيقظت آسفي على بواخر حربية لجنود أمريكان أدخلوا الرعب في سكان المدينة، وفي نفوس الفرنسيين المقيمين بها. ولما غادروا المدينة ألقوا بها مجموعة من الألغام.

ويأتي استقلال المغرب لتتربع آسفي على عرش موانئ العالم، واحتلت في الستينيات المرتبة الأولى في صيد سمك السردين، كما احتلت المرتبة الثانية على الصعيد الاقتصادي في المغرب بعد ميناء الدار البيضاء.

آسفي اليوم

آسفي اليوم عاصمة لإقليم عبدة، وتنتمي إلى الجهة الاقتصادية الكبرى تانسيفت، تأسست كوحدة إدارية مستقلة عن إقليم مراكش عام ١٩٦٥م، وهو العام الذي سجل إقلاع المركب الكيماوي بالمدينة، وامتدت حدود الإقليم منذ ذلك الحين من جنوب دكالة إلى جبال

يعدّ ميناء آسفي ثاني ميناء بعد الدار البيضاء. ويقوم الرواج التجاري في هذا الميناء بتصدير معدن الفوسفات والباريت والحوامض الكيماوية. واستيراد الحبوب والكبريت والورق

الأطلس الكبير الغربية شاملاً بذلك الهضاب الساحلية من عَبْدة والشياظمة وحاجا.

يشغل إقليم آسفي مساحة ٧٢٨٥ كلم مربعًا، وبلغ عدد سكانه، حسب إحصاء عام ١٩٩٤م، (٨٢٢٢٠٥) نسمات.

إن أهم ما يميز آسفي هو سيادة النشاط الصناعي الذي يشغل ٤٥٪ من السكان في قطاع تصبير السمك ١٠٠٠ شخص. ويبلغ عدد مراكب الصيد ١٦٨١ مركبًا كلها في ملك المغاربة.

ولغنى أرض الإقليم بمعدن الفوسفات والكبريت في كل من اليوسفية وقطارة، فقد تم إنشاء المركب الكيماوي الذي ينتج منذ ١٩٦٥م الحامض السولفوري والحامض الفوسفوري.

كما تتوفر المدينة على صناعات أخرى مثل صناعة النسيج والحياكة التي لها فيها التقدم والتفوق من قديم، فقد قال عنها ابن الخطيب: إنها بلد موصوف برفيع ثياب الصوف، فلنساء ناحيتها الدكالية من التفنن في نسج الثياب الرقيقة، وغيرها من الأكسية والبرانيس ما يوقع في النفوس أكبر تأثير في جذب القلوب إليها والتجمل بها في أفضل الأيام، ولها في معارض الصناعات الوطنية أجمل ذكر وأحسن التفات في الأهالي والأوربيين.

وكذلك الشأن بالنسبة إلى صناعة الفخار التي اشتهرت بها المدينة منذ القدم، وحسب رأي بعض المؤرخين الأجانب بأنها وجدت بآسفي منذ الفينيقيين، واشتهر اسم العملي الذي قدم من الجزائر أيام الحماية الفرنسية بصناعة الخزف المنتشرة في المدينة حول «الشعبة قرب أشبار»، ولإنعاش هذا القطاع عمل أغلبية الصناع على تأسيس تعاونيات تساعدهم على مواجهة غلاء أثمان المواد الخام. وبهذا الصدد ارتبطت مدينة آسفي بتوقيع اتفاقية توأمة مع مدينة صينية

جين تشين في أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٩٩٣م، للتعاون في المجالات الثقافية والاقتصادية، وتبادل الخبرات في صناعة الخزف. يقول صاحب كتاب «آسفي وما إليه» في هذا المجال: «وهذه الصناعة. أعني صناعة الفخار - من أكبر مميزات آسفي، فقد حازت فيه أجمل ذكر، وأجل إكبار بوجود تربتها الطيبة، فسارت بذكر أوانيها الركبان، وزينت بها المتاحف والبيوت، وكان لها في المعارض أجمل التفات، وأكبر اعتبار، فترى الناس من أهليين وأجانب يتهافتون على أوانيها الخزفية، فما شئت من خواب وبرادات، وغيرها من أواني البيوت في أشكال بديعة، وأساليب متنوعة تجذب القلوب، وتلفت الأنظار».

ويعدّ ميناء آسفي ثاني ميناء بعد الدار البيضاء، ويقوم الرواج التجاري في هذا الميناء بتصدير معدن الفوسفات والباريت والحوامض الكيماوية، واستيراد الحبوب والكبريت والورق ... وتعدّ آسفي من الأقطاب

قوالب طوب وأوان فخارية بمواد وأيد محلية



لصناعة الفخار أثر في تلويث الجو

الحضرية الكبرى في المغرب، إذ لها دور أساسي يبرز في قدرتها على جلب المهاجرين واستقطابهم من الريف، بما تتيحه لهم من إمكانية خلق ظروف عيشة أحسن مما كانوا يتوفرون عليه في مواطنهم الأصلية.

جاء الفتح الإسلامي لآسفي على يد عقبة بن نافع سنة ٦٢هـ وسار حتى بلغ البحر المحيط. فدخل فيه حتى بلغ الماء بطن فرسه. ثم رفع يده إلى السماء، وقال: "يارب لولا أن البحر منعني، لمضيت في البلاد إلى مسلك ذي القرنين مدافعًا عن دينك، مقاتلاً من كفر بك"

آسفي: خطر التلوث

تبرز مدينة آسفي كإحدى أكثر المدن تلوثًا على المستوى الوطني لكونها أحد أهم المراكز الاقتصادية بالمغرب، حيث توجد الصناعات الكيماوية، وصناعة تصبير الأسماك، بالإضافة إلى صناعة الخزف. وقد أثبتت دراسات ميدانية متعددة أن سواحل آسفي تضررت بشكل كبير بسبب مقذوفات المعامل الكيماوية، إذ إن البحر يستقبل كل ساعة نحو ٢٤٠٠٠ متر مكعب من مواد تتشكل من الجبس، والرصاص، والباريم، والأرسنيك، وبقايا حامض الفسفور الكبريت، وهي مواد تؤثر بشكل مباشر في درجة حموضة المياه، وتزيد من انخفاضها، مما يسهم في القضاء على الكائنات الموجودة بالمحيط البحري الذي تمتد إليه هذه المقذوفات، وقد شهد الصيد الساحلي تراجعًا كبيرًا ساهمت فيه الوضعية المتدهورة للساحل، وهذا ما أثر في عدد من المشتغلين بالقطاع، كما أثر في نشاط وحدات التصبير التي تقلّص عددها في الأيام الأخيرة. ويبقى وضع شاطئ المدينة اليتيم الذي تشرف عليه صخرة سيدي بوزيد في تناغم رائع، صورة واقعية حزينة لما يمكن أن يفعله الإهمال، وإفرازات الصناعة بجمال الطبيعة وبراءتها؛ ذلك أنه، وبعد توسع الميناء على حساب جزء كبير من الشاطئ، وحرمان آلاف المصطافين من ارتياده، فهو من أجمل شواطئ المغرب المطلة على المحيط الأطلسي حيث كان يساهم في استقطاب عشرات الآلاف من السياح المغاربة والأجانب. وإنها مدينة تبكي حظها التعس، وقد دهمها التلوث من كل جانب !!.

مدينة آسفي: فضاءات لمكان واحد

إن أول ما يسترعي انتباه الزائر، وهو يتجول في شوارع المدينة، كثرة النافورات الرخامية بأشكال وهندسات مختلفة، شيدت من طرف المجلس البلدي



أوان فخارية بديعة الصنع

لخلق نقط جمالية تضفي طابعًا حضاريًا على المدينة الأصيلة حسب التصنيفات الرسمية.

ثم يزحف من هناك صوب آسفي الحقيقية، المدينة القديمة حيث الأزقة والدروب والأبواب: باب الشعبة، سيدي بوذهب، الساحة التي عرفت أبهى أيام الحلقة ورواتها، والصقالة ودرب الحبس، ودرب النجارين، وتراب الصيني ، وشارع الرباط (الشريان الرئيس للمدينة) ، برج موكة الدريبة المزوقة، أرحات الريح، سوق العفاريت: وفضاءات لمكان واحد، تتخللها مبان ومآثر تاريخية، منها ما هو مصنف في عداد الآثار ومنها غير مصنف، نذكر منها : المسجد الكبير الذي يوجد أسفل المسجد القديم الذي هدمه البرتغاليون، وقد شيد في عهد السلطان السعدي محمد الشيخ، وجدد بناؤه في عهد السلطان العلوي محمد بن عبدالله سنة ١١٨٨هـ، ثم مسجد أفنان المدعو الفوقاني، ويعود إلى القرن الحادي عشر الهجري، ومسجد القصبة العليا، ومسجد رباط آسفي، ويوجد خارج سور المدينة، وقد أسسه الشيخ أبو محمد صالح

عاشت مدينة آسفي عيشة رفاهية وازدهار أيام الموحدين والمرينيين، واستمرت على ذلك حتى أواخر عهد المرينيين الذين ضعفوا، فاستبد بدولتهم وزراؤهم الوطاسيون، مما جعل المغرب عرضة للطامعين، وجعل بعض مدنه لقمة سائغة في أيدي البرتغاليين

المتوفى سنة ٦٣١هـ. وقد وصفه ابن الخطيب سنة ٧٦١هـ. فقال: «هو مبنى عتيق ومجمع فسيح متعدد الزيادات والصحون ..»، وغيرها من المساجد.

إضافة إلى الزوايا والرباطات، أشهرها رباط الشيخ أبي محمد صالح، وزاوية عبدالقادر الجيلاني، وزاوية ابن ناصر الدرعي المتوفى سنة ١٠٨٢هـ. والزاوية الوزانية، والدرقاوية، والجزولية، والتيجانية، والمصلوحية، وغيرها ...

أما أهم المعالم الأثرية الموجودة في قلب المدينة التي تشكل العمود الفقري لتاريخها وحضارتها العريقة هي:

قصر البحر: معلمة رابضة في شموخ على ضفة الأطلسي من أولى البنايات التي شيدها البرتغال على شاطئ المدينة قبل احتلالهم لها. ويتكون مبنى قصر البحر من ثلاثة أبراج: اثنان منها دائريان، والثالث مربع الشكل، وتتوسطه ساحة كبيرة كانت تضم، حتى بداية القرن العشرين، بناية مهمة كانت مخصصة للاستقبالات الرسمية بالمدينة قبل أن تمتد لها يد الاستعمار الفرنسي، وتهدمها. أما الواجهة البحرية لهذه البناية فتضم مجموعة من الفتحات تتخللها مدافع يرجع بعضها إلى العهد البرتغالي والآخر إلى العهد السعدي.

الكنيسة البرتغالية: أسست عام ١٥١٩م على أنقاض المسجد الجامع الذي هدمه البرتغاليون، واحتفظوا فقط بمنارته لاستعمالها كمكان يقرع منه جرس الكنيسة. تحولت في نهاية القرن التاسع عشر إلى حمام سمي آنذاك حمام البويبة، وتلتفت إليها بعد ذلك إدارة الحماية الفرنسية، وتعيد لها الاعتبار. وهي تتوفر حاليًا على قاعتين: تضم إحداهما في قبتها مجموعة من رموز السلطة البرتغالية (رمز للأسلحة البرتغالية، ورمز لفاتحي المستعمرات، ورمز للديانة المسيحية). وكلها منحوتات حجرية، كما تتوفر على مجموعة من الأقواس التي تشهد على الطابع الهندسي المناويلي (نسبة إلى الملك ما نويل).

دار السلطان: كانت عبارة عن قصبة في عهد المرابطين، قبل أن يقوم الموحدون بتجديدها، ثم البرتغال الذين أحدثوا بها تغييرات جذرية، وأضافوا إليها أبراجًا جديدة تعكس طابعهم المعماري، وطرازهم في البناء والتشييد، كما عرفت في القرن الثامن عشر مجموعة من الإضافات، كتشييد دار ملوكية سميت (الباهية) ومسجد صغير مجاور لها.

والبناية حاليًا تضم في جزء منها المتحف الوطني للخزف، إضافة إلى مصالح مندوبية وزارة الثقافة بآسفي.

أما الإنسان الآسفي فقد جبل على الأخلاق الفاضلة، والقيم الشريفة، وهو محب للعمل، بسيط في عيشه، قنوع بحرفته وسمك محيطه، مشهور بتفننه في تهيىء أطباق السمك المختلفة والشهية على الصعيد الوطني، ويكفيه فخرًا ما قال فيه الإمام أبو حفص عمر بن عبدالله الفاسي:

لله دركم بني آسَفِي
فَنَزيلُكم يُشفى من الأسَفِ
حَان الرحيل بُعيد ما ألِفتُ
نفسي بوصلكم فيا أسَفِي
أخلاقكم كالعطر في نفس
ووجوهكم كالبدر في شَرَفِ

أول ما يسترعي انتباه الزائر، وهو يتجول في شوارع المدينة، كثرة النافورات الرخامية بأشكال وهندسات مختلفة، شيدت من طرف المجلس البلدي لخلق نقط جمالية تضفي طابعًا حضاريًا على المدينة الأصيلة حسب التصنيفات الرسمية



الذكاء: ثروة المستقبل ولغة العالم

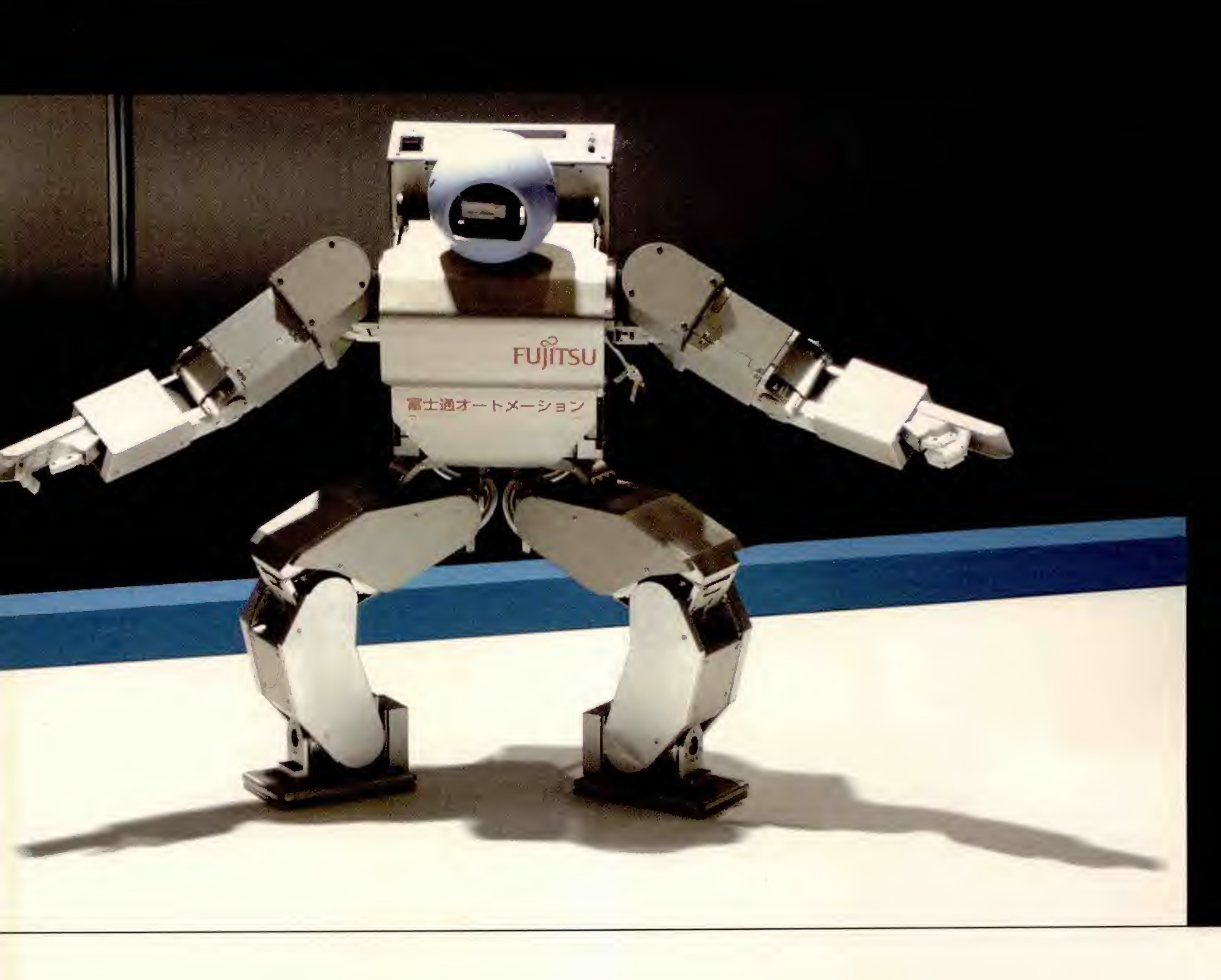
حمدي محمد الجمل

بورسعيد ـ مصر

حينما تفاعل التطور السريع المذهل لتكنولوجيا الحاسبات الآلية مع التنافسية الشديدة التي نتجت من انفتاح العالم، فرضت هندسة المعلومات الكثيفة التي أطلق عليها (المعلوماتية) واقعًا جديدًا معقدًا عبر عنه بعض الباحثين بالانفجار المعرفي. وظهرت نماذج من المنظمات والأفراد تجيد استثمار المعرفة في تحقيق ثروات طائلة.

واكتشف العالم أنه قد انخرط في اقتصاديات المعرفة، فاستدعت هذه المتغيرات عملية تطوير مستمر لنظم المعالجة بوصفها وسيطًا تتحول عبره المعرفة إلى ذكاء، وما إن طفق الإنسان يبث الذكاء في الحاسب حتى انطلقت سرعة متنامية إلى حد أن أصبحنا أمام سؤال جد خطير، وهو إلى أي حد يمكننا التحكم في الذكاء الاصطناعي إذا ما خرجت معدلات نموه عن السيطرة؟ وما طبيعة كل من الذكاء البشري والذكاء الصناعي؟.

وتتمثل أهمية البحث عن الذكاء فيما ينطوي عليه من قدرة على الاستثمار المعرفي، خصوصًا أن اقتصاد العالم قد تحول بالفعل إلى اقتصاد المعرفة، والمعرفة مصطلح يشير في آن واحد إلى فعل المعرفة من جانب، والذي يتعلق بآلية التفكير والذاكرة والتعلم والخبرة وغيرها، وإلى الموضوع المعروف ذاته من جانب آخر. وقد ساهمت دراسات التفكير فوق المعرفي الحديث في تحديد هذه الرؤية الضرورية لتطور مفهوم الذكاء وتناوله. وفي هذا السياق فإن هربرت سايمون عند تأسيسه لعلم معرفي جديد يعرفه بأنه دراسة الذكاء



والنظم الذكية، وهو يقصد بالمنظومات الذكية كلاً من النظم الطبيعية لذكاء الكائنات الحية والذكاء الصناعي.

طبيعة الذكاء

يبدو الذكاء ذات طبيعة مركبة، فهذا تقسيم بيولوجي يرى أن الذاكرة والتعلم اثنان من المكونات الأساسية لحل مشكلة ما، ومن ثم تؤدي زيادة مهارات التعلم والذاكرة إلى تحسين الذكاء. وذاك تقسيم نفسي (سيكولوجي) يرى أنه للبحث في الذكاء يلزم ارتياد ثلاثة مجالات هي:

- المعرفة: فكلما بلغت عملية التفكير مستوى الفهم أو التحديد الذي يفي بفاعليتها، اقتربت هذه العملية من الإحاطة والتحكم، وتيسر بذلك السبيل إلى الذكاء.

- الفروق الفردية: تتفاوت أمام المشكلة الواحدة مستويات جودة الحلول الممكنة بتفاوت مستويات الأفراد، سواء في إدراك أبعاد المشكلة أو في استنباط حلول لها أو في إيجاد معيار لمستوى الجودة، وفي هذا السياق قدم (بينيه) مقياساً مترياً للذكاء في عام ١٩٠٥م.

- مسار العلم العقلي: فالعقل يسلك في مسيرته



الاستعرافية مجموعة من العمليات، تتضمن الذاكرة والعلم، ومهارات التحليل، والاستكشاف والاستدلال والتدقيق، والقدرة على تكوين إستراتيجيات. وقد ركزت أغلب الجهود البحثية في هذا المجال جلّ اهتمامها بالتعلم والذاكرة، بوصفهما أهم مكونين أساسيين لحل مشكلة ما.

وقد جاءت تعريفات الذكاء عند مستويات متفاوتة وفقًا لاقترابها أو ابتعادها عن هذه الطبيعة المركبة له. ففي مستواه الأدنى يعرف الذكاء بأنه«المقدرة على حل المشكلات (١)» وهو في مستواه الأكثر اقترابًا من طبيعته المركبة يعرف بأنه استغلال المعرفة المتاحة للإجابة عن الأسئلة بصورة سليمة، ومتسقة وحلّ المشاكل الصعبة منها والسهلة (٢)».

وقد كان من الطبيعي أن يتبادل الذكاء التأثير مع تطور نظم المعلومات والتقانة (التكنولوجيا)، وإلى هذا يشير نبيل علي موضحًا أن التأثير أضفى على مفهوم (الليونة) أو كما يسميها بعضهم المرونة عمقًا وأهمية بحيث تتطور التقانة (التكنولوجيا) نحو نهج تجاه الليونة أكثر، فالبيانات بالمعالجة تتحول إلى معلومات، والتي تتحول هي الأخرى بالمعالجة إلى معرفة؛ إذ يمكن استثمارها في الذكاء الذي يبدع وينافس ويحل المشكلات، وظل مفهوم الذكاء وما يرتبط به من تطوير في نطاق ذكاء العقل البشري حتى القرن العشرين، إذ تشعبت دراسات الذكاء وبحوثه إلى قسمين رئيسين تضمنا، فضلاً عن الذكاء البشري الذكاء الصناعي. ولكن عمليات البحث هذه وجدت من خلال التشعيب فروعًا أخرى.

الذكاء الشخصي ينبع أساسًا من الفطرة السليمة والحدس مقابل اللغة والرياضيات في الذكاء المنطقي. وكان ثورندايك قد اقترح أن يكون (الذكاء الاجتماعي) أحد أوجه الذكاء العاطفي، مشيرًا إلى أنه يعني التصرف الحكيم في العلاقات الإنسانية

أنواع الذكاء

لم تكن عملية تصنيف الذكاء هدفًا في ذاتها للبحوث والدراسات بقدر ما كانت متطلبًا أساسيًا لتطبيقاتها ونتائجها، وقد آلت هذه التصنيفات حديثًا إلى ذكاء



الكائنات، وعلى رأسها الذكاء البشري (الذي ينقسم بدوره إلى الذكاء العقلي والذكاء العاطفي)، والذكاء الصناعي الذي تختلف تطبيقاته، ولا مناص من عرض لهذه الأنواع علّ الإيجاز فيه يفي بالكفاية، وذلك فيما يأتي:

أولاً . الذكاء الطبيعي للبشر:

ساد التناول المعرفي للذكاء أحادي الجانب، وهو ذكاء المنطق، حتى عقد الثمانينيات من القرن العشرين الذي أتأم عنده هذا التناول بفعل بحوث تبلورت فيما حدده دانييل جولمان بوجود طريقتين للمعرفة، «تتفاعلان لبناء حياتنا العقلية: الأولى: طريقة العقل المنطقي، وهي طريقة فهم ما ندركه تمام الإدراك، والواضح وضوحًا كاملاً في وعينا، وما نحتاج إلى التفكير فيه بعمق ونتأمله، ولكن .. إلى جانب هذا هناك نظام آخر للمعرفة قوي ومندفع، وأحيانا غير منطقي. هذا النظام هو العقل العاطفي (٣)». ويمكن تفصيل ذلك إلى حد ما على النحو الآتي:

أ. **الذكاء المنطقي:** هو تلك العمليات الذهنية التي نطبقها على معرفتنا وخبراتنا السابقة لاكتشاف البنى الحاكمة أو برهنتها أو استخلاصها في حل المشكلات أو التطور المعرفي أو الإبداع. هذه العمليات تكوّن في مجموعها قدرة على الاكتساب الذاتي للمعرفة والمعالجة والتكيّف التلقائي لتحقيق أهداف معينة. وهذه القدرة توفر المقومات الأساسية لإبداع فكرة، أو قرار، أو عمل أدبي أو فني أو علمي، وإن كانت لا تفي بكل متطلبات الإبداع، وهو ما يعبر عنه بيير أوليرون بأن «الإبداع هو الذكاء مضافًا إليه شيء (٤)»، وغالبًا ما تضم قائمة الذكاء المنطقي نوعين: أحدهما البراعة اللفظية، والبراعة الرياضية أو الرمزية.

ب. **الذكاء العاطفي:** يضيف جاردنر إلى قائمة الذكاء، وإضافة إلى كل من البراعة اللغوية والرياضية نوعين آخرين يندرجان فيما يسميه (الذكاء الشخصي)، هما: ذكاء العلاقات المتبادلة بين الناس الذي يصفه بأنه

أكثر الناس يظنون أن الإنسان هو المصدر الأوحد للذكاء، وهذا الظن يلزمه المزيد من المراجعة، فما من شك أن الله قد كرم الإنسان في عقله، وفضّله على كثير ممن خلق تفضيلاً، لكن الذكاء، كغيره من نعم الله، يتطلب السعي والمجاهدة في صبر وتواضع ودأب

«القدرة على فهم الآخرين، وما الذي يحركهم، وكيف يمارسون عملهم، وكيف نتعاون معهم (٥)»، ومن مظاهره المدير الفعال، والمدرس الناجح، والطبيب الصدوق، والسياسي المحبوب. إنه المقدرة على تشكيل أنموذج محدد وحقيقي للذات لكي تتمكن من التأثر بفاعلية في الحياة. أما النوع الثاني فهو القدرة على النفاذ النفسي أو الإحساس بالرضا الداخلي، أو التوافق النفسي، الذي ينبعث من تناغم حياة الفرد مع معتقداته ومشاعره وقيمه، ومظهر ذلك إدارة الفرد لشؤونه التي قد تعاني الافتقار لمتطلبات مادية، فيدفع بنفسه للتكيف مع قيمه، راغبًا في احتساب ذلك عند ربه، ودافعًا إياها إلى تنمية الشعور بالرضا والقبول الواعي الذي يفضي إلى صبر علم أنه يرضي ربه.

ولا شك في أن هذا الذكاء الشخصي ينبع أساسًا من

لم تكن عملية تصنيف الذكاء هدفًا في ذاتها للبحوث والدراسات بقدر ما كانت متطلبًا أساسيًا لتطبيقاتها ونتائجها. وقد آلت هذه التصنيفات حديثًا إلى ذكاء الكائنات. وعلى رأسها الذكاء البشري (الذي ينقسم بدوره إلى الذكاء العقلي والذكاء العاطفي). والذكاء الصناعي الذي تختلف تطبيقاته

الفطرة السليمة والحدس مقابل اللغة والرياضيات في الذكاء المنطقي. وكان ثورندايك قد اقترح أن يكون (الذكاء الاجتماعي) أحد أوجه الذكاء العاطفي، مشيرًا إلى أنه يعني التصرف الحكيم في العلاقات الإنسانية، ثم تراجع

نجح العلماء في زيادة ذكاء الفئران



الذكاء المنطقي: هو تلك العمليات الذهنية التي نطبقها على معرفتنا وخبراتنا السابقة لاكتشاف البنى الحاكمة أو برهنتها في حل المشكلات أو التطور المعرفي أو الإبداع، هذه العمليات تكوّن في مجموعها قدرة على الاكتساب الذاتي للمعرفة والمعالجة والتكيّف التلقائي لتحقيق أهداف معينة

عن جدوى هذا الذكاء الاجتماعي لفائدة الذكاء الشخصي، الذي طورت البحوث الحديثة اتجاهاته نحو التركيز في العمليات الذهنية، فيما يعرف بما وراء المعرفة.

ثانيًا . الذكاء الصناعي:

يعرف مارتن ويك الذكاء الصناعي بأنه «قدرة الآلة على القيام بالمهام التي تحتاج إلى الذكاء البشري عند أدائها، مثل الاستنتاج المنطقي والتعلم، والقدرة على التعديل (٦)»، هذه القدرة غالبًا ما يعبر عنها بالنظم الذكية التي يشاع استخدامها كمرادف للذكاء الصناعي. ويهتم الذكاء الصناعي بأساسين فكريين: الأول هو محاكاة الذكاء البشري ذاته كعملية، وآليته ومكوناته وتعلمه، وما يتعلق بذلك كله، والثاني هو تسهيل إجراءات الأجهزة والبرامج ودفعها لتقوم بعمليات المحاكاة لهذا الذكاء. ويستهدف الذكاء الصناعي استثمار الذكاء البشري بواسطة كثافة الإنتاج المعرفي الهائل التي تؤدي إلى توفير قدرات فائقة لحل المشكلات الأكثر تعقيداً، وغالبًا ما يجد الباحثون أنفسهم أمام موازنة بين الذكاء الطبيعي للبشر والذكاء الصناعي، من حيث يراد محاكاة الثاني للأول. والفروق التقليدية هنا تركز في السرعة والدقة والكثافة والتوثيق، وكذلك القدرة على التحرر من أثر الضغوط والعوامل النفسية التي يتعرض لها الإنسان، ولا تؤثر في الحاسب الآلي. بينما يتسم الذكاء البشري بالقدرات الإبداعية، والقدرة الذاتية الهائلة على الدافعية للمعرفة. كما أن الخبرة لدى الإنسان واعية، لكن ذلك في الواقع ليس كافيًا؛ فالكاتب يرى أن الموازنات التقليدية ربما لم تتنبه إلى أهم هذه الفروق، وهو قدرة المعرفة الإنسانية على التأويل، تلك التي استمدها الإنسان مما حباه الخالق به، إذ نفخ فيه من روحه وعلمه ما لم يكن يعلم، وأنى يتشابه خلق الله سبحانه وصنع المخلوق. فالطبيعة التأويلية للذكاء البشري إنما تستبين في علم التأويل الذي ينظر بمفهوم الأفق إلى عمليات الفهم والتفسير والتطبيق في إطار منظومي واحد، للتوفيق بين أفقي التجربة والواقع (٧)، بينما تصدر الطبيعة القياسية للذكاء الصناعي عن معايير محددة سبق تجربتها معمليًا أو حسابيًا واعتمادها. ومن ثم فإن مدى الذكاء الصناعي محدود أمام أفق ثلاثية الفهم والتفسير والتمثيل أو التطبيق. ويشير الفهم إلى منهج يكشف عن إدراك الحياة بالحياة نفسها، والحياة ليست مجرد وعي بل تتجاوزه، وما دام الوعي ذاتيا كما أنه تاريخي، فهو عملية مستمرة، وهو مرتبط باللغة.

ومن خلال إعمال الفهم بواسطة اللغة تكتمل تعبيرية التفسير. أما التطبيق فيرى(إنجاردن) أنه جعل الشي حاضراً/ واقعًا أمام المفسر. وتتعدى قيمة التأويل الإحاطة بالواقع إلى تدبر المستقبل، ونرى ذلك جليًا فيما أنعم الله به على يوسف، عليه السلام ﴿وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ يوسف: الآية ٦. ولم تعد تطبيقات النظم الذكية واقعًا فحسب، وإنما باتت لدى الكثيرين مصدراً للقلق والتوتر، إلى حد يذهب فيه (ميتشيو كاكو) إلى القول: «وفي أواخر القرن الحادي والعشرين . ربما من العام ٢٠٥٠

إلى ٢١٠٠م. سيكون هناك خطر من أن تصبح أجهزة الإنسان الآلي «واعية بذاتها» تدريجيًا، ومن ثم تشكل خطرًا على وجودنا. وعلى الرغم من أن هذه الفكرة لا تزال تأميلية تمامًا، فإن العلماء خصصوا وقتًا كافيًا من التفكير للسؤال حول كيفية التحكم في أجهزة الإنسان الآلي بشكل أفضل، بينما تمتلك هذه الأجهزة تدريجيًا خصائص شبيهة بالبشر على نحو مطّرد [٨]»

وتتزايد مجالات تطبيق النظم الذكية في التجارة والبنوك والتعليم والصناعة والدفاع والطب والنقل والاتصالات وغيرها. وتتم هذه التطبيقات عبر عدة أنواع من النظم الذكية نعرض بعضها فيما يأتي:

.

شبكات العمل العصبية:

هي شبكات تحاكي الشبكة العصبية البيولوجية في الإنسان، وهي لا تحتاج إلى تلقي أوامر خطوة بخطوة، لكنها تقوم بعمليات متوازية ومتكاملة بحيث تؤدي كل واحدة منها مهمة معينة موكلة إليها، وتسلم نتائجها للوحدات المتكاملة لاستكمال المهام الأخرى في نظام يشبه نظام عمل الشبكة العصبية البيولوجية، وبذلك فهي نظام يقوم على التعلم والتدريب في محاكاته للذكاء البشري.

. النظم الخبيرة:

هي نظم تقوم على ما استخلصته المعرفة البشرية من خبرات بغية الاستفادة من إمكانات الأجهزة في حل مشكلات معينة.

. النظم المبهمة:

هي نظم تساعد متخذي القرارات المتعلقة بالمشكلات غير المهيكلة (غير المحددة) في حالات عدم التأكد. والتي لا ينبغي حصرها فيما بين الاحتمالات التي ترتبط بنعم أولا (أبيض أو أسود)، استنادًا إلى تحرر عمليات الحاسب الآلي من قيود قد ترد على التفكير البشري في أثناء محاولات حل المشكلة.

. النظم الذكية الهجينة:

تستهدف هذه النظم معالجة القصور الوارد في كل نظام من النظم الذكية عن طريق التكامل فيما بين تطبيقات نظم الذكاء الصناعي وفقًا لمعطيات كل مشكلة



في جماعات النمل نوع مميز في الذكاء

وطبيعتها التي قد تتطلب تكاملاً بين نظم بعينها.

. **الخوارزميات الوراثية:**

تعتمد الخوارزميات الوراثية على تقنيات تقوم بحصر الحلول الخاصة بمشكلة ما (بدائل القرار) ثم عن طريق تطبيق فكرة الانتخاب الطبيعي تستبدل الحلول الضعيفة وتدفع الحلول الجيدة لتوليد حلول أخرى منها لتكوين جيل من الحلول الجيدة التي يتم تقويمها، واختيار أفضلها.

ومهما تفاوتت تصوراتنا لمستقبل النظم الذكية فلا شك أنه في استقراء واقع العالم الآن رسالة من المستقبل تفيد أن القرن الحالي سيكون مسرحًا لتطبيقات نظم ذكية تفوق ما يتصوره الكثيرون ممن غفلوا عن متابعة هذا الفرع المعرفي السريع النمو، فمع الاتجاه الحالي نحو الاقتصاد المعرفي يمكن لكل دولة وكل مؤسسة وكل فرد أن يحدد حصته من إجمالي الدخل العالمي تبعًا لرصيده من الذكاء بمفهومه الأشمل، وليس وفقًا لما يمتلك من موارد تقليدية فحسب.

. **منة الله .. يداولها بين خلقه**

أكثر الناس يظنون أن الإنسان هو المصدر الأوحد للذكاء، وهذا الظن يلزمه المزيد من المراجعة. فما من شك أن الله قد كرم الإنسان في عقله، وفضّله على كثير ممن خلق تفضيلاً. لكن الذكاء، كغيره من نعم الله، يتطلب السعي والمجاهدة في صبر وتواضع ودأب، ولعله في الإشارة القرآنية لدعوة النملة إلى جماعتها أن يحذروا سليمان (عليه السلام) وجنوده ما نبّه سليمان



القرن الحالي مسرح لتطبيقات نظم ذكية

على نعمة الله أن علمه منطق كثير مما خلق وطفق بذلك يشكر ربه. ونجدنا بالمناسبة أمام عالم النمل الذي استرعى فضول الباحثين، فتعلموا من جماعات النمل نوعًا مميزًا من الذكاء، وتجري حاليًا دراسات وبحوث لتطويره والاستفادة منه في تطبيقات مختلفة. فقد كشف الباحثون أن السلوك الاجتماعي للنمل منظم تنظيمًا جيدًا، فحينما تهتدي نملة إلى أقصر الطرق الواصلة بين قرية النمل وبين موقع الطعام المستهدف تفرز مادة كيماوية تسمى فيرمون تستشعرها جماعة النمل فتقتفي أثرها، كأنما اعتمدت هذه الجماعة فيما بينها سلوكًا يقوم على استثمار البحث، وترشيد الجهود الاجتماعية في تحزين الطعام بما يعرفه العلماء بذكاء السرب، هذا الذكاء الذي أصبح يغذي صناعة إستراتيجيات إدارة الأعمال، فقد بادرت كل من شركة فرانس تيليكوم، وشركة بريتش تيليكوم، بتطبيقات يجري تطويرها، تعتمد على منظومة ذكاء السرب لتحسين طرائق مواجهة ضغط الحركة على شبكاتها. كما أن شركات أخرى تطبق ذلك على قوائم حسابات العملاء [٩]، وتجري بحوث مماثلة حاليًا لدراسة سلوك جماعات النحل وغيرها بحثًا عن أساليب الذكاء المختلف في مخلوقات تبدو منظمة السلوك. وفي منحى آخر من مناحي تداول الذكاء حاول كل من جوتسين، وإيريك أسفوج ببحثهما في عام ١٩٩٩م، زيادة ذكاء الفئران؛ فقد انتهت نتائج بحثهما إلى إمكان زيادة ذكاء الفأر (دوكي)؛ وذلك تمهيدًا لمحاولات مماثلة تستهدف التحكم البيولوجي في زيادة ذكاء الإنسان. وكأن لسان حال خاصية التداول التي تميز الذكاء يقول: إنه من الذكاء تعلم الذكاء. وقد ثبت أن الإنسان لا يريد الذكاء اكتسابًا لقدراته فحسب، وإنما يريد اكتنازه في الحاسبات والنظم الذكية، مثلما اكتنز الذهب والفضة من قبل؛ ذلك أنه لم يعد يخفى على مجتمع من المجتمعات خطورة إغفال تنمية قدرات الذكاء في بيئة اشتدت فيها التنافسية حتى أصبح الذكاء عامل حسم مهمًا ورئيسًا لها. وقد دفعت التنافسية بمنظمات الأعمال إلى تبني نهج جديد للذكاء يعرف في أدبيات نظم المعلومات الإدارية بالذكاء التنافسي الذي يعني استعلامات فعالة عن الأداء الداخلي والخارجي للمنظمات، وأداء المنافسين والموردين والمستهلكين لاستثمار ذلك في التميز والسبق / الريادة، وبذلك يمكن لمنظمة الأعمال التي تتوافر فيها قدرات فهم ما يحدث فيها وحولها وتقويمه وتوجيهه واستثماره لتحقيق أهدافها أن تكون منظمة ذكية. وقياسًا على ذلك يكون التعليم الذكي والمدير الذكي والبنك الذكي والأسلحة الذكية.

إن النتائج التي انتهت إليها دراسات الذكاء وبحوثه وتطبيقاته التي غيرت الكثير مما كان عليه العالم من أحوال، ما كانت لتنتهي إلى ما انتهت إليه إلا بحرص واهتمام يكفيان لدفع هذه البحوث والدراسات. وإذا كان



من الذكاء تعلم الذكاء

مقدار الحرص والاهتمام لدى مجتمع ما يعكس أصالته في الإعمار وتحسين جودة الحياة على الأرض، فحري بالتاريخ أن يؤكد حقيقة أن العرب كانوا مبكرين على رأس الأمم والحضارات اهتمامًا بالذكاء، وحرصًا عليه. فعندما أراد أبو تمام أن يمتدح أحمد بن المعتصم الخليفة العباسي قال له:

إقدام عمرو في سماحة حاتم

في حلم أحنف في ذكاء إياس

وكأنه كان يستجمع مناقب لأنموذج عبقري أصيل، فلم يجد بدًا من أن يرصع تاج هذا الأنموذج بالذكاء، ولكن الكندي تداخل قائلاً لأبي تمام: الأمير فوق من وصفت، وفي بديهة فاضت بذكاء أبي تمام استرسل قائلاً:

لا تنكروا ضربي له من دونه

مثلا شرودًا في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره

مثلاً من المشكاة والنبراس

الهوامش والمراجع

١. التعريف الشائع بالقواميس والموسوعات العلمية والأطالس.

٢. نبيل العربي، العرب وعصر المعلومات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (١٨٤)، الكويت، ١٩٩٤م، ص ٥٩.

٣. دانييل جولمان، ترجمة ليلى الجبالي، الذكاء العاطفي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (٢٦٢)، الكويت، ص ٥٥.

٤. بيير أوليرون، ترجمة أحمد علي بدوي، الذكاء، آفاق العلوم للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٠٩.

٥. دانييل جولمان، مرجع سابق، ص ٦٣.

٦. محمد فهمي طلبة وآخرون، والحاسب الآلي والذكاء الاصطناعي، مجموعة كتب دلتا، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٨.

٧. لمزيد يرجى الرجوع إلى: عبدالقادر الرباعي، التأويل: دراسة في آفاق المصطلح، عالم الفكر:(٢) مجلد ٣١، الكويت، ٢٠٠٢م، ص ١٥١ - ١٧٦.

٨. ميتشيو كاكو، ترجمة سعد الدين خرفان، رؤى مستقبلية: كيف سيغير العلم حياتنا في القرن العشرين، عالم المعرفة، (٢٧٠).الكويت، ص ١٥٨.

٩. لمزيد يرجى الرجوع إلى: بونابو وثيرولاز، ذكاء أسراب الحشرات، مجلة العلوم: الطبعة العربية، (٥) مجلد ١٧، الكويت، ص٤.



من مظاهر عناية الإسلام بالبيئة

صالح بن علي أبو عرّاد

أبها ـ السعودية

تُعد قضية حماية البيئة والعناية بها من القضايا العالمية المعاصرة التي تحظى باهتمام المسؤولين والمتخصصين في العلوم المختلفة ذات العلاقة بالبيئة. خصوصًا أن البيئة تتعرض في هذا العصر للكثير من صور الفساد المتمثل في ظهور الكثير من المشكلات البيئية المتجددة. مثل: التلوث البيئي بصوره وأنواعه المختلفة، واستنزاف الموارد الطبيعية، والتصحر، وانجراف التربة، وغير ذلك من المشكلات التي تكشف بوضوح عن وجود خللٍ كبيرٍ في سلوك الإنسان وتصرفاته غير الرشيدة مع مكونات البيئة.

وذلك نتيجةً لغياب الوعي البيئي، وقلة الاهتمام بالتربية البيئية، إضافةً إلى عدم وضوح المنظور الإسلامي للتربية البيئية الذي ينبغي أن يحكم، ويضبط سلوكيات الإنسان وتصرفاته تجاه مكونات البيئة وعناصرها المختلفة.

فالإسلام يدعو الإنسان إلى الاعتدال، ونبذ الإسراف، وعدم الفساد في الأرض، والحرص على إعمارها وإصلاحها، واستثمار مواردها الطبيعية بتوازن يلبي حاجاته، ويوفر متطلباته الحياتية دونما إفراطٍ أو تفريط.

وانطلاقاً من ذلك فقد حدد الإسلام للبشرية مسارها السلوكيَّ البيئيَّ الصحيحَ، وبيَّن أن المحافظة على مقومات الحياة والبيئة تُعدّ مقصداً أساسياً من مقاصد الشريعة الإسلامية؛ لأن هذه البيئة هي منزله ومستقره الدنيوي الذي يمارس فيه مختلف أنشطته الحياتية، وهو ما أشار إليه سيد قطب بقوله: «فالمسلم يعرف ـ من تصوره الإسلامي ـ أن «الإنسان» قوةٌ إيجابية فاعلة في هذه الأرض، وأنه ليس عاملاً سلبيًّا في نظامها؛ فهو مخلوقٌ ابتداءً لِيُستخلف فيها، وهو



مُستخلف فيها ليُحقق منهج الله في صورته الواقعية: ليُنشئ ويُعَمِّر، وليُغيّر ويُطوّر، وليُصلح ويُنمّي. وهو معانٌ من الله سبحانه بجعل النواميس الكونية، وطبيعة الكون الذي يعيش فيه مُعاونةً له.. وهو مُعانٌ من الله كذلك بما وهبه من القوى والاستعدادات الذاتية» (١).

ولتعاظم المشكلات البيئية، وانتشار خطرها بصورة تجاوزت الحدود الزمانية والمكانية، حتى أصبحت خطراً حقيقيًا تُعاني منه البشرية في كل مكان؛ فقد حاولتُ في هذا الموضوع إبراز بعض مظاهر عناية الإسلام بالبيئية؛ خصوصًا أن المنظور الإسلامي يَعُدُّ تعامل الإنسان الإيجابي مع البيئة عبادةً شرعيةً يُثابُ عليها متى قُصد بها وجه الله تعالى، والامتثال لأوامر الدين وتعاليمه، وليس هذا فحسب، بل إن حُسن التعامل مع البيئة يُعَدُّ نوعاً من أنواع السلوك الحضاري الذي لا غنى عنه، ولا بديل له حتى تتم مواجهة هذا الخطر المتزايد، والحدّ من تعاظم مشكلاته ومخاطره.

موقف الدين الإسلامي من البيئة

يُعدّ موقف الإسلام من البيئة موقفاً إيجابياً ورائداً؛

البيئة النقية مصدر للسعادة

لأنه ينطلق في أساسه من المبدأ القرآني الخالد الذي ينهى الإنسان نهياً قاطعاً في أي زمانٍ ومكان عن الإفساد في الأرض بأي صورةٍ من الصور، وبأي شكلٍ من الأشكال، وخير دليلٍ على ذلك قوله تعالى: ﴿ولا تُفسدوا في الأرضِ بعد إصلاحِها ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين﴾ الأعراف: ٨٥.

ولا تنحصر عناية الإسلام بالمكونات البيئية المختلفة

أدرك الإسلام أهمية الحياة البرية مثل: الحيوانات، والطيور، والأشجار الطبيعية، والنباتات الرطبة، والحشائش. ودعا للحفاظ عليها جميعاً،وعدم إتلافها، أو تدميرها، أو حرقها، وعدم ذبح الحيوانات والطيور إلا للأكل

في النهي عن الإفساد في الأرض؛ بل تتعدى ذلك إلى الحث والترغيب في حُسن التعامل مع البيئة، والحرص على استثمارها، والإفادة من طاقاتها وخيراتها المختلفة؛ مع ضرورة العناية بها والمحافظة على سلامتها، وحمايتها من كل ما قد يضُرّ بها أو بمكوناتها، أو يُخلّ بتوازنها البيئي. وليس أدلّ على ذلك من تلك الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة التي رأت أن «حماية البيئة من التلوث واجبٌ دينيٌ على كل مسلمٍ ومسلمة قبل أن يكون واجباً تشريعياً تُصوّره بعض المؤسسات أو الهيئات التي تهتم بشؤون البيئة، وأن هذا الواجب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعبادات التي يقوم بها المسلم» (٢).

وفيما يأتي عرضٌ موجزٌ لأهم مظاهر عناية الدين الإسلامي ببعض المكونات البيئية الرئيسة التي تأخذ صوراً كثيرة، وأشكالاً مختلفة يمكن الإشارة إليها فيما يأتي :

أولاً: مظاهر عناية الإسلام بالإنسان

تتمثل مظاهر عناية الإسلام بالإنسان في أوجه التكريم الكثيرة التي كرّمه الله تعالى بها من النعم الظاهرة والباطنة التي تحدثت بها الآيات القرآنية الكريمة، ودعت إليها الأحاديث النبوية الشريفة؛ حتى كان الإنسان الصالح أهم عناصر البيئة وأكرمها على الإطلاق بدليل قوله تعالى: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرٍ ممن خلقنا تفضيلاً﴾ الإسراء: ٧٠.

اعتنى الإسلام بالثروة الحيوانية عنايةً كبيرةً؛ لأن الحيوانات تُعدّ عنصراً مهماً من عناصر النظام البيئي، إضافةً إلى كونها مصدراً رئيساً من مصادر غذاء الإنسان، وضرورةً من ضروريات الحياة اللازمة لأداء منافعه، وقضاء مصالحه المختلفة

ولعل من أبرز ما فُضِلَ به الإنسان أن سَخَّر له كل ما في الكون من مخلوقات «فقد جعل له السماء سقفاً محفوظاً، وجعل له الأرض بساطاً وفراشاً، وسخر الشمس تمده بالدفء والضياء، وسخر القمر له نوراً وحسباناً، وجعل الليل سكناً وراحة، وسخر الله له النهار للسعي والعمل، وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات والزروع مختلفة الطعوم والأشكال والألوان، وسخر له البحر يحمل سفنه التي تنقُله من مكانٍ إلى آخر، ويستخرج منه الطعام والحُلي، وأجرى له الأنهار ليشرب منها والحيوان والزروع» (٣). وهذا يعني أن الإنسان يُعدّ أهم عناصر البيئة وأكرمها، وأن مُقتضى هذه الأهمية وهذا التكريم يفرض أن تكون للإنسان السيادة على بقية العناصر والمخلوقات الأُخرى.

ومن مظاهر عناية الإسلام بالإنسان أن كفل له ما يُعرف في العلوم الشرعية بالضرورات الخمس التي لا يمكن أن تستمر حياته من دونها، وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ العرض، وحفظ المال.

كما أكد الإسلام أهمية النظافة العامة وضرورتها في كل شأنٍ من شؤون الإنسان، وفي كل جزئيةٍ من جزئيات حياته، سواء كانت النظافة في جسمه، أو ملبسه، أو مسكنه، أو مكان عمله، أو غير ذلك من الأماكن التي يوجد فيها، وما ذلك إلا لما يترتب على النظافة العامة والخاصة في البيئة من المنافع الكثيرة، والحماية من المخاطر الصحية التي عادة تنشأ عن تراكم الأوساخ، وكثرة انتشارها في البيئة.

وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة لتوضح مدى عناية الإسلام بالنظافة الجسمية، والمكانية، والفردية، والاجتماعية: فعن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)

قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشرة من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء (يعني الاستنجاء)». قال الراوي: «ونسيت العاشرة إلاّ أن تكون المضمضة» (رواه مسلم، الحديث رقم ٢٦١، ص ٢٢٣).

وهذا الحديث يدعو إلى المحافظة على النظافة الشخصية للإنسان بصورة تجعل من صاحبها صحيحاً، قوياً، جميلاً في هيئته، نظيفاً في جسمه كله، وقادراً على تحمل ما يُحيط به من الملوثات البيئية العادية.

وليس هذا فحسب فإن من صور عناية الإسلام بالإنسان أن دعت تعاليمه وتوجيهاته العظيمة إلى تربية الإنسان والمجتمع المسلم على جملةٍ من الآداب الفاضلة، والأخلاق الكريمة الكفيلة بالحفاظ على سلامة الإنسان، والحد من انتشار بعض صور التلوث البيئي في المجتمع من حوله. فعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن اخْتِناثِ الأسقية، يعني أن تُكْسَرَ أفواهُها فيُشْرَبَ منها» (رواه البخاري، الحديث رقم ٥٦٢٥، ص ٩٩٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «نَهَى النبي ﷺ أن يُشْرَبَ من فِي (فم) السِّقاء» (رواه البخاري، الحديث رقم ٥٦٢٨، ص ٩٩٧). والمعنى أن النبي ﷺ نهى عن الشرب المباشر من أفواه القِرَب أو ما في حكمها من أواني حفظ المياه التي يُقلب رأسها ثم يُشرب منه بالفم مباشرةً، لما قد يترتب على ذلك من تلويثها بريق الشارب أو أنفاسه، وبخاصة إذا كان مريضاً، وهذا فيه دعوة إلى استخدام الأواني الخاصة بالشرب، كالأكواب ونحوها.

وعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشراب، فقال رجلٌ: القذاة أراها في الإناء؟ قال: أهرقها. قال: فإني لا أروى من نفسٍ واحد؟ قال: فأبن (أي أبعد) القدح إذاً عن فيك» (رواه الترمذي،



في البيئة النظيفة خير كثير للإنسان

الحديث رقم ١٨٨٧، ج ٤، ص ٣٠٣). وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء» (رواه البخاري، الحديث رقم ٥٦٣٠، ص ٩٩٧).

وهكذا نلاحظ أن هذه الأحاديث النبوية الكريمة قد جاءت ببعض التوجيهات الكفيلة بالمحافظة على سلامة صحة الإنسان من التلوث الذي قد يحصل بالعدوى عن طريق التنفس، أو النفخ في الإناء الذي فيه الماء؛ وذلك «لأن تردد أنفاس الشارب يُكسب الماء رائحةً كريهةً، أو ربما يكون حاملاً لبعض الميكروبات أو الفيروسات التي لا نراها بالعين المجردة فتتسرب



إلى ماء الشرب، وتنتقل العدوى للآخرين»(٤).

ومما سبق يتضح أن عناية الإسلام بالإنسان تتمثل في عدة مظاهر تنطلق من كونه مخلوقاً مكرماً ومتميزاً من غيره من المخلوقات؛ وهذا ما يجعله القوة الإيجابية الفاعلة في الأرض، فكان عليه أن يُحسن استثمار ما سخره الله تعالى له من الخيرات والنعم والموارد البيئية المختلفة، وأن يضبط تصرفاته معها، وأن يكون أميناً في تعامله معها دونما إفساد أو إخلال بنظامها الذي تعمل به، وتسير عليه. وأن يحرص على نظافته، ونظافة بيئته، وأن يتحلى بالآداب الفاضلة والسلوكيات الحسنة التي تحد من انتشار بعض صور التلوث البيئي، وتعمل على حماية البيئة منها.

ثانياً: مظاهر عناية الإسلام بالثروة الحيوانية

اعتنى الإسلام بالثروة الحيوانية عنايةً كبيرةً؛ لأن الحيوانات تُعدّ عنصراً مهماً من عناصر النظام البيئي، إضافةً إلى كونها مصدراً رئيساً من مصادر غذاء الإنسان، وضرورةً من ضروريات الحياة اللازمة لأداء منافعه، وقضاء مصالحه المختلفة. قال تعالى: ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع ومنها تأكلون ❖ ولكم فيها جمالٌ حين تُريحون وحين تسرحون ❖ وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم ❖ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينةً ويخلق ما لا تعلمون﴾ النحل: ٥ ـ٨، وقال سبحانه: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين﴾ النحل: ٨٠.

والمعنى أن بقاء العنصر الحيواني واستمرارية وجوده في البيئة يكفُلان ـ بإذن الله تعالى ـ تحقيق التوازن البيئي المطلوب بما يُقدمه من وظائف مهمة، وما يؤديه من مهام إيجابية، إذ «تؤدي الطيور والحيوانات والقوارض عملاً مهماً في حماية البيئة من التلوث؛ أي: أنها تقوم ـ فضلاً عن كونها من المكونات الأساسية للنظام البيئي ـ بوظيفة العوامل الوقائية للنظام، إذ تُخلص النباتات من الحشرات الضارة. وتُشَكِّل هذه الحشرات أكثر من (٦٠ ٪) من غذاء الزواحف؛ وقد رأينا أيضاً أن الذئاب تفترس الحيوانات المريضة التي يُمكن أن تكون مصدراً للتلوث» (٥).

كما جاءت تعاليم الإسلام وتوجيهاته داعيةً إلى المحافظة على سلامة الطيور والحيوانات، والشفقة عليها، واحتساب الأجر في ذلك من الله تعالى. فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ

فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرَةً (نوع من الطير) معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحُمَّرة، فجعلت تفرش، فجاء النبي ﷺ فقال: "من فَجَعَ هذه بولدها ؟ ردّوا ولدها إليها» (رواه أبو داود، الحديث رقم ٢٦٧٥، ج ٣، ص ٥٥).

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئراً فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خُفَّهُ ثم أمسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له»، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً ؟ قال ﷺ: «في كُلِّ كَبدٍ رطبةٍ أجرٌ» (رواه البخاري، الحديث رقم ٢٣٦٣، ص ٣٨٠).

وتأكيداً لعناية الإسلام بالثروة الحيوانية كأحد أهم محتويات البيئة ومكوناتها الرئيسة؛ فقد جاء التحذير من تعذيب الحيوانات والطيور ونحوها، والترهيب من تجويعها، أو تحميلها ما لا تُطيق من الأعمال، والنهي الشديد عن التسبب في فنائها وهلاكها، فقد روي عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فرأى قرية نملٍ قد حرقناها، فقال: «من حرق هذه ؟»، قلنا: نحن، قال: «إنه لا ينبغي أن يُعذب بالنار إلا ربّ النار» (رواه أبو داود، الحديث رقم ٢٦٧٥، ج ٣، ص ٥٥).

وروي عن عمرو بن الشريد قال: سمعت الشريد يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قتل عصفوراً عبثاً عجَّ إلى الله عز وجل يوم القيامة، يقول: يا رب، إن فلاناً قتلني عبثاً، ولم يقتلني لمنفعة» (رواه النسائي، الحديث رقم ٤٤٤٦، ج ٧، ص ٢٣٩).

كما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: «من قتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها سأله الله عز وجل عن قتله، قيل: يا رسول الله، ما حقها ؟ قال: أن يذبحها فيأكلها، ولا يقطع رأسها ويرمي بها» (رواه النسائي، الحديث رقم ٤٣٤٩، ج ٧، ص ٢٠٦).

يُعدّ موقف الإسلام من البيئة موقفاً إيجابياً ورائداً؛ لأنه ينطلق في أساسه من المبدأ القرآني الخالد الذي ينهى الإنسان نهياً قاطعاً في أي زمان ومكان عن الإفساد في الأرض بأي صورةٍ من الصور، وبأي شكلٍ من الأشكال

والمعنى أن تعاليم الدين الإسلامي قد نهت عن العبث بأي عنصر من عناصر البيئة، كما نهت عن ذبح الحيوانات والطيور، وما في حكمها لغير حاجةٍ لازمة «وهذا النهي هو قمة التوازن، لأن له طرفين: ففي الطرف الأول يُسمح للإنسان بالانتفاع بأكل الحيوان لسد حاجاته الضرورية التي تحفظ حياته؛ لأنه أكرم عناصر البيئة. وفي الطرف الثاني يُنهى عن تجاوز ذلك إلى ذبح الحيوان لمجرد الإفساد، أو لتحقيق شهوة التسلط؛ لأن هذا الإفساد سيُلحق ضرراً بالغاً بعناصر (أُخرى) في البيئة .وبالإنسان نفسه على المدى البعيد» (٦).

وهنا يمكن القول: إن مظاهر عناية الإسلام بالثروة

أكد الإسلام أهمية النظافة العامة وضرورتها في كل شأنٍ من شؤون الإنسان، وفي كل جزئيةٍ من جزئيات حياته، سواء كانت النظافة في جسمه، أو ملبسه، أو مسكنه، أو مكان عمله، أو غير ذلك من الأماكن التي يوجد فيها



الإسلام يدعو إلى الحفاظ على الثروة النباتية

الحيوانية تنطلق من كونها أحد عناصر النظام البيئي الرئيسة التي تستوجب الحفاظ عليها والعناية بها؛ خصوصًا أنها توفر للإنسان كثيراً من المنافع المختلفة في حياته، إضافةً إلى أثرها الفاعل في الحفاظ على التوازن البيئي، والعمل على حل بعض مشكلاته بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

ثالثاً: مظاهر عناية الإسلام بالثروة النباتية

دعا الإسلام إلى المحافظة على الثروة النباتية والمسطحات الخضراء، والعناية بها، وعدم العبث بما فيها من الأشجار والشجيرات والنباتات المختلفة، أو التعدي عليها بأي صورة من الصور لغير مصلحة عامة، أو منفعة بينة؛ خصوصًا أن كثيراً من أنواع النباتات تُعدّ مصدراً مهماً وضرورياً لحياة الإنسان الذي يعتمد عليها كثيراً في غذائه، ودوائه، وتوفير متطلبات حياته المختلفة. ولذلك جاءت تعاليم الإسلام داعيةً إلى العناية والاهتمام بالنباتات، والإفادة من زراعة الأرض واستصلاحها فيما لا حُرمة فيه، ولا نهي، ولا شُبهة. فقد روي عن جابر (أن النبي ﷺ قال: «من كانت لَهُ أرضٌ فليزرعها، أو ليمنحها أخاه فإن أبى فليُمسكْ أرضهُ» (رواه البخاري، الحديث رقم ٢٦٣٢، ص ٤٢٥).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فَسيلَة؛ فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها؛ فليغرسها» (رواه البخاري في صحيح الأدب المفرد، الحديث رقم ٣٧١ / ٤٧٩، ص ١٨١).

كما روي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مُسلمٍ يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً فيأكل منه طيرٌ، أو إنسانٌ، أو بهيمةٌ؛ إلاَّ كان له به صدقةٌ» (رواه البخاري، الحديث رقم ٢٣٢٠، ص ٣٧٢). وما ذلك إلا لأن «زراعة الأرض بما يحتاج إليه الإنسان والحيوان من غذاءٍ ومأكولاتٍ (تُعَدُّ) أحد جوانب استثمارها، واستعمارها، والاستفادة من عطائها الوافر الغزير» (٧).

وليس هذا فحسب، فقد ورد التحذير والترهيب من التعدي على الثروة النباتية بالقطع والإبادة، لما روي عن عبد الله بن حبشي قال: قال رسول الله ﷺ: «من قطع سدرةً صوب الله رأسه في النار» سئُل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال: هذا الحديث مختصر يعني من قطع سدرةً في فلاةٍ يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حقٍ يكون له فيها، صوب الله رأسه في النار. (أبو داود، رقم الحديث ٥٢٣٩، ج ٤، ص ٣٦١).

كما ورد أن أبا بكرٍ الصديق أوصى أميراً من أُمراء جنده فقال: « .. وإني موصيك بعشرٍ؛ لا تقتلن امرأةً، ولا صبيًا، ولا كبيرًا هرمًا، ولا تقطعن شجرًا مثمرًا، ولا تُخرِّبنَّ عامرًا، ولا تعقرنَّ شاةً، ولا بعيرًا إلاَّ لمأكلة، ولا تُحرقن نخلاً، ولا تُفَرِّقنَّه» (مالك، رقم الحديث ٩٦٥، ج ٢، ص ص ٤٤٧ - ٤٤٨).

وهكذا يتضح مما سبق أن عناية الإسلام بتنمية الثروة النباتية وحمايتها، والحرص على زيادة رقعتها تنطلق من كون هذه «الأشجار والغابات الطبيعية تؤدي عملاً مهماً في تنقية الهواء من الغبار المُعَلَّق، وتوقف كمياتٍ كبيرةٍ من الغبار الساقط، كما تمتص الأشجار كمياتٍ كبيرةٍ من الغازات السامة» (٨).

من ذلك كله، يمكن القول: إن الثروة النباتية بما فيها من أشجارٍ وشُجيراتٍ ومُسطحاتٍ خضراء تُعدّ مكوناً رئيساً من مكونات البيئة، وموردًا رئيساً من موارد غذاء الإنسان، وحلاً مناسباً وملائماً للكثير من مشكلات التلوث البيئي؛ إضافةً إلى كونها تُسهم بفعالية في الحفاظ على التوازن البيئي المطلوب.

رابعاً: مظاهر عناية الإسلام بالهواء الجوي

تمثلت عناية الإسلام بالهواء الجوي والاهتمام بسلامته وحمايته من أسباب التلوث البيئي في صورٍ متعددةٍ، منها:

- عناية الإسلام بمعالجة بعض مشكلات التلوث البيئي الذي ينتشر في الهواء الجوي عن طريق انتشار الأوبئة والأمراض المُعدية التي تظهر في بقعةٍ معينةٍ أو مكانٍ ما من البيئة؛ بأن منع خروج من هم في ذلك المكان إلى غيره من الأماكن، كما منع قدوم الناس إلى ذلك المكان الموبوء ودخولهم إليه؛ لأن هواءه ملوثٌ - في الغالب - بجراثيم مُمرضة. فقد روي عن أُسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم بالطاعون بأرضٍ فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا منها» (رواه البخاري، الحديث رقم ٥٧٢٨، ص ١٠١٢). وبذلك يكون الإسلام قد فرض منذ ما يزيد على أربعة عشر

لأهمية المصادر المائية، وضرورة المحافظة على سلامتها، وعدم تلويثها. فقد نهى النبي عن التبول أو التبرز في الماء حتى لا يتلوث، ويُصبح استعماله ضاراً وخطراً على من يستعمله فيما بعد



المحافظة على مقومات الحياة والبيئة مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية

قرناً من الزمان ما يُعرف في عصرنا بالحجر الصحي أو العزل الذي يمكن من خلاله حصر الأوبئة والأمراض المُعدية في مكانٍ واحدٍ، وبذلك يمكن الحد ـ بإذن الله تعالى ـ من وسائل نقلها، وانتشار خطرها.

ـ تحذير الإسلام من خطورة اندلاع الحرائق وما ينتج عنها من مخاطر ومضار كبيرة، سواء على الإنسان أو البيئة من حوله، ولذلك جاء النهي النبوي الكريم عن ترك النار مشتعلةً في أثناء النوم، فعن ابن عمرٍ (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال: «لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون» (رواه البخاري، الحديث رقم ٦٢٩٣، ص ١٠٩٥).

وروي عن أبي موسى رضي الله عنه أنه قال: احترق بيتٌ بالمدينة على أهله من الليل فحُدِّث بشأنهم النبيُّ ﷺ قال: «إنَّ هذه النار إنَّما هي عدُوٌّ لكم فإذا نمتم فأطفئوها عنكم» (رواه البخاري، الحديث رقم ٦٢٩٤، ص ١٠٩٥).

وعن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «.. وأطفئوا المصابيح، فإن الفويسقة رُبَّما جَرَّتِ الفتيلة فأحرقت أهل البيت» (رواه البخاري، الحديث رقم ٦٢٩٥، ص ١٠٩٥). وقد أكد العلم الحديث أهمية هذا التوجيه النبوي الكريم، إذ «يمكن أن يُفسر سبب الأمر بإخماد النار، وإطفاء السراج قبل النوم، بأنه مدعاةٌ لتجنب حدوث حريقٍ وانتشاره. فالفويسقة (وهي الفأرة) ربما عبثت بفتيلة السراج، وتسببت بذلك





تلوث في الجو والبحر

في انسكاب زيت السراج على الأرض واشتعال النار فيه. . وهناك فائدةٌ أُخرى من إطفاء السراج وهي الاحتياط من حدوث تلوثٍ داخل المنزل نتيجة الاحتراق غير الكامل للوقود المستخدم في السراج، وهذا الأمر يؤدي إلى إطلاق غاز أول أُكسيد الكربون السام الذي يتسبب في الموت» (٩).

. الإشارة إلى الكيفية الصحيحة للتخلص من جُثث الموتى لمختلف الكائنات الحية، وذلك عن طريق الدفن الذي يواري الأجساد الميتة في التُراب؛ فيتم بذلك التخلص من بعض أسباب التلوث البيئي، وتتم حماية البيئة من كثيرٍ من المخاطر المحتملة التي تنشأ عن تحلل الجُثث، وانتشار روائحها الكريهة.

وهنا يمكن ملاحظة أن مظاهر عناية الإسلام بالهواء الجوي، ومنع تلوثه قد ركزت قديماً فيما كان معروفاً آنذاك من أسباب التلوث البيئي في هذا الجانب، ولم تتطرق إلى غيرها من الأسباب المعروفة في عصرنا، والتي جاءت نتاج تقنياتٍ صناعيةٍ حديثةٍ لم تكن معروفةً من قبل.

خامساً: مظاهر عناية الإسلام بالثروة المائية

بلغت عناية الدين الإسلامي بالثروة المائية مبلغاً عظيماً خصوصًا أن الماء ضروري ولازمٌ لكل الكائنات؛ انطلاقاً من قوله تعالى:﴿وجعلنا من الماء كل شيءٍ حي﴾ الأنبياء: ٣٠. ولذلك ورد النهي الشديد عن تلويث مصادر المياه بأي صورةٍ من الصور؛ لأن الماء يُعدّ في الإسلام حقاً مشاعاً لجميع الكائنات الحية في البيئة، وليس لأحدٍ أن يتصرف فيه بصورةٍ أو كيفيةٍ تؤثر في مصالح الآخرين ومنافعهم. فعن رجلٍ من المهاجرين من أصحاب النبي ﷺ قال: غزوت مع النبي ﷺ ثلاثاً أسمعه يقول: «المسلمون شُركاء في ثلاث، في الكلأ، والماء، والنار» (رواه أبو داود، الحديث رقم ٣٤٧٧، ج ٣، ص ٢٧٨). ولهذا فإن للثروة

تمثلت عناية الإسلام بالمنشآت والمرافق العامة في الكثير من التوجيهات النبوية الكريمة التي تدعو إلى ضرورة المحافظة عليها في أجمل صورها وأبهاها، وعدم إهمالها أو العبث بها أو تشويه جمالها

المائية على وجه الخصوص أهمية كبرى» وهذه الأهمية والضرورة تقتضيان من الإنسان حُسن التعامل معها، وتوظيفها فيما خُلق له، وعدم تلويثه أو استنزافه لتظلّ الحياة والأحياء، والاستفادة منها بحكمة وتعقل، والحرص على طهارتها ونقائها، حتى لا تكون بيئةً صالحةً للأمراض، وتعايش الميكروبات والفيروسات، ومن ثم تصبح مصدراً للهلاك والإهلاك» (١٠).

ولأهمية المصادر المائية، وضرورة المحافظة على سلامتها، وعدم تلويثها، فقد نهى النبي ﷺ عن التبول أو التبرز في الماء حتى لا يتلوث، ويُصبح استعماله ضاراً وخطراً على من يستعمله فيما بعد: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يبولَنَّ أحدُكم في الماءِ الدائم، الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه» (رواه البخاري، الحديث رقم ٢٣٩، ص ٤٤).

كما روي عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه «نهى أن يُبَالَ في الماء الراكد» (رواه مسلم، الحديث رقم ٦٥٥، ص ١٣٢). وما ذلك النهي النبوي الكريم إلا منعاً لما يترتب على هذا السلوك من المخاطر الصحية، وانتشار بعض الأمراض الخطيرة، وهو ما أشارت إليه إحدى الدراسات التي أكدت أن «هناك أمراضاً كثيرة تنتج من الاستحمام في الماء الراكد الذي سبق التبول فيه، من بينها: الكوليرا، والبلهارسيا، والأمراض المتوطنة والخبيثة» (١١).

وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتَّقُوا اللَّعَّانَيْن»، قالوا: وما اللَّعَّانان يا رسول الله ! قال: «الذي يتخلى (أي يتغوّط ويقضي حاجته) في طريق الناس، أو في ظلهم» (رواه مسلم، الحديث رقم ٦١٨، ص ١٢٧). وما هذا التحذير النبوي الكريم إلا لأنه «ثبت أن هذه الأعمال والتصرفات تُسبب الأمراض الوبائية المتوطنة، وتُساعد على انتشارها، ولا شك أن النهي عنها ينسحب على جميع الملوثات الأخرى التي تضر بصحة الإنسان والحيوان وبقية المخلوقات» (١٢).

ومما سبق يتضح أن عناية الإسلام بالثروة المائية تنطلق من كون الماء عنصراً مهماً وحيوياً ولازماً لاستمرار حياة مختلف الكائنات الحية التي تعتمد عليه اعتماداً

هلاك وإهلاك بفعل الإهمال







كبيراً في معيشتها، وهو أحد عناصر النظام البيئي الرئيسة التي يؤدي نقصه أو حدوث أي خللٍ فيه إلى كثيرٍ من المشكلات البيئية التي تُعرِّض حياة الإنسان والحيوان والنبات للخطر والضرر.

سادساً: مظاهر عناية الإسلام بالمُنشآت والمرافق العامة

تمثلت عناية الإسلام بالمنشآت والمرافق العامة في الكثير من التوجيهات النبوية الكريمة التي تدعو إلى ضرورة المحافظة عليها في أجمل صورها وأبهاها، وعدم إهمالها أو العبث بها أو تشويه جمالها، فعن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الملاعن الثلاثة: البُراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل» (رواه أبو داود، الحديث رقم ٢٦، ص ٧). وفي هذا الحديث تحذيرٌ شديد من إفساد بعض المرافق العامة وتلويثها المتمثلة في موارد المياه التي يردها الناس للإفادة من مياهها، والطرق التي لا يستغني عنها الناس لقضاء حوائجهم، ومتطلبات حياتهم، وأماكن الظل التي يرتادها الناس طلباً للراحة والمتعة. كما أن في الحديث دعوة إلى العناية بهذه المرافق والمنشآت، والمحافظة على سلامتها من التلوث البيئي الذي يؤدي إلى كثيرٍ من الأضرار الصحية التي تنتج من ذلك إذ «يتسبب وجود البُراز في الماء في التلوث بالطفيليات والفيروسات والروائح الكريهة والبكتيريا. وحين يكون البراز بكمياتٍ كبيرةٍ كما هي في تصريف مياه المجاري إلى المسطحات المائية، كالبحار، والأنهار، والبحيرات، والجداول؛ فإن ذلك يؤدي إلى استنزاف الأكسجين الذائب في مياه هذه المسطحات؛ وذلك في أثناء عملية التحلل



عدم الوعي البيئي يهدد مصادر المياه والكائنات الحية

البيولوجي للمواد العضوية الموجودة في مياه المجاري، وهو أمرٌ يؤثر في حياة الأسماك والأحياء المائية الأُخرى» (١٣).

كما أن من مظاهر عناية الإسلام بالمرافق العامة ما جاء في الحث على نظافة الطرقات وسلامتها، وإماطة الأذى عنها؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضعٌ وسبعون، ـ أو بضعٌ وستون ـ شُعبةً، فأفضلُها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمان» (رواه مسلم، الحديث رقم ١٥٣، ص ص ٣٨ ـ ٣٩).

وما روي عن أبي برزة رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا نبي الله ! علمني شيئاً أنتفعُ به، قال: «اعْزِلِ الأذى عن طريق المسلمين» (رواه مسلم، الحديث رقم ٦٦٧٣، ص ١١٤٣). ومعنى: اعزل الأذى؛ أي: الحث على إزالة كل ما فيه أذىً أو مضرةٌ للمسلمين وإماطته عن طريقهم، سواء كان قذراً، أو جيفةً، أو خطراً، أو شوكاً، أو نحو ذلك مما قد يتسبب في إيذاء الناس، وإلحاق الضرر بهم؛ وما ذلك إلا لأن «من حق الإسلام على المسلم ألاَّ يدَّخر وسعاً في إماطة الأذى عن الطريق ليجد السالكون في نظافتها وطهارتها تلبيةً للفطرة السليمة، و(حمايةً) لهذه الفطرة من أن تفسد برؤية الأذى» (١٤).

ومما يتبع للمرافق والمنشآت الدور والأفنية التي دعا الإسلام إلى الاهتمام والعناية بنظافتها، والحرص على عدم تعرضها لأي نوعٍ من التلوث، عن طريق المحافظة على نظافتها، وما في حكمها من الأماكن والمرافق والساحات والميادين التي يُقيم الإنسان بين جنباتها بصورةٍ دائمةٍ أو مؤقتة؛ «لأن تراكم الأوساخ في البيوت يُعطي الحشرات والجراثيم مجالاً رحباً للتكاثر والنمو، فضلاً عن انبعاث الروائح الكريهة التي تُزكم الأُنوف، وتجعل البيوت مكاناً لا يُطاق للإقامة به» (١٥).

سابعاً: مظاهر عناية الإسلام بتوفير الهدوء والسكينة

نهى الإسلام عن إحداث الضجيج والضوضاء والصخب، وأمر بعدم رفع الأصوات عن القدر المعتاد؛ لما يترتب على ذلك من إيذاءٍ للآخرين، وإخلالٍ براحتهم، وتلويثٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ لصفو حياتهم. وقد جاء الأمر بذلك في قوله تعالى: ﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ لقمان: ١٩.

كما روي عن أبي موسى الأشعري قال: كُنَّا مع النبي

في سفر، فكنا إذا علونا كَبَّرنا، فقال: «ارْبعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً قريباً» (رواه البخاري، الحديث رقم ٧٣٨٦، ص ١٢٧١). والمعنى أن منهج الإسلام ممثلاً في الهدي النبوي المبارك، ينهى الإنسان المسلم عن رفع الصوت وإحداث الجلبة والضجيج حتى عند الدعاء والذكر، وما ذلك إلا لأهمية المحافظة على الهدوء والسكينة في مجتمع المسلم، وبيئته التي يعيش فيها؛ وبذلك يتمكن الجميع من أداء أعمالهم، والقيام بواجباتهم، والاستمتاع بأوقات راحتهم، وعدم الانزعاج أو القلق من الأصوات العالية والضوضاء التي أشارت بعض الأبحاث العلمية إلى أنها «تُصيب الإنسان بعدد من الأمراض التي قد تنتهي بالجنون أو الوفاة. فمن الممكن أن يفقد الإنسان قدرته على التركيز الذهني؛ وبذلك يقل إنتاجه الفكري، وتكثُر الأخطاء. كذلك يؤدي الضجيج إلى إصابة الإنسان بالاكتئاب أو بأورام سرطانية قاتلة، بالإضافة إلى إصابة الإنسان بأمراض الأُذن، وتهيج الأعصاب، وربما تلفها» (١٦).

ثامناً: مظاهر عناية الإسلام بالحفاظ على الحياة الفطرية

قرَّر الإسلام مبدأ الحفاظ على الحياة الفطرية (نباتيةً أو حيوانية) دون تدخلٍ بشريٍ جائر، حتى لا تتعرض للهلاك والانقراض؛ ولتحقيق ذلك فقد «أدرك الإسلام أهمية الحياة البرية مثل: الحيوانات، والطيور، والأشجار الطبيعية، والنباتات الرطبة، والحشائش. ودعا للحفاظ عليها جميعاً، وعدم إتلافها، أو تدميرها، أو حرقها، وعدم ذبح الحيوانات والطيور إلا للأكل. كذلك كان الإسلام أول من قرر مبدأ المحميات الطبيعية، وأقام ثلاث محمياتٍ طبيعية في: الحرم المكي، وحرم المدينة، وحرم آخر بالطائف، وحدَّد حدودها، وقدَّر أبعادها. وسن الإسلام التشريعات المناسبة لحماية الحياة البرية بهذه الأماكن المحرمة؛ وبذلك كان له السبق في إدخال هذه التشريعات الحضارية المُتقدمة للحفاظ على البيئة» (١٧).

وهكذا يمكن القول: إن عناية الإسلام بالإنسان تتمثل في مظاهر متعددة تنطلق من كونه مخلوقاً مكرماً ومتميزاً من غيره من المخلوقات الأُخرى؛ وهذا ما يجعله بمنزلة القوة الإيجابية الفاعلة في الأرض، فكان لزاماً عليه أن يُحسن استثمار ما سخره الله تعالى له من الخيرات، والنعَم، والموارد البيئية المختلفة، وأن يضبط تصرفاته معها، وأن يكون أميناً في تعامله معها دونما عبثٍ، وإفسادٍ، أو إخلالٍ بنظامها الذي تعمل به، وتسير عليه. كما أن عليه

نهى الإسلام عن إحداث الضجيج والضوضاء والصخب، وأمر بعدم رفع الأصوات عن القدر المعتاد؛ لما يترتب على ذلك من إيذاء للآخرين، وإخلالٍ براحتهم، وتلويثٍ مباشرٍ أو غيرٍ مباشرٍ لصفو حياتهم

عناية الإسلام بتنمية الثروة النباتية وحمايتها، تنطلق من كون هذه "الأشجار والغابات الطبيعية تؤدي عملاً مهماً في تنقية الهواء من الغبار المُعَلَّق، وتوقف كمياتٍ كبيرةٍ من الغبار الساقط، كما تمتص الأشجار كمياتٍ كبيرةٍ من الغازات السامة"

العناية والاهتمام والحرص على نظافته الشخصية، ونظافة بيئته المحيطة به، والتحلي بالآداب الفاضلة والسلوكيات الحسنة التي تحد من انتشار بعض صور التلوث البيئي، وتعمل على حماية البيئة منها.

وختاماً، فإن مظاهر عناية الدين الإسلامي الحنيف بمكونات البيئة المختلفة تؤكد ـ بما لا يدع مجالاً للشك ـ أن مسؤولية حماية البيئة، والحفاظ عليها ينطلقان من منظور إسلامي شامل ومتكامل يهتم بجميع جوانب حياة الإنسان، ويُعنى بكل ما من شأنه تربية الإنسان التربية البيئية الصحيحة التي تقوم على أساس أن الله تعالى خلق البيئة، وأودع فيها كل مقومات الحياة، ثم سخرها ـ جل شأنه ـ للإنسان ليعيش فيها، ويستثمر مكوناتها ومواردها في الوفاء بمتطلبات حياته؛ وأنه ـ جلَّ في علاه ـ لم يتركه يتعامل معها تعاملاً عشوائياً، وإنما أرشده بطرائق ووسائل شتى إلى كيفية التعامل مع هذه البيئة من حوله بصورة تكفل له حُسن استثمار مواردها، والمُحافظة على خيراتها ومكوناتها، وترشيد استخدامها؛ ليضمن بذلك استمرار عطائها، وعدم استنزاف مواردها، أو إهدارها والقضاء عليها.

ولذلك فقد جاءت تعاليم الدين الإسلامي الحنيف بالكثير من التوجيهات والتعاليم التي توضح للإنسان كيفية التعامل الصحيح مع البيئة، بما فيها، ومن فيها، وترسم له الطريق الأمثل الذي ينبغي عليه أن يسير عليه، وتُبيِّن له المنهج الذي عليه أن يلتزمه في تعامله مع كل ما حوله من كائنات ومكونات؛ وهو ما يمكن أن نعدّه نظاماً تامًا، ومنهجاً متكاملاً للتربية البيئية في الإسلام.

المـراجـع

١. سيد قطب. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ط (٢)، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٥م، ص (١٨٦ ـ ١٨٧).

٢ ـ عبد الوهاب رجب هاشم بن صادق، التلوث البيئي، الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص (١٢).

٣ ـ محمد مرسي محمد مرسي، الإسلام والبيئة، الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص (٤٥).

٤. مختار سالم، الإبداعات الطبية لرسول الإنسانية، بيروت: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص (٦٤).

٥ ـ حسين مصطفى غانم، الإسلام وحماية البيئة من التلوث، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص (٢٢٠ ـ ٢٢١).

٦ ـ إبراهيم بن عبد الله السماري، الإسراف في المجال البيئي وموقف الإسلام منه، رسالة الخليج العربي، العدد (٥٥)، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ص (٧٦).

٧ ـ عبد الرحيم الرفاعي بكرة، أُسس التربية البيئية في الإسلام، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص (٤١).

٨ ـ حسين مصطفى غانم، الإسلام وحماية البيئة من التلوث، مرجع سابق، ص (٦٠).

٩ ـ محمد عبد القادر الفقي، البيئة: مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث «رؤية إسلامية»، القاهرة: مكتبة ابن سينا، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص (٢٢٢).

١٠ ـ عبد الرحيم الرفاعي بكرة، أُسس التربية البيئية في الإسلام، مرجع سابق، ص (٤٦).

١١ ـ محمد مرسي محمد مرسي، الإسلام والبيئة، مرجع سابق، ص (١١٨).

١٢ ـ محمد مرسي محمد مرسي، الإسلام والبيئة، المرجع السابق، ص (٣٨).

١٣ ـ محمد مرسي محمد مرسي، الإسلام والبيئة، المرجع السابق، ص (١١٩).

١٤ ـ أحمد ربيع عبد الحميد خلف الله، والسعيد محمود السعيد عثمان، التربية البيئية ـ دراسة لمعالجة بعض قضايا البيئة من منظور إسلامي، مجلة التربية، العدد (٢٠)، القاهرة: جامعة الأزهر: كلية التربية، ١٤١١هـ /١٩٩١م، ص (١٥٥).

١٥ ـ محمد عبد القادر الفقي، البيئة: مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث «رؤية إسلامية»، مرجع سابق، ص (٢١٩).

١٦ ـ علي علي السُكري، البيئة من منظور إسلامي، الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٩٥م، ص (٦١).

١٧ ـ علي علي السُكري، البيئة من منظور إسلامي، المرجع السابق، ص (٢٠).



ضحايا الإرهاب الأحمر

عائدة قاسموفا بنت شاهلار

باكو ـ أذربيجان

عصفت زوبعة سوداء في ثلاثينيات القرن العشرين على بقعة تشغل ثلث الكرة الأرضية، وتسمى الاتحاد السوفييتي، وقضت هذه الزوبعة الهوجاء على حياة كثير من المثقفين بالإعدام والحبس والنفي. ومن لم تبد حياته، أبيدت هويته، وطُمست ذاكرته، وشُوّهت شخصيته. ربما إبليس هو الذي كان يسود نفوس زعماء الشيوعيين آنذاك، وطال سلطانه في هذا المكان أكثر من أي مكان آخر.

ما في الأرض من معشر وجماعة وقوم إلاّ وعانت من فتن إبليس. وكانت هذه الفتن أشد وأقسى في مملكة البلاشقة، حيث برق سلطان الخيانة والجهالة والاستبداد أكثر من سبعين سنة، في مملكة انعزلت عن جميع العالم بالستائر الحديدية التي أصبحت عشرات الشعوب تئن وراءها تحت التدهور المعنوي والجهل، وانعدام الحرية، وانتشار الفساد، دون أن تجد لديها قدرة على الفكاك من هذا الواقع الأليم.

في قلعة حمراء حدثت جرائم ضد الإنسانية، وسُحقت الأدمغة المفكرة للشعوب الكثيرة ـ الروس والبلروس والجورج والأزباك والتاجك والأذريين والقوميات الأخرى بإبادة مثقفيها، وقتل أحرارها، ونفي أبرارها. كل هذا لتحويل هذه القوميات إلى معشر لا ديني معدوم من هويته وماضيه، محروم من تراثه وثقافته، بعيد عن عقيدته وإيمانه، ومن أجل تحقيق هذه المكايد الشيطانية حُرّكت جميع أجهزة الدولة، ووسائل الدعاية، وشاعت الشعارات الباطلة، والمبادئ المبتذلة، والأفكار الكاذبة الملفقة، عوضًا عن القيم



الأصيلة الحقيقية، والثروات المعنوية القديمة، وقطعت الرؤوس التي لم تقبل هذه الأكاذيب، وجُذرت الألسنة التي لم تكرّر هذه الملفقات والمبتذلات، وأبيدت الأنفس التي قامت ضد هذه الخطط الخبيثة بحكم جلسات المحكمة التي كانت تُكوَّن آنذاك من ثلاثة أشخاص وما تدوم عادة أكثر من ربع ساعة أو عشرين دقيقة، أعدم كثير من المثقفين الذين كان أكبر جرمهم حبهم للوطن، وأشد إثمهم إيمانهم بالله تعالى، وأعظم قبيحتهم كونهم أصحاب العلم والمعرفة.

إن الوحشيات والهمجيات التي حدثت في المحابس والسجون البلشفية كانت أشد قسوة وضراوة مما حدث في المعتقلات الفاشية، إذ وُجّهت ضد نخبة الأمم من الشعراء والأدباء والعلماء ورجالات الدين لمحوهم محوًا جماعيًا.

لن تُنسى هذه البشاعة، ولن تطمس هذه الوصمة السوداء على تاريخ البشرية. والغاية التي أتطلع إليها من وراء هذا المقال هي أن أطلع إخواننا العرب على ما جرى في أَذَرْبِيجان في أثناء هذه السنوات المظلمة



حسين جاود مع زوجته موشكيناز وابنه آرتوغرول وابنته توران

مرتكزًا على مصائب حسين جاود - وهو فحل من فحول الشعراء الأذريين، تقترن حياته بهذه الأزمنة المدهشة، وكذلك على بلايا أصحاب اليراع الآخرين من أصدقائه، فهم أحمد جواد، وميكائيل مشفق، وألماس بيلديريم، وغيرهم، الذين قُتلوا بحكم البلاشفة في ثلاثينيات القرن الماضي، وكذلك على مصير أقربائهم الذين عانوا كثيراً خلال هذه الأعوام المرعبة. لم أستطع أن أبحث في هذه الكوارث بلسان علمي هامد، بل دفعتني شدة الشفقة والرأفة والهيجة إلى أن ألجأ إلى أسلوب روائي - وثائقي يرسم لنا حقائق الإرهاب الأحمر بلسان عاطفي. تستند قصتي هذه إلى الوقائع التاريخية والمستندات ومحفوظات أرشيفات KGB التي كشفت الستار عنها بعد انحطاط الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٩١م. وانتفعت في مقالي هذا من مؤلفات باكر نيبوف، ورفائيل حسينوف، وجلال قاسموف، وجميل حسنوف، وناسيمان

كانت أذربيجان تتعرض للنكالات والاضطهاد فقد كان موقعها الجغرافي على أبواب الشرق والغرب يقلق زعماء البلاشقة. وأدت سياستهم التي استندت إلى استنزاف الخيرات. وطمس الذاكرة. ومسخ الهوية. إلى تصاعد الحركات المناوئة

يعقوبلو، وطاهرة محمدوفا، وفيروز أحمدلي، وكمران علييوف، وغيرهم، الذين أبدوا البراعة والتفاني في استظهار المعلومات المخفية، واستقراء إبداع ضحايا الإرهاب الأحمر، أما حديثي عن حياة جاود في منفى سيبيريا فاتكأت فيه على مذكرات هؤلاء القليلين من المحبوسين الذين تسنى لهم الإنقاذ من المعتقلات البلشفية، خاصة على كتاب «جزائر قولاق» للأديب الروسي البارز أليكساندر سولجينيسين.



حسين جاود مع زوجته موشكينار وابنه آرتوغرول عام ١٩٢٢م

يوم واحد في سيبيريا

سيبيريا.. لن نفهم ما هية هذه الكلمة إن لم نذكر أن شهور الشتاء تدوم في هذه البقعة من نوفمبر/ تشرين الثاني حتى مايو / أيار، وتكون خلال هذه المدة درجة البرد ٥٠ تحت الصفر، وتبلغ أحيانًا ٦٠. «أما الأيام التي تمر بالدرجة ٣٠ - أو ٤٠ - فيحسب الجو فيها ملائمًا جيدًا.

كانت سيبيريا منذ آمد بعيد منفى للعناصر المنشقة عن الحكم القيصري في روسيا، وبعد أن حصل البلاشفة على السيطرة على روسيا كسرطان مترامي الأطراف، كثرت في هذا المكان السجون والمعتقلات، وأصبحت سيبيريا أهم مجزرة للقضاء على السجناء السياسيين. كل يوم عربات القطار المحمولة بالمحبوسين كانت تُحَرّك إلى ذلك الزمهرير لكي يلقى بعضهم موتهم في هذه السبل المرهقة، ويجد بعضهم الآخر حتفهم الحتمي في معتقلات مدهشة. مثل هولة مريعة تدفعهم هذه المعتقلات إلى أحضان الهلاك الذي أصبح مصيرًا لا مفر منه. البرد والجوع والأمراض إلى جانب تعسف المأمورين في المحابس وضراوتهم وفظاعتهم ترسم لنا اللوحة الحقيقية للحياة في سيبيريا. وكانت الحياة أقسى لمن جاء من البلدان المعتدلة أو الحارة الهواء مثل أذربيجان أو وسط آسيا.

وفي يوم مصقع قارس من أيام ديسمبر/كانون الأول

أحد ضحايا الإرهاب الأحمر كان القاضي السابق لما وراء القوقاس مير محمد بن مير جعفر. كان صاحب النفوذ البالغ في باكو. واتّهم في تلك الفترة المظلمة بنشر الدعوة إلى الإسلام. وكان ضليعًا في العربية. متبحرًا في علوم القرآن الكريم. وفي الأحاديث النبوية الشريفة

عام ١٩٤١م بقيادة الخفراء يمشي المعتقلون إلى الغابة لقطع الأشجار، وهم يجرون أرجلهم بصعوبة، وترتعش أجسادهم من شدة البرد، فقطع الغابات هو من أثقل الأعمال وأشدها في سيبيريا، بحيث يُحقّق هذا العمل المرهق دون المكنات والآلات التكنيكية، ويسقط المحبوسون الأشجار الهائلة بأيديهم المتجمدة المرتعشة.

في ذلك اليوم البارد كأن كل الموجودات قامت ضد هؤلاء البائسين: الأرض المثلجة المنزلقة، والسماء المتغيمة المدلهمّة، والطقس القارس، والرياح الباردة، والخفراء والحراس الجائرون المعتسفون، وكذلك هذه الأشجار الهائلة التي باتت مثل اخطبوط تمتص ما بقي عندهم من القوى، وهم متروكون مدحورون يلتمسون الملاذ والحرارة بعضهم عند بعض، يذهبون منكمشين ملتصقين بعضهم ببعض، بهيئتهم المشؤومة، وألبستهم الرثة، وأبدانهم الناحلة المقشعرّة. وكثيرًا ما كان السجناء في سيبيريا يموتون هكذا متعانقين، وبخاصة المعتقلون من وسط آسيا، كانت تعثر على أجسادهم وهم متعانقون ملتصقون بعضهم ببعض ثناء ثناء أو ثلاث وثلاث تحت الأشجار أو عند السبل(١).



ميكائيل مشفق مع زوجته ديلبار

جاود الأديب المفكر

وكان بين المحبوسين المشوهون العجزة والكسح أيضًا، والنظام الظالم لا يرحمهم، بل يجبرهم على العمل الشاقّ حتى انطفاء آخر شرارات الحياة في أبدانهم. على الأكسح أن يجمع الثلج الذي يبلغ ارتفاعه عادة نحو متر أو أكثر، وينظف الساحة لتسهيل عمل الأصحاء إذا جاز التعبير. وبين الكسح رجل أعمى يقدم متكئًا على عصاه، يرتفع رأسه وينتصب محاولاً ألا يتقوّس. هو حسين جاود، شاعر آذربي بارز، ومفكر كبير، ومسرحي ذو قريحة مدهشة، وقد فقد ضياء عيونه بعد سنة من نفيه إلى هذا المكان - أقصى أراضي سيبيريا، وهو الآن أوشك أن يفقد حركة رجليه. وعلى الرغم من جميع المشقات والعوادي التي عدت عليه، لم يفقد جاود نبالته وشهامته، وعيناه العمياوان قد اختبأت في غورهما



بويوك هانم أخت ميكائيل مشفق التي اشتعلت بنار الإرهاب

أفكار مبهمة تخبر عن لا نهائية وعي الإنسان، عن إيمانه الوثيق، وعن حبه القوي للحرية.

حتى منظره الشقي لم يستطع أن يكتم ثقافته الواسعة الآفاق. هكذا السجناء الآخرون ما كانوا أناسًا عاديين، بل هم المثقفون من أصحاب اليراع، ورجالات الدين والفلاسفة، والعلماء والشعراء والأدباء، والفنانون والملحنون والممثلون الذين بحكم القضاء الجائر اضطروا الآن إلى الأعمال الجسمانية الشاقة، وفي هذه المجازر ما كانوا يموتون هم أنفسهم فحسب، بل كذلك حكمهم المتعددة غير مقولة، وأشعارهم الكثيرة غير منشدة، ولوحاتهم الجميلة غير مرسومة، واختراعاتهم القيمة غير ظاهرة. كأن الدهر قصد وتعمد على تقييد علمهم الفياض، وإبادة ملكاتهم غير العادية، وقرائحهم الوهاجة. هذه القرائح المخنوقة التي كانت تظهرإشراقاتها في أثناء همساتهم المسائية فيما بينهم في زنزانتهم الباردة الخشبية، وهذه الهمسات هي التي كانت تنقذهم من المحو المعنوي، وتشيع إشراقات أفكارهم إلى الأطراف، وتعطي للحياة في المعتقلات انسجامًا روحيًا غريبًا. وكم من أفكار نبيلة، وملاحظات قيمة سمعت هذه الغابات المدهشة، وهذه الطرق المثلجة، وهذه التخشيبات المظلمة القذرة، التي قمعت، وطمست من دون الاستظهار.

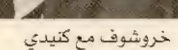
وفيما بعد، على مر السنوات تبين أن الكثير من المخترعات العلمية القيمة، التي حاز بها أصحاب العلم في الغرب على أعلى الجوائز والاحترام، قد استشفتها هذه الهمسات في ألسنة هؤلاء المنفيين البائسين الذين لم يروا احترامًا وإكرامًا لعلمهم الواسع، كما هو الحال في جميع العالم، بل على العكس تأذوا منه (٢). إذ كان زعماء الثورة من البلاشفة يخافون من الوعي والعقل والتفكر أكثر من أي شيء آخر، ويحاولون القضاء على القيم المعنوية للشعوب، وعلى ارتباطها بأصولها وماضيها؛ لكي تبذر في الأدمغة الفارغة البكرة أفكارهم المبتذلة الباطلة، ولهذا الغرض بدأ الحكم البلشفي من أوائل قيادته بعمليات اجتياح المثقفين اجتياحًا جماعيًا يشمل جميع أنحاء البلد بجميع قومياته.

في عام ١٩١٩م الكاتب الروسي المعروف ماكسيم غورك كان مندهشًا من وحشية هذه العمليات وقساوتها التقى لينين، وفي أثناء حوارهما حاول أن يؤكد لينين إيقاف هذا الاجتياح، ويزعم أن المثقفين هم دماغ الشعب، وإبادة هذا الدماغ - لا شك - ستؤدي إلى العاقبة الوخيمة للمجتمع، فأجاب لينين قائلاً: «ليس المثقفون مخ الشعب، بل هم نجاسته».

وأصبح الأمر على المثقف أشد إذا كان من المؤمنين. كان حسين جاود منهم، ولد من أب روحاني ذي نفوذ واحترام بين الناس، وعلى يديه تعلم جاود اللغتين العربية والفارسية، وعلوم القرآن والحديث



سجناء لايعرفون مصيرهم



خروشوف مع كنيدي

النبوي الشريف. كان المؤمنون ورجالات الدين يندمغون آنذاك بعار العداء أكثر من أي شخص آخر، إذ كان زعيم البلاشفة لينين إنسانًا كافرًا ملحدًا. لا دينية الزعيم أثارت أتباعه وخلفاءه، وأدى الأمر إلى أن الإلحاد أصبح سياسة أيديولوجية أساسية للدولة، ولكنهم في بداية حكمهم لم يحاربوا المعتقدات والديانات لكي ينالوا تأييد المؤمنين ودعمهم، بل أعلنوا عدم التدخل في المعتقدات والدين، والتزموا حماية المؤمنين، مع كل الأسف يجب أن نذكر أنه حينما استقرت، وتعززت سطوتهم، تبخرت جميع وعودهم، وأعلن الحزب البلشفي على رجالات الدين حربًا لا هوادة فيها.

ثمة مؤشرات لا تغيب عن نظر المراقب للأحداث التاريخية حينئذ. لستر نذالتهم وضراوتهم، فقد كان الشيوعيون يزعمون أن كل إنسان يمكنه الإيمان بالله، وهذا أمره الفردي الشخصي، ولكن لكي لا يفسد التربية المعنوية للناشئين السوفييت «بالخرافات

حينما ظهر في أحد المعتقلات مرض وبائي خطير قضى على حياة عدد من المحبوسين من وسط آسيا. أغلق الحراس الباب بدلاً من عزل السجناء الآخرين من تلك الزنزانة حتى مرضوا، وماتوا جميعًا، وبهذه الطريقة السهلة تخلصوا من المرض الخطير

الدينية» يجب على المؤمن ألاّ يظهر إيمانه بالأعمال والقول. هكذا حرمت قراءة الكتب المقدسة، وزيارة المساجد والكنائس والمعابد التي سرعان ما أغلقت، ودمرت، أو تحولت إلى المحابس والسجون، وألغيت الأعياد الدينية. إهمال مثل هذه المحرمات كان يحدث استياء الدوائر الحكومية، ويؤدي إلى حبس المؤمن وإعدامه أو نفيه كعنصر معادٍ للمبادئ الثورية.

مأساة أذربيجان

كانت أذربيجان آنذاك تتعرض للنكالات والاضطهادات أكثر من أي مكان آخر. هذا البلد المسلم من سوء حظه كان غنيًا بالثروات الطبيعية والثروات المعنوية القيمة التي يعود تاريخها إلى الأعصر القديمة، وكانت أذربيجان في القرون الوسطى من أهم المراكز للحضارة الإسلامية. وفي بداية القرن العشرين اشتعلت فيها جمرة الحضارة، وجذوة المعرفة من جديد. موقع أذربيجان الجغرافي على أبواب الشرق والغرب كان يقلق زعماء البلاشقة. وبعد انتصار ثورة أكتوبر /تشرين الأول في روسيا سرعان ما أخذ البلاشفة في دوام سياسة القيصر الروسي الاستعمارية بإرسال الجيش الأحمر إلى الأراضي

كان الإرهاب الأحمر يطحن، ولا يرحم حتى الأطفال. ففي إحدى المدارس كان التلاميذ يلعبون ويتداعبون في أثناء الفسحة، فأسقطوا من الحيطان دون قصد وعمد لوحة كبيرة ممتلئة بالرسوم والكلمات الثورية. فقبض على خمسة منهم بتهمة النشاط المعادي للثورة

المنسلخة من روسيا بعد انحطاط القيصرية. وفي أبريل / نيسان عام ١٩٢٠م احتلّ البلاشفة الروس أذربيجان، وقضوا على الحكومة المحلية باستخدام السلاح، وأدت سياستهم التي استندت إلى استنزاف الخيرات، وطمس الذاكرة، ومسخ الهوية، إلى تصاعد الحركات المناوئة، وهذا ما أثار موجة عارمة من النكالات الحمراء التي اتجهت ضد أعضاء حزبي «المساواة»، و«الاتحاد» اللذين كانا يمثلان القوى الديمقراطية حينئذ. ولقمع أفكار الحرية طفحت المحابس والسجون بالمحبوسين الذين كان أكثرهم من نخبة المجتمع التي انضمت إلى الحركة التحررية، وكانت هذه الاعتقالات موجة أولى للإرهاب الأحمر (٣).

على مر الزمن بدأت الاضطهادات تترامى، وتشمل الطبقات الأخرى للمجتمع، ولم ينفذ من قبضاتها الفلاحون الذين كانوا يعلّقون آمالاً كبيرة على الشيوعيين. الحكومة الاشتراكية الخداعة أعطت لهم في البداية المزارع التي صودرت من الأعيان والملاّكين، ولكن لم تدم سعادة الفلاحين طويلاً، إذ أعيدت هذه المزارع، بإنشاء الكلخوزات، والسوفخوزات التي ضمت إليها جميع الحقول الزراعية. وشرعت الموجة الثانية للإرهاب الأحمر (٤). الفلاحون المناوئون اعتقلوا في الحال، وأعدم بعضهم، وأرسل بعضهم الآخر إلى المنافي. وفي ذلك الزمن المظلم أبيدت في آذربيجان أسر وقرى إبادة جماعية. ثمة قرى ومناطق تعرضت للتسفير والتهجير بأسرها في أثناء عمليات كلخزة (أي تكوين) الاقتصاد الزراعي الاشتراكي، وعانى منها كل فلاح ملك عدة رؤوس من المواشي أو الأغنام، حتى الدجاجات هي الأخرى صودرت (٥). وعانت المملكة من الجوع والفقر والعدم.

أما الموجة الثالثة من النكالات فبدأت في



سجناء في صالة الطعام بسيبريا

ثلاثينيات القرن العشرين، وتأذى منها المثقفون (٦). وقد أبيد خلال السنتين في أذربيجان بالإعدام رميًا بالرصاص عشرات الآلاف من الشعراء والأدباء والعلماء ورجالات الدين، وغيرهم، الذين نشؤوا وتربوا على غير الماركسية - اللينينية، وكانت مكنة الاجتياح تطحن بلا توقف، وتسحق الأدمغة المفكرة.

كان حسين جاود هو الآخر بين الذين قبضتهم أهواء الاضطهاد السياسي بقبضته الجائرة، فقد بدأت مصائبه ومصائب كثير من المثقفين بعد خطاب ستالين في ٥ من شهر مارس/ آذار عام ١٩٣٧م في مؤتمر الحزب الشيوعي حين قال: «إن الجواسيس والمخرّبين البعيدين عن المبدئية والأيديولوجية قد تحولوا إلى عصابة المغتالين. وعلى الشيوعيين الحقيقيين إبادتهم إبادة حتمية، وتجذيرأصولهم في المجتمع، بكونهم خونة الوطن، وأعداء الشعب» (٧)، وأثار هذا الخطاب موجة شديدة من الاعتقالات. وتألم منها الأحرار والأبرار في كل بقعة من البلد السوفييتي، أصبح كل شاعر وأديب لا يثني على النظام الاشتراكي، ولا يمدح زعماء

الاشتراكية ملقيًا نفسه في التهلكة. هكذا كان شأن حسين جاود الذي قد ذاع صيته آنذاك عبر البلدان المسلمة بوصفه شاعرًا متدفق الملكات، ومسرحيًا بارزًا فتنت مؤلفاته القلوب والعقول. وكان بعيدًا في روائعه عن الأفكار الاشتراكية المبتذلة هو وأصدقاؤه من أصحاب اليراع، كانوا ينتفعون في موضوعات مؤلفاتهم من الحوادث التاريخية والدينية الحافلة بالعبر والحكم؛ لكي ينوّروا بها الوعي القومي، حتى في أشعارهم العاطفية أو المخصصة لوصف محاسن الطبيعة تلاحظ أصالة ونبالة وأناقة تخدم تنوير الوعي، وتبعث الإدراك في الأمة.

ووضع جاود الروائع المسرحية، أمثال «النبي»، و«إبليس»، و«قصاص إبليس»، و«تيمور الأعرج»، و«الشيخ صنعان» التي لم تستجب للطلبات الأيديولوجية المبتذلة للبلاشقة؛ ولهذا السبب تسميه الجرائد الرسمية «بمسرحي عنيد متعنت لا يرغب في الاشتراك في بناء حياة جديدة»، و«صاحب المؤلفات المضادة لكفاح الكادحين». ومن جراء هذه الاتهامات يقول زعيم الشيوعيين في أذربيجان مير جعفر باقروف في إحدى جلسات الحزب الشيوعي: «انظروا من هم هؤلاء الكتاب الجالسون في اتحاد الكتاب؟ هم حسين جاود، وميكائيل مشفق، وأحمد جواد، وعلي ناظم، وتقي شاهبازي، والرذلاء الأدنياء الآخرون» (٨). هذا السباب على لسان الأمين العام للحزب الشيوعي كان يساوي آنذاك الحكم بالإعدام.

... كان البلد على وشك الاعتقالات والإعدامات، وكانت مكنة الموت تطحن بلا انقطاع وتوقف. كذلك مكنة الدعاية تتحرك لكي توطن الناس على الموت والاجتياح. ويرسم الموت على أنه حادثة اعتيادية. تسطر الصحف والمجلات الأخبار الحزينة والتعازي بسبب وفاة شخص بارز، وبمهابة هائلة تحتفل الذكريات على وفاة الأفذاذ من العلماء والشعراء والثوريين حينما تنسى ذكريات مواليدهم (٩). هكذا يدخل الموت إلى الأفكار والبسيكولوجيا قبل أن يدخل إلى الحياة والمعيشة، ويخبط خبط عشواء، ويقبض على أرواح أفذاذ الأمة، أمثال حسين جاود وزملائه.

الطرقات على الباب

ها قد بلغ المحبوسون إلى ساحة الغابة التي يلزم قطع أشجارها، بجانب الساحة أكوام الأشجار المقطوعة، هنا وهناك تحت الثلج الكثيف تبدو أجساد الذين لقوا حتفهم في أثناء العمل. كل ضربة على الأشجار تقطع ليس الأشجار فقط، بل الأيام والسنين من عمرهم.

شرع الكسح في العمل بتنظيف الساحة من الثلج، ثم الأصحاء يحاولون قطع الأشجار الهائلة بالفؤوس. وتنبعث الأصوات على الأطراف: دق، دق، دق... حتى في سيبيريا هذه الدقدقات تثير الرهبة والروعة، مثل هذه الدقدقات على الأبواب أصبحت بداية التعاسة والشقاوة في حياة الكثير من الناس، ربما في الثلاثينيات كانت الطقطقات على الباب شيئًا أرهب ليس دونه رهبة. حتى صوت عادي على الباب بسبب الريح أو الكلب والقطط يكفي أن ترتجف له النفوس، وتشتد خفقات القلب، وتصفرّ الوجوه! كم من منزل خرب بعد هذه الطرقات! وكم من أمهات فقدن أولادهن الأعزاء من آباء فارقوا أهلهم على أثرها! وكذلك أصدقاء جاود وزملاؤه ضاعوا واحدًا بعد آخر بعد الطرقات على الباب، أعدم أغلبهم،، نفي بعضهم الآخر، وحبس أعضاء أسرتهم، وطردوا إلى الأمكنة النائية، حتى أولادهم الصغار تعرضوا للاضطهاد،

وخمدت الأضواء، وانطفأت المصابيح في بيوتهم.

منهم: الشاعر البارز أحمد جواد آخندزاده، ولد في عام ١٨٩٢م في قرية سيف علي التابعة لمنطقة كشمير، وتلقى العلوم في الكُتّاب، وتعمق في دراسة اللغات، ثم قراءة القرآن وهو في السابعة من العمر، وكان متبحرًا في العربية والفارسية والتركية وآدابها، مما مكّنه من التدريس في مختلف المدارس الثانوية والعالية بعمق ذكائه، وسعة أفقه، وروعة أشعاره، أصبح من أبرز مثقفي عهده. اشترك في الحياة السياسية لبلده، وانضم إلى حزب «المساواة» الذي كان ينطلق من المبادئ الأصلية المتكئة على وحدة القيم الإسلامية بالمصالح التركية القومية، والأفكار الحديثة.

لأحمد جواد عدة دواوين من الشعر، وهو مؤلف نشيد دولي لأول جمهورية ديموقراطية ظهرت في الشرق - جمهورية أذربيجان الديموقراطية التي لم يدم عمرها أكثر من سنتين، وباحتلال أذربيجان من قبل الجيش الأحمر ألغيت هذه الجمهورية، وتعرض أعضاء حزب المساواة للاضطهاد الأحمر. وفي تلك الفترة المظلمة اعتقل أحمد جواد لقيامه ضد الاحتلال البلشفي وسرّح بعد سنتين، وأصبح فيما بعد في الثلاثينيات من أوائل ضحايا الإرهاب، وهذا بسبب أشعاره التي كانت تثير عند القراء عواطف حب الوطن، والافتخار بماضيه المجيد، خاصة شعره «البحيرة الخضراء» التي نظمت لوصف جمال البحيرة الواقعة في منطقة كنجا في أذربيجان، وقد أثار نقمة ونفرة عند الدوائر الحكومية من رموزه المكتومة التي أشار بها المؤلف إلى القيم الإسلامية، أمثال: اللون الأخضر والقمر والنجمة، وما إلى ذلك، إذ كان قد انعكست هذه الرموز حينئذ في لواء جمهورية أذربيجان التي قضى البلاشفة على كيانها (١٠).

إعدام المبدعين

في الرابع من شهر يونيو / حزيران عام ١٩٣٧م اعتقل أحمد جواد بتهمة عضوية منظمة معادية للثورة تدعو إلى انفصال أذربيجان عن الاتحاد السوفييتي كدولة مستقلة. في ١٢ ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٣٧م حكم عليه بالإعدام رميًا بالرصاص، وهذا خلال جلسة محكمة لم تدم أكثر من ٢٠ دقيقة. نفذ الحكم في اليوم التالي في ١٣ ديسمبر / كانون الأول.

ومنهم ميكائيل مشفق ضحية من ضحايا الإرهاب الأحمر، وهو شاعر شاب، ذو موهبة لا مثيل لها.. ولد في سنة ١٩٠٨م في منطقة خيزي لأذربيجان، ماتت أمه وهو في الثانية من عمره، ترعرع في مشقة وفقر، ولكن ملكاته غير العادية في العلوم والآداب وقريحته الشاعرية أدت إلى أنه اشتهر في الدوائر الأدبية شاعرًا ذا موهبة هائلة.

كان الأدب الأذري آنذاك في ذروة ازدهاره، فقد أنجب رعيلاً من الشعراء والأدباء البارزين الذين كان من عاداتهم الاجتماع في مجالس ينشدون فيها الأشعار، فهم يطلقون كلمة ما لقرض شعر حولها، وكان مشفق يرتجل قبل كل شاعرآخر، ويجمع في شعره بين الإصابة والأناقة. سمّاه حسين جاود «ملك

إن زعماء الحزب الشيوعي، خاصة خروشوف الذي رأس الحزب الشيوعي بعد ستالين، حاولوا أن يوقفوا عجلات مكنة الإرهاب الأحمر، ودانوا سياسة ستالين المتكئة على الاضطهاد والنكالات. وكذلك على الحب لشخصية ستالين. ودمرت تماثيله، ومزّقت صوره

الشعراء في أذربيجان». كان يجيد الفارسية وأية قصيدة يسمعها بالفارسية ينشدها مرتجلاً بالتركية أو بالعكس. وفي الرابع من شهر يونيو / حزيران عام ١٩٣٧م، اعتقل مع أحمد جواد بتهمة الاشتراك في جلسات المنظمة السرية المعادية للثورة، وهو في ريعان عمره، إذا كان ابن ٢٩ سنة. وكانت أشعاره من الاتهامات الأساسية في حبسه لكونها بعيدة عن حركة الثناء المبتذل للمبادئ الاشتراكية. كان الشاعر لا يجيب عن طلبات الشيوعيين عندما شنّ الثوريون البروليتاريّون هجوماً ضد الحضارة والتراث القديمين، خاصة ضد آلات العزف القومية لإلغائها وتبديلها بآلات العزف الروسية. قرض مشفق شعره المشهور عن «تار» - آلة العزف القديمة في أذربيجان، ودعا الناس إلى تخليد مثل هذه الثروات القومية التي تحمل القيم الأصلية الخاصة بماضي الشعب، وفي ٤ يناير/كانون الثاني عام ١٩٣٨م حكم عليه الإعدام رمياً بالرصاص، ودامت جلسة محكمته ربع ساعة فقط، نفّذ الحكم في اليوم التالي (١١).

فيما بعد، بعدما مضت على قتله سنوات طويلة، ذكر جلاد مشفق إعدامه، وقال: قبل أن أنفذ الحكم أشربوني الخمر، كما هو العادة في عملنا، عندما دخلنا زنزانة مشفق أنا ومدع، وطبيب، وحارس في السجن وجدناه مندهشاً مستنداً إلى الحائط، حيرتني عيونه بنظراتها المبهمة المدهشة، وصعب علي قتله، ولكي أرميه من الظهر طلبت منه أن يحول وجهه إلى الحائط، وكررت طلبي هذا ثلاث مرات، ولكنه لم يتحرك.

جمعت كل إرادتي، وأمطرت عليه الرصاصات. بعد قتله ضغط الحارس على الزر المثبت في الحائط، وحرّك المحرك الذي أنزل الأرض تحت جسد مشفق، وسمعنا طبطبات المياه التي غسلت دمه، وحملت أمواج المياه جسده إلى قعر البحر (١٢). هكذا وجد مشفق مقره في بحر قزوين الذي كان يمدحه، ويصف جماله أكثر من أي شاعر آخر .

وأحد ضحايا الإرهاب الأحمر كان القاضي السابق لما وراء القوقاس مير محمد بن مير جعفر. كان صاحب النفوذ البالغ في باكو ونواحيها، واتّهم في تلك الفترة المظلمة بنشر الدعوة إلى الإسلام، وكان ضليعاً في العربية، متبحراً في علوم القرآن الكريم، وفي الأحاديث النبوية الشريفة، قد ترجم «القرآن الكريم» إلى الأذرية بتفسيره وتأويله، كذلك برع في ترجمة روايات جرجي زيدان المرتبطة بتاريخ الإسلام - «غادة كربلاء»، و«عذراء قريش»، و«أرمنوسة المصرية»، و «١٧ رمضان» عندما حبس فتش منزله فوجدت فيه ٣٩ نسخة «للقرآن المعادي للثورة» فأعدم رمياً بالرصاص لنشر الدعوة إلى الإسلام، وهو عجوز تخطى ٨٣ سنة من عمره (١٣).

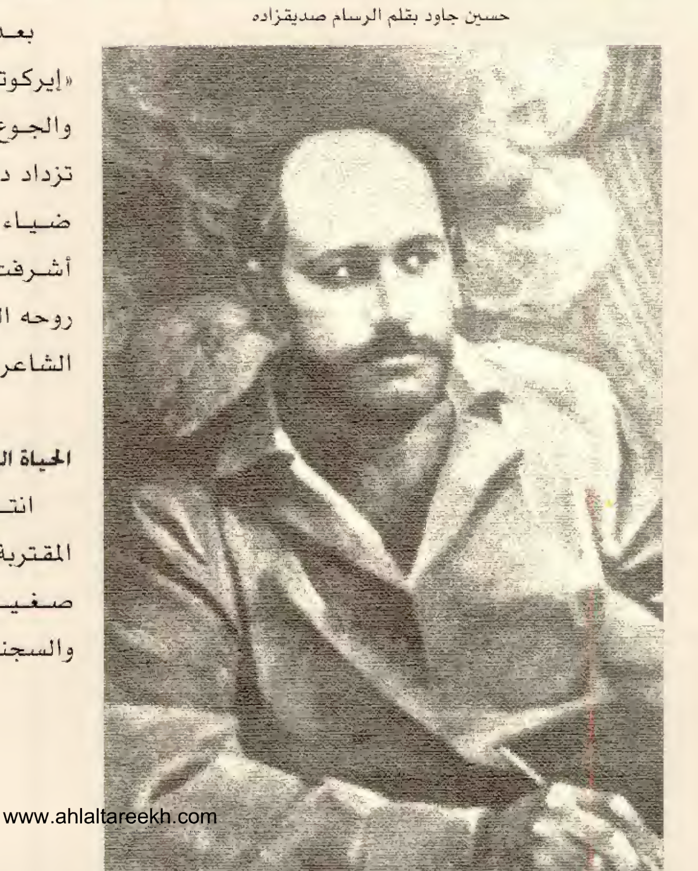
من بين المثقفين الذين كانوا مبعث شبهة عند البلاشقة ألماس بيلديريم الذي استطاع وحده أن يهرب، وينقذ من الإعدام. هرب هو وزوجته وابنه الصغير هرب من موطنه إلى داغستان، وبعد مدة إلى طاجكستان للانتقال إلى إيران. ومن إيران إلى تركيا. قبض عليه في منطقة متاخمة للحدود من قبل جنود

كان جاود محبوساً من الدرجة الثانية، ولهذا السبب لم يحبس أهله، ولكن زوجته وأولاده ذاقوا شتى الآلام والعذاب التي أحدثها الاضطهاد والجور والظلم التي تعرضوا لها بعد حبس معيلهم. أما أسر المحبوسين من الدرجة الأولى فيعجز القلم عن وصف ما تحملوا من بلاء ومصيبة

حرس الحدود وعدّوه جاسوسًا سوفييتيًا، وآذوه بشتى أنواع العذاب لكي يعترف بإثمه، وضعوه في ماء مثلج ٢٠ يومًا في الأيام القارسة من الشتاء. تجلّد وتجمّد بدنه، وبعد أن تيقنوا أنه ليس جاسوسًا أطلقوا سراحه، وارتحل إلى تركيا. وقد تعرض لمرض التهاب الكليتين على أثر ما لاقى من حرس الحدود، وتأذى من هذا المرض طوال عمره، وانتقل إلى رحمة ربه عام ١٩٥٢م في تركيا. كانت أشعاره محرمة في أذربيجان خلال الحكم السوفييتي، وتسنى لشعبنا الاطلاع عليها بعد انهيار الدولة السوفييتية (١٤).

ومن بين هؤلاء حسين جاود الذي كان يعرف علم اليقين أنه سوف يطرق بابه يومًا ما، ولا بد من ذلك وهو يحاول أن يسهر الليالي لكي يفتح هو نفسه بابه

حسين جاود بقلم الرسام صديقزاده



أمام المصير المفزع في ليلة اليوم الرابع من شهر يونيو / حزيران طرق بابه، ودخل منزله الغرباء من إدارة التحري، واعتقلوه بتهمة النشاط المعادي للثورة. وفتشوا منزله حتى الصباح، وأخذوا جميع مؤلفاته المنشورة والمخطوطة، والكتب التي اعتنى باقتنائها خلال أعوام طويلة. لم تسرع السلطات لإعدامه بوصفه شاعرًا ذاع صيته، وتجاوزت شهرته حدود أذربيجان، وآثروا إبادته إبادة متوانية بطيئة، وقرئ عليه الحكم بالحبس لمدة ٨ سنوات، وبقي سنتين في سجون باكو، ثم أرادوا تعجيل هلاكه فأرسلوه إلى سيبيريا.

خلال الأيام والأشهر الطويلة، كان المحبوسون يُحملون بعربات القطار المظلمة دون النافذة إلى زمهرير سيبيريا بالجوع والبرد والعفن والأمراض تقضي على حياة كثير من المنفيين في هذه الطرق المرهقة. حينًا بعد حين كان باب العربة يفتح لقذف أجساد الموتى.

بعد مدة وصل جاود إلى «مقادان»، ومنها إلى «إيركوتسك»، فهي أقصى منطقة في سيبيريا. البرد والجوع والعمل الشاق وممارسة الحراس التي كانت تزداد دائمًا وحشية وضراوة أدت إلى أن يفقد جاود ضياء عيونه بعد سنة، وفي أواخر السنة الثانية أشرفت رجلاه على الشلل (١٥)، وما بقي من جاود إلا روحه الخالدة، وذكاؤه العميق، وخلقه الكريم، وموهبته الشاعرية غير العادية.

الحياة الرخيصة

انتبه جاود من أفكاره على أثر أزيز السيارة المقتربة، فقد جاؤوا للمحبوسين بطعام الغداء: قطعة صغيرة من الخبز الأسود، وماء غالٍ بالقُراص، والسجناء المرتجفون من شدة البرد يشربون على عجل



تماثيل لينين بالجملة في كل مكان

هذا المائع المسمى بـ «المرق».. يستغرق جاود في التخيلات. هذا الإنسان الحكيم، على الرغم من سعة أفقه، وعمق ذكائه، لا يفهم ماهية هذه السياسة المعادية للإنسانية، التي تسعى إلى إذلال الإنسان بكل واسطة ممكنة، سياسة مصاصي الدماء والجلادين الذين لا يرحمون أي شخص في سبيل غاياتهم الباطلة، والسفاحين الذين يحاولون حفظ سيطرتهم الجائرة بسفك الدماء والإرهاب والاضطهاد والتهديدات، وهم فصلوا هؤلاء المنفيين من ديارهم، وأجبروهم على الأعمال الشاقة من مطلع الشمس حتى مغيبها لإنشاء المدن والقرى وشق الطرق والقنوات في زمهرير سيبيريا. كل هذا من دون أية عناية بصحتهم وحياتهم ليستطيعوا دوام أعمالهم، لا يكاد يمر يوم دون هلاك السجناء، حتى الدفن لا يتيسر لأكثرهم، أصبحت الحياة في المعتقلات رخيصة، هذا لأنه كل يوم تصل العربات المحمّلة بالمنفيين الجدد عوضًا عمن ماتوا.

يقال: إن يهوديًا اسمه فرينكلين هو الذي وسوس لستالين باعتقال الناس جماعيًا للاستفادة من قواهم في الأعمال الإنشائية لارتقاء الاقتصاد، وهنا يجب علينا أن نرسل نظرة عابرة على تاريخ البلد الاقتصادي. ما بعد ثورة أكتوبر / تشرين الأول سرعان ما كلكل على البلد الجوع والعدم، ولكي ينقذ البلد من قبضة الجوع؛ حرك لينين مشروعًا جديدًا مسمى «بالسياسة الاقتصادية الجديدة»، وأتاحت هذه السياسة للقطاع الخاص بعض الإمكانيات، ونما الاقتصاد قليلاً، وظهر في المدن والقرى بعض الرابحين، ولكن النظام الاشتراكي عدو لكل ملكية خاصة، لهذا السبب أوقفت هذه السياسة في الحال، واعتقلوا المدنيين والقرويين الذين استطاعوا أن يربحوا ثروة ما، وصودرت جميع أملاكهم. وكان بينهم فرينكلين هذا الذي أثرى من بيع الأيقونات القيمة من الكنائس، والأشياء العتقية الأخرى للأجانب.

حسين جاود، شاعر آذربي بارز، ومفكر كبير، ومسرحي ذو قريحة مدهشة، فقد ضياء عيونه بعد سنة من نفيه إلى أقصى أراضي سيبيريا وعلى الرغم من جميع المشقات والعوادي لم يفقد جاود نبالته وشهامته وحبه القوي للحرية

عندما تعرض فرينكلين لمصادرة أملاكه والحبس، طلب بإصرار لقاء ستالين مؤكدًا أنه صديقه القريب. التقى ستالين، ودام حوارهم أكثر من ٤ ساعات وهو يقدم لستالين بعض النصائح، ويعطي الأفكار بصدد تنشيط الاقتصاد في البلد، ويشير إلى وسائل الحصول على القوة العاملة الرخيصة لتعمير الأراضي في سيبيريا، أي يوسوس له أن الاعتقالات الجماعية تخلص البلد من القوى المنشقة المناوئة من جانب، ومن جانب آخر تحصل الدولة على القوى الرخيصة لشق الطرق والقنوات، وإنشاء المدن الجديدة في الأمكنة البعيدة عن المركز (١٦). يتشبث ستالين بهذه الأفكار، ويتهالك عليها، وهو إنسان ذو تخيلات مريضة برانوئية يبحث في كل مكان عن الأعداء والجواسيس، وسرعان ما تضاعف عدد المعتقلين عدة مرات، مما أدّى إلى إقامة المشروعات، وتنفيذ الخطط، والدوائر الحكومية العالية تعيّن كل شهر عدد المعتقلين، وتستلذ الدوائر المحلية هذه المشروعات الوخيمة. كثيرًا ما كان الناس يقبض عليهم من دون أي جرم أو خطأ بمجرد الاشتباه. لا يتحدد النفي بأشخاص وأفراد فقط، بل ثمة شعوب وقوميات هجّرها ستالين جماعيًا إلى سيبيريا، وصحارى قازاخستان. وهم من الشعوب القوقاسية المسلمة.

كان جاود يكره هذا النظام القبيح، الذي كان ينقم منه بسبب حبه للوطن والشعب، واشمئزازه من المبادئ الاشتراكية المبتذلة. ومن بين المنفيين «أعداء الثورة» الذين هم أنفسهم لا يفهمون سبب اعتقالهم؛ لأنهم أناس بسطاء لا تهمهم السياسة. حبسوا بالاتهامات المزورة الملفقة؛ لأن الدولة كانت تحتاج إلى الأيدي العاملة الرخيصة.

بسطاء في قبضة الإرهاب الأحمر

مثلاً: كان بين المحبوسين نجار كان يعمل في إحدى المؤسسات في أعمال التصليح، وفي أثناء العمل خلع سترته، ولم يجد مكانًا ليضعها، فعلق السترة على يد تمثال لينين. فكان جزاؤه الحبس مدة ١٠ سنوات؛ لأنه لم يحترم زعيم الثورة.

منفي آخر قد اعتاد أن يوقّع على الأوراق، ويومًا من الأيام وقع على صورة ستالين في الجريدة عفوًا غير متعمد، والثمن الباهظ لهذا الإهمال هو حبسه مدة ١٥ سنة.

كان الإرهاب الأحمر يطحن، ولا يرحم حتى الأطفال. في إحدى المدارس كان التلاميذ يلعبون ويتداعبون في أثناء الفسحة، فأسقطوا من الحيطان دون قصد وعمد لوحة كبيرة ممتلئة بالرسوم والكلمات الثورية، فقبض على خمسة منهم بتهمة النشاط المعادي للثورة، فأرسلوا جميعًا إلى مخيم الأطفال في سيبيريا. وبقي الأطفال من سن ١٢ مدة ١٥ سنة، والأطفال في سن ٥ مدة ٥ أعوام.... إلخ..

حبست امرأة لفعاليتها المضادة للثورة، بقي طفلها المفطوم الصغير في منزلها يبكي بلا انقطاع، وتذهب جارتها إلى الإدارة الحكومية، تقول: إنها لا تعرف كيف تتصرف بهذا الطفل اليتيم، ومجيئها يثير الاشتباه في الإدارة، لشفقتها على يتيم «خائن

كانت سيبيريا منذ أمد بعيد منفى للعناصر المنشقة عن الحكم القيصري في روسيا. وبعد أن حصل البلاشفة على السيطرة على روسيا كسرطان مترامي الأطراف. كثرت في هذا المكان السجون والمعتقلات. وأصبحت سيبيريا أهم مجزرة للقضاء على السجناء السياسيين

الوطن»، تعتقل هذه المرأة هي الأخرى وتنفى، ويبقى أطفالها في البيت أيتامًا يتباكون.

شاب قروي جاء إلى المدينة، وبحث عن مطعم ما دائرًا حول محطة السكة الحديدية، مما لفت أنظار رجال التحري الذين رأوه شخصًا مثيرًا للشبهة، ينظر إلى البناية ذات الأهمية الدولية بالنظرات المتفحصة، ويقبض عليه في الحال، ويرسل منفيًا إلى سيبيريا. هكذا كان يزداد عدد الذين لا يعرفون لأي سبب حبسوا، ويقبلون اعتقالهم كمصير لا مفر منه، وكبلاء نازل من السماوات.

أما السجون والمعتقلات فكانت يطغى فيها التعسف والضراوة والمجاعة والأمراض، لا خدمة طبية حتى بلوغ مرحلة الموت.

حينما ظهر في أحد المعتقلات مرض وبائي خطير قضى على حياة عدد من المحبوسين من وسط آسيا، فأغلق الحراس الباب بدلاً من عزل السجناء الآخرين من تلك الزنزانة حتى مرضوا، وماتوا جميعًا، وبهذه الطريقة السهلة تخلصوا من المرض الخطير. كثيرًا ما كان المحبوسون أنفسهم يؤثرون الموت على الحياة القاسية، ففي عام ١٩٢٨م أعلن أكثر من ١٠٠ سجين من أذربيجان الامتناع عن الطعام في أحد مخيمات

كان بين المحبوسين المشوهون العجزة والكسح أيضًا. وكان النظام الظالم لا يرحمهم، بل يجبرهم على العمل الشاقّ حتى انطفاء آخر شرارات الحياة في أبدانهم. على الأكسح أن يجمع الثلج وينظف الساحة لتسهيل عمل الأصحاء إذا جاز التعبير

«سولوفيتسك» التي تتميز بالقساوة والفظاعة والوحشية التي لا مثيل لها، ولم يقطعوا إضرابهم هذا حتى ماتوا جميعًا من الجوع.

وتحدث كل هذه الوحشيات وراء الستائر الحديدية، في بلد منعزل عن جميع العالم.

خيالات تطير على باكو

بعد أعمال شاقة مرهقة يعيد الحراس المحبوسين إلى الزنزانات الخشبية للمبيت: يذهب جاود بصعوبة، وهو يتأذى من شدة الوجع والألم في قدميه، ويحس بحرارة مرتفعة في جسده، كان يعتقد حينما أتى إلى سيبيريا أنه سوف تحدد مدة اعتقاله، وسوف يرجع إلى وطنه. يا لها من خيبة الأمل! هل ينقذ الإنسان من هذه المجزرة؟ كلما تشددت المتاعب والوحشيات والجور في المحبس، وكلما فقد جاود عقبها عافيته، وحُرم من ضياء عينيه، وحركات رجليه، وكلما ازداد يقينًا بأن مقره الأخير سيكون في سيبيريا، ازداد قلقًا على أهله المحبوبين الذين غادرهم في باكو. ويبدو أنه كان محظوظًا؛ لأنه تمكن من الكتابة إلى عائلته، بينما هناك من المنفيين من حرم من مثل هذا الحق، ولم يسمح لهم أن يكتبوا إلا كلمات «أنا بخير، كل شيء على ما يرام، سنلتقي في الأزمنة القريبة». هذا لكيلا يعرف أحد شيئًا عن همجيات السلطات ووحشياتها في هذه المعتقلات. أما الرسائل التي كان يتسلمها من باكو فمن وراء الكلمات الطيبة المشجعة المتفائلة كان يشعر بالآهات والأنات المكتومة. الحزن والكدر والآلام الكثيفة نزلت بكلكله آنذاك على أذربيجان. إن الاتهام بالخيانة للوطن، والعداء للشعب كانا يبعثان لأعضاء أسر المتهمين مشقات لا حد لها. ربما كان الاتحاد السوفييتي بلدًا وحيدًا في العالم، حيث وُجدت التهم،

أمثال: «زوجة خائن الوطن»، أو «ولد عدو الشعب»، وما إلى ذلك. ومن المحبوسين من كانوا من الدرجة الأولى: أي: حُكم عليهم بالإعدام، وكان أعضاء أسرتهم يعتقلون أيضًا.

كان جاود محبوسًا من الدرجة الثانية، ولهذا السبب لم يحبس أهله، ولكن زوجته وأولاده ذاقوا شتى الآلام و العذاب التي أحدثها الاضطهاد والجور والظلم التي تعرضوا لها بعد حبس معيلهم.

أما أسر المحبوسين من الدرجة الأولى فيعجزالقلم عن وصف ما تحملوا من بلاء ومصيبة. عندما حُبس، وأعدم أحمد جواد، قبض على ولديه الأول في سن ١٦، والثاني في سن ٢١ من العمر. أما ولداه الصغيران فانفصلا عن أمهما، وأرسلا إلى بيت الأيتام. اعتقلت كذلك زوجته شكرية، ونفيت إلى سيبيريا مدة ٨ سنوات، وقد اقترحت لها السلطات الطلاق من أحمد جواد عوضًا عن سراحها، إلا أنها ردّت، ورفضت، وتحملت عذاب المنفى (١٧).

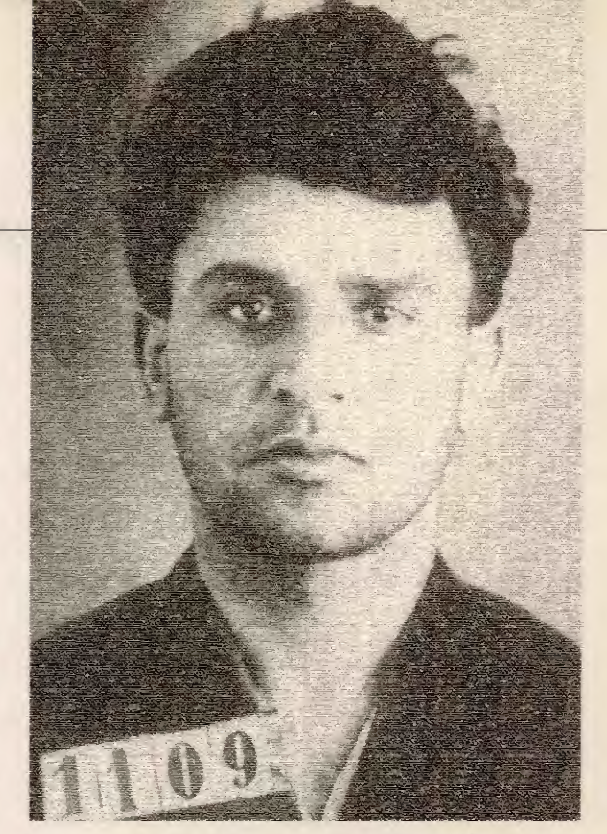
أما ميكائيل مشفق فلم يكن له أي قريب غير زوجته وأختيه، حبست زوجته ديلبار، ولكن أعضاءها لم تتحمل وحشيات السجن، وسرعان ما تعرضت لمرض نفسي (شيزوفرينيا)، غادرت السجن إلى مستشفى الأمراض النفسية، ثم حبست أخته الصغيرة بالاجا هانم، وأرسلت إلى المنفى، وبعد إنهاء مدة اعتقالها لم يؤذن لها بالرجوع إلى باكو، وعاشت في مختلف مناطق أذربيجان. أما أخت مشفق الكبيرة بويوك هانم، فأثناء مجيء رجال التحري إلى منزلها - وكانت قد تزوجت قبل عدة أشهر - التمست الإذن لكي تبدّل لباسها في الغرفة المجاورة، ودخلت المطبخ، وأخذت الكبريت والإناء المملوء بالنفط، وبعد بضع دقائق ظهرت بلباسها الجديد المشتعل بالنار. اشتعل بدنها اشتعالاً شديدًا أمام عيون رجال التحري، وأخذ زوجها اللحاف، ولفّها محاولاً إنقاذها بلا جدوى (١٨).

أما أسرة جاود فصودرت جميع أملاكهم بعد اعتقاله، وأخرجوهم من منزلهم المريح، ونقلوهم إلى غرفة صغيرة رطيبة.

الحرمان والعدم والجوع وأنواع العذاب المعنوية كانت من نصيبهم بعد حبس معيلهم آرتوغرول، وبنته توران كانا لم يبلغا بعد سن الرشد، وكانوا يقتّرون على أنفسهم قدر المستطاع لكي يرسلوا طرود البريد

أحمد جواد أعدم عام ١٩٣٨م





ميكائيل مشفق المحبوس رقم ١١٠٩ أعدم عام ١٩٣٨

لجاود. كان الناس يتولون عنهم، ويشيحون عنهم، ويفرون منهم كأنهم مبتلون بالجذام، ومن يبد رأفة وشفقة لأعضاء أسرة «خائن الوطن» كان يلقي نفسه في التهلكة، ويتعرض للاضطهاد والنكال.

عندما مرضت زوجة جاود موشكيناز، لزمت المستشفى وهي تعاني الحمى، فما إن عرف الطبيب شخصيتها وأنها زوجة جاود طلب منها أن تترك المستشفى. كانت مثل هذه المعاملات تقع عليهم

ميكائيل مشفق لم يكن له أي قريب غير زوجته وأخته. حبست زوجته ديلبار. وسرعان ما تعرضت لمرض نفسي (شيزوفرينيا). غادرت السجن إلى مستشفى الأمراض النفسية. ثم حبست أخته الصغيرة بالاجا هانم. وأرسلت إلى المنفى

كالطعن في قلوبهم. وُجد بين الناس من استعذب مداهنة السلطات، فهذا جارهم ينى حائطًا أمام نافذتهم الصغيرة الوحيدة في منزلهم الجديد، وأغرقهم في الظلام.

وهنا لا يسعنا إلاّ أن نذكر أن زوجة جاود وأولاده صمدوا لهذه المحن القاسية بدعم النبلاء والأبرار الذين لم يتركوهم في الشدة على الرغم من عن التهلكات والتهديدات، مثل: عزيز حاجيبايوف، الملحن الكبير، صاحب أول أوبرا في الشرق، وميرزى إبراهيموف، الكاتب البارز، وبلبول المغني الشهير، والآخرون...

الحياة القاسية والمنزل الرطب والآلام والمحن أدت إلى تعرض آرتوغرول بن جاود لمرض السل، وبصرف النظر عن مرضه، أرسلوه إلى الجبهة عندما بدأت الحرب مع ألمانيا الفاشية، وتضاعف مرضه، وتعقد حتى قضى على حياته، وعلى الرغم من قصر عمره خلّف بعده أشعارًا أنيقة، وبعض مؤلفات موسيقية تخبر عن قريحته واستعداده، حتى في سيبيريا كان جاود يبني له مستقبلاً عظيمًا في أحلامه.

الشرارة الأخيرة

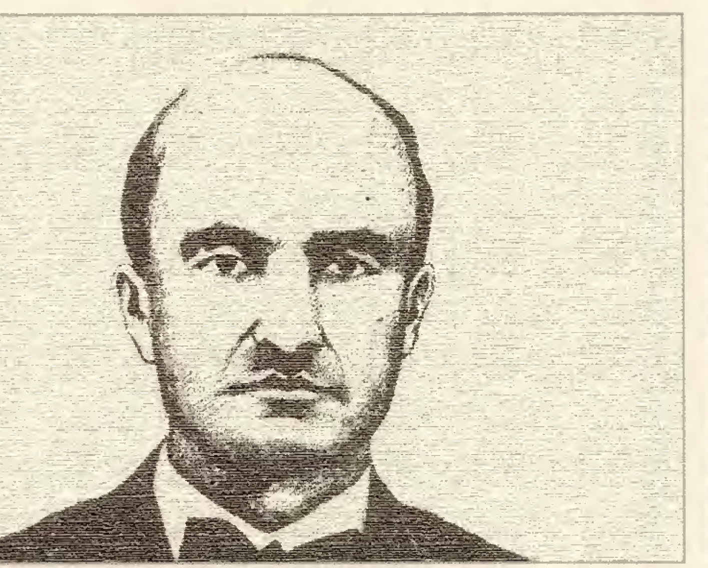
رجع جاود إلى محبسه بصعوبة، وهو يحسّ بألم شديد في رجليه، وفي المساء نفسه ارتفعت حرارته، وتورمت رجلاه، حتى لم يستطع القيام من الفراش، وقضى أيامه الأخيرة في زنزانته ملازمًا الفراش، ومتألمًا من التقيّح، وبهمسات ضعيفة طارت على لسانه قصيدة أنشدها بالتركية قبل ٣٠ سنة متنبئًا عن مصيره الحالي:

فيما مضى كنت بحبيبي مسرورًا
بالمعاني ضليعًا وبالأسرار خبيرًا
كلما ازداد فضلي وكمالي
ارتفعتُ، ارتفعتُ إلى المعالي

تألمتُ، تأذيتُ يومًا من الأيام
واكتفيتُ بروحي المحزونة في الآلام
كلما ازداد اضطرابي وبلاياي
طرتُ أنا في أجنحة الخيال:
إذا ناس كلمات مبهمة يروون
ينظرون إليّ فهم لا يروون

«الدجال، الدجال، الدجال كلهم»
فورًا زال نوري منقشعًا
ألزمت محبسًا مظلمًا بشعًا
تمردتُ انتفختُ بلا جدوى
تحملتُ، تجملتُ لشرّ مثوى
متى ينكشف الغطاء عن الحق


ستالين


ألماس بيلديريم الشاعر الشريد

فهم الضعفاء السفهاء الأغبياء
الحائرون والمدهشون بالطاغية
وجدوا حيوانًا، ظنّوه معبودًا
تضرعوا أمامه حسبوه مسجودًا
أصبحوا مفتونين بجور الجائرين
كعدوّ قاهر مارسوا بالعارفين
يحثّون الناس على التحذير منهم:

ما الحق؟ أين الحق؟ هل يحقّق؟ (١٩).

هكذا بحدس غير عادي انثالت على يراع الشاعر أخبار عن الكوارث والحوادث التي قضت فيما بعد على حياته، وعلى نتاجاته التي دفنت في قلبه.

ذكر فيما بعد مواطنوه من أذربيجان، الذين شاركوه في الحياة المظلمة في سيبيريا، أنه ألّف في السجن ملحمتين وأشعارًا كثيرة ترسم وحشية الحياة

في المنفى وضراوتها، قال لأحد منهم: إنه يقرأ أشعاره للسجناء، ثم يمحوها (٢٠).

إن مستندًا وحيدًا تسلمته أسرته بعد وفاته كان رسالة موجزة ـ وثيقة الموت في عدة كلمات حيث قيل: إنه مات في الخامس من شهر ديسمبر/ كانون الأول، على أثر التقيح في رجليه (٢١). ربما نتيجة وفاته في الزنزانة تيسر له الدفن في مقبرة قريبة من السجن. ثمة مؤشر صغير لا يسعنا إلا أن نذكره. كانت ألبسة السجناء الراحلين أغلى شيء في زمهرير سيبيريا يمتلكها فورًا المحبوسون الآخرون. أما جاود فدفن في لباسه ملفوفًا بلحافه، حتى الجرابات من الصوف، التي حاكتها له زوجته لم تخلع من قدميه. ربما هذا للاحترام أو الشفقة والرأفة التي كنّها المحبوسون لجاود (٢٢).

الخاتمة

في الخامس من شهر مارس/آذار عام ١٩٥٣م توفي ستالين، بعد أن استبد وجار على الناس ٣٠ سنة.

إن زعماء الحزب الشيوعي، خاصة خروشوف الذي رأس الحزب الشيوعي بعده، حاولوا أن يوقفوا عجلات مكنة الإرهاب الأحمر، ودانوا سياسة ستالين المتكئة على الاضطهاد والنكالات، وكذلك على الحب لشخصية ستالين. ودمرت تماثيله، ومزّقت صوره، من جراء هذا أعطيت البراءة لكثير من المحبوسين الذين اعتقلوا باتهام «خيانة الوطن»، وهذا بعد أن ضاعت نخبة المجتمع، وفقد أحسن أبنائه، ولكن هذه البراءة أتاحت حياة جديدة لأفكارهم ونتاجاتهم، وكذلك أصبحت ختامًا لمشقات أقربائهم وبلاياهم.

نحن لن نبالغ إذا زعمنا أن عجلات مكنة الاضطهاد لم تتوقف بعد هذا، ربما تلكأت قليلاً، ولكنها ما انفكت تطحن، وكثيرًا ما كانت تسبب الأمراض النفسية، وتبعث النوبات القلبية، والنزيفات في المخ، والانتحارات. والتخلص الحقيقي بدأ بعد انهيار الدولة السوفييتية الذي أصبح بداية حياة جديدة للشعب الأذري، وللشعوب الأخرى.

المراجع والهوامش

١، ٢ ـ أليكساندر سولجينيسين. جزائر «قولاق» النسخة من الإنترنت.
٣، ٤ ـ ضياء الدين بنيادوف، الإرهاب الأحمر، باكو، ١٩٩٣م، ص ٣ ـ ٤.
٥. انظر بهذا الصدد: جميل حسنوف، الظلال السوداء للبقع البيضاء، باكو ١٩٩١م، ص ٩٨ ـ ١٢٤، ومجيد كاتبلي. مآسي الثلاثينيات ـ البقع البيضاء تندثر، باكو ١٩٩١م.
٦. ضياء الدين بنيادوف، الإرهاب الأحمر، باكو ١٩٩٣م، ص ٣ ـ ٤.
٧، ٨ ـ جلال قاسموف، من النكالات إلى التهجيرات، باكو ١٩٩٨م، ص١١٣.
٩. كمران علييوف، حسين جاود: شخصيته وشاعريته. باكو ١٩٩٧م، ص١٧.
١٠. جلال قاسموف، من النكالات إلى التهجيرات، ص ١٠٤.
١١. جلال قاسموف، يوم القيامة للعصر، باكو، ١٩٩٧م.
١٢. روى لي هذه الحادثة الكاتب الأذري المعاصر علي بالاحا جيزاده الذي سمعها من الجلاد نفسه.
١٣. ضياء الدين بنيادوف، الإرهاب الأحمر، باكو ١٩٩٣م، ص٩٥.
١٤. انظر بهذا الصدد: باكر نيبوف. الشاعر الشريد، باكو١٩٩٠م، ص ٣٦ ـ ٦٠.
١٥. رفائيل حسينوف. جاودون، باكو ١٩٨٨م، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٢.
١٦. أليكساندر سولجينيسين. جزائر «قولاق» النسخة من الإنترنت. استندت في معلومات هذا الباب إلى هذا المرجع.
١٧. يوسف إسماعيلوف: المصير. البقع البيضاء تندثر، باكو ١٩٩١م، ص ١١١. ١١٤.
١٨. الحاج فيروز أحمدلي: الأوراق المصفّرة في الربيع، باكو، ٢٠٠٣م، ص ٣٣ ـ ٣٤.
١٩. ترجمتها إلى العربية مؤلفة هذا المقال.
٢٠، ٢١، ٢٢ ـ رفائيل حسينوف. جاودون، باكو ١٩٨٨م، ص٢٧٦، ٢٧٧، ٣٥٠.



تحقيق

سواكن: نافذة أطلت على البحر الأحمر

عبدالله جعفر السيد

الخرطوم بحري ــ السودان

ظل البحر الأحمر بحيرة هادئة ساكنة مجاورة لقارات العالم القديم ــ موطن الحضارات الأولى ــ يفترش مساحة تبلغ ٤٣٨ ألف كيلو متر مربع، ويمتد شريطًا مائيًا ليصل بعد رحلة ١٩٣٠كم جنوبًا إلى مضيق باب المندب، ويندفع منه خارجًا إلى المحيط الهندي. ويبلغ متوسط عرضه نحو ٢٨٠ كيلو مترًا، ويصل عمقه في بعض المواقع إلى أكثر من ستة آلاف قدم. وينام في أحضانه نحو ٣٧٩ جزيرة أهمها جزيرتا صناقير وتيران عند شماله، وجزيرتا برم ومولية عند جنوبه، وهناك جزر أخرى يغرقها المد والجزر، وتحف به من الجانبين سلاسل من الجبال البركانية الجرداء وسواحل صحراوية قاحلة مجدبة.

لم تكن الملاحة في هذا البحر هينة ولا سهلة؛ وذلك لشدة حرارته، واختلاف تياراته الهوائية والمائية، وكثرة شعابه المرجانية الغارقة، التي كثيرًا ما تكون قريبة من سطحه عند ساحليه مسببة خطورة في الملاحة؛ لذلك كان يصعب على الملاحين الالتجاء إليها للتزود بما يحتاجون إليه. لذلك كانت الملاحة فيه نهارية عادة، وعند مجيء المساء يلجأ البحارة إلى أقرب مكان آمن يمضون فيه الليل، ومع ذلك فقد كان هذا البحر من أقدم المسطحات المائية التي عرفت الإنسان ملاحًا يجوب البحر راكبًا متنقلاً بين ثغوره وتضاريسه.

لم يقطع هدوء هذا البحر وسكونه سوى رحلات قدماء المصريين إلى بلاد الصومال، ومنطقة جنوب الجزيرة العربية - بلد البخور والذهب، ومركز التجارة القادمة من الهند - وذلك لجلب العطور والأخشاب اللازمة للمعابد، والحياة الدينية، واحتياجات القصور الفرعونية. وكان الفراعنة من الملاحين المهرة الذين أبحروا عبر باب المندب، ووصلوا إلى شرق إفريقية والهند. وعندما استولى البطالمة الإغريق على مصر



بوابة سواكن

حلوا محلهم. فقاموا بتجهيز عدد من المستعمرات التجارية وتأسيسها على طول خط الساحل الإفريقي للبحر الأحمر، وخليج عدن، حتى جزيرة سوقطرة؛ لتكون نقاط ارتكاز البضائع والسلع على هذا الخط البحري. وقد بلغت تجارة البطالمة أوج عظمتها خلال القرن الأول من حكمهم من سنة ٣٠٠ إلى سنة ٢٠٠ ق. م، وعملوا على تقوية أواصر التجارة مع الهند، ولكن توقف الازدهار التجاري في أواخر أيام حكمهم، حينما أصابهم الضعف، خصوصًا تحت حكم كليوباترة؛ نتيجة للإهمال الشديد في حراسة الطرق وتأمينها؛ مما دفع بالقراصنة إلى العبث بالنشاط التجاري في سواحل بلاد العرب. وعندما حانت الفرصة للبيزنطيين دحروا البطالمة، وحلّوا محلهم، وعملوا على تشكيل سياسة اقتصادية قامت حول أهمية هذا الطريق بوصفه طريقًا مشتركًا لجميع أعصاب التجارة العالمية. وجسرًا فاعلاً تعبر عليه تجارة الشرق وجنوب آسيا إلى عالم البحر المتوسط، فعملوا على تأمينه، ونشطوا في استعماله، حتى اكتشفوا، وتعرفوا إلى قيمة الرياح الموسمية في


مواطن سواكني



وصولهم إلى الهند، والرجوع منها، وكانت ثمة منافسة حادة بين الفرس والبيزنطيين للاستيلاء على هذا الطريق الحي بموارده المنعشة، بعدما تعذر استخدام الطريق البري الذي كان يعج بعصابات اللصوص، وقطاع الطرق؛ لذا سعت بيرنطة إلى تدعيم نفوذها السياسي في اليمن والحبشة بهدف الاستغناء عن وساطة التجار الفرس في جلب متاجر الهند والصين فعملت على توحيد الحبشة واليمن في دولة تكون موالية لهم خصوصًا أن الأحباش كانوا منذ زمن بعيد يحاربون الحميريين اليمنيين من أجل السيطرة على باب المندب المنفذ التجاري المهم للبحار الجنوبية، فقاموا بإرسال المبشرين لنشر الدين المسيحي في تلك المنطقة، وغرّروا بالأحباش لاحتلال اليمن أو أجزاء منها، غير أن الفرس بذلوا ما في وسعهم حتى تم لهم طرد الأحباش، والسيطرة على اليمن، وتم تقليص النفوذ البيزنطي فيها في أواخر القرن السادس حتى

عند نهاية القرن التاسع عشر بلغت سواكن قمة عظمتها الحضارية. فمبانيها وعماراتها الشاهقة الضخمة دالة على ثراء أهلها ومجدها التليد. وبما جذبت إليها من أعداد كبيرة من التجار الأجانب



منزل قديم يقاوم عاديات الزمن





التجارة أبرز أنشطة أهل سواكن

ظهور الإسلام، حين تمكن المسلمون من تحرير اليمن من الاحتلال الفارسي.

ومنذ قيام الخلافة الإسلامية ظل المسلمون يسيطرون على مداخل هذا البحر ومخارجه خاصة إبان

تروي لنا كتب التاريخ أن أول باخرة وصلت ميناء سواكن هي التي قدمت من ميناء كلكتا بالهند عام ١٤٢٢م. ومنذ ذلك الزمان عُدّت سواكن من الموانئ المهمة في العصور الوسطى

العهد الأموي عندما ازدهرت تجارة البحر الأحمر، والمحيط الهندي، وحينما اهتم الخلفاء الأمويون بتجارة الشرق، وعملوا على إنشاء محطات تجارية على الساحل الشرقي لإفريقية؛ لتأمين التجارة رغمًا عن إهمال الأمويين لشأن التجارة عامة، واهتمامهم بالشأن الحربي، وبذلك أصبح البحر الأحمر بحيرة إسلامية.

سواكن جزيرة من الشعب المرجانية تقع على مدخل مائي صغير مرتبط بالبحر الأحمر على خط عرض ١٩، وتنقسم إلى جزأين: القيف، وبه السوق وامتداد المدينة بأحيائها المختلفة العامرة بسكانها العامة.. والجزيرة، وبها دور الحكومة المختلفة وسكنى الأثرياء، وهي متصلة بالقيف بواسطة كبري صغير طوله بضعة أمتار يسمى





جامع سواكن

الجسر. وهذه المدينة الحالمة بمبانيها العالية وشرفاتها الملونة تنام في أحضان البحر الذي يقوم بتأمينها وحمايتها من جهته، ولا خوف عليها إلا من جهة البر، وهي مدينة عريقة يرجع تاريخها إلى عهد سيدنا سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد، وتعدّ من أقدم المدن والموانئ المطلة على هذا البحر، وقد عاصرت ميناءي باضع وعيذاب السودانيين، وورثتهما، ومبانيها مصنوعة من الحجارة المستخرجة من شعاب هذا البحر، وكانت من أهم مراكز السودان التجارية، وتأتيها القوافل من شتى مناطق السودان محملة بالبضائع المختلفة وسوق سواكن عبارة عن مكان فضاء واسع ومكشوف ومحاط بالدكاكين والمقاهي والأكواخ، وكان يفد إليها التجار من شتى أنحاء العالم، وتدار التجارة في هذه المراكز تحت إمرة يعرف بسر التجار .

قام العباسيون بتحويل طرق تجارة العالم القديم التي كانت نشيطة بين البحر الأحمر والصين تدريجيًا إلى موانئ الخليج العربي والصين، فاضمحلت تجارة البحر الأحمر بينما ازدهرت تجارة موانئ الخليج، حتى برزت إلى السطح موانئ كانت خاملة الذكر، كالبصرة التي أصبحت أهم موانئ التجارة في العالم، وأصبحت في المرتبة الثانية في الأهمية بعد بغداد حاضرة الدولة في عهد الرشيد، وعمرت بالأسواق وكان المربد من أكبر أسواقها وأعمرها، وإذا بغداد تقرر أسعار المتاجر للعالم، كما تم للخلفاء العباسيين إنشاء ميناء سيراف



قوافل الجمال تدخل السوق

لأجل السفن الضخمة المتوجهة من الصين وإليها. أما ميناء أيلة فقد نشط لاستقبال سفن الشرق الأقصى، وبنهاية القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري عادت إلى البحر الأحمر أهميته؛ بسبب الأحداث الخطيرة التي وقعت وأثرت في إرجاعه إلى مركز الصدارة مرة أخرى. فقد تسببت ثورة الزنج في تدهور الملاحة في الخليج العربي زهاء خمسة عشر عامًا مع ازدياد نشاط أعمال القراصنة حتى تمكن الزنج من الاستيلاء على ميناء البصرة وبه ١٩٠٠ سفينة، كما أدّت ثورة القرامطة في منطقة البحرين إلى إحداث فوضى سياسية واقتصادية، حينما تمكنوا من اقتطاع بلاد البحرين عن الدولة العباسية وأقاموا فيها دولة استمرت قرونًا، إضافة إلى نجاح القواد الأتراك في السيطرة على السلطة بسبب ما أثاره منصب أمير الأمراء من نزاع بين هؤلاء القواد للاستئثار بهذا المنصب.

اضمحل ميناء باضع السوداني في القرن الخامس الهجري، وتزامن زواله مع ميلاد ميناء صغير يدعى عيذاب، استحوذ على كل الأهمية، وأخذ في النمو التدريجي المطرد، حتى أصبح من أهم موانئ البحر الأحمر، وتصاعد في الأهمية عندما اتخذه الفاطميون قاعدة حربية، وأصبحت تأتيه متاجر اليمن والصين وآسيا، ومنه تحمل على ظهور الإبل عبر الصحراء حتى مدينة قوص المصرية، كما صار طريقًا للحجيج المسلم الذي يرد من شرق إفريقية والسودان ومصر أكثر من مئتين وخمسين سنة، ومن أشهر من مرَّ بها من الحجاج الرحالة العربي ابن جبير الذي وصفه بأنه من أحفل مراسي الدنيا، ووصف الحالة المعيشية لأهلها والقائمين عليها؛ وأنواع البضائع وكمياتها، والسفن والجلاب التي تنقل الحجيج، ولا يستعمل فيها مسامير الحديد ألبتة خوفًا عليها من جبال المغناطيس الغارقة، وما يمكن أن تسببه من كوارث وغرق. لذا كانوا يخيطون ألواح الخشب بأمراس القنبار (نوع من الحبال) المشربة في زيت الحوت، والمستعمل فيها مسامير ودسر من الخشب فقط. وتزعمت عيذاب النشاط التجاري الآسيوي والإفريقي في البحر الأحمر في فترة العصور الوسطى حتى نهاية الحروب الصليبية، وشاءت ظروف دولة الفاطميين أن يكون قيامها مرتبطًا بازدهار طريق البحر الأحمر، واضمحلال ما عداه من طرق التجارة الأخرى، التي تصل بين الشرق والغرب نتيجة لاستيلاء المغول على بغداد والشام؛ وبذلك قضى المغول على النشاط التجاري في العالم الإسلامي، وتعطّلت طرق التجارة بين الصين وآسيا الصغرى وموانئ البحر الأسود، ودمرت أهم



مراكب تقليدية ترسو بجوار بقايا منزل أثري

المراكز التجارية الرئيسة للمدينة وأعظمها.

تعدّ الفترة الأخيرة من العصور الوسطى من أنجح فترات الازدهار التجاري بين الشرق والغرب؛ فقد عمل المماليك في مصر والشام وموانئهما التي تقع على البحر المتوسط والبحر الأحمر مراكز للاتصال التجاري بين المحيط الهندي وشرق آسيا والمحيط الأطلسي، وكانت أعظم خدمة أسداها العرب إلى أوربا هي تقديم سلع من بلاد تقع خلف المتوسط، مع ضمان استمراريتها، كالتوابل والعقاقير الطبية، والعبيد، والمنسوجات المختلفة، والأحجار الكريمة، والأخشاب، والبخور والعطور، وما إلى ذلك ووقع عبء نقلها وتوزيعها على عاتق التجار العرب، ومنهم إلى تجار المدن والجمهوريات الإيطالية والفلورنسية والقطالونية.

ومن فضل العرب على الغرب أنهم قاموا بنقل وزراعة

بعض المنتجات النباتية من الهند إلى شمال إفريقية وإسبانيا، ومنها إلى أوربا، مثل المشمش والبرتقال والليمون وقصب السكر والنيلة والباذنجان، وغيرها. كذلك من المساهمات المهمة في ميدان الملاحة البحرية يمكن أن تعدّ البوصلة التي تمّ تطويرها بواسطة الغرب فيما بعد، واختراع الشراع المثلث الذي أدخله العرب أولاً في المحيط الهندي، ثم في البحر المتوسط، وأصبح بالإمكان بعد استعماله الإبحار في الاتجاه المعاكس لاتجاه الريح، واقتبس الإسبان والبرتغاليون فكرة الشراع المثلث، وطوّروه. كذلك أعطت البحرية العربية قاموسها الملاحي كاملاً أو شبه كامل للغات الأوربية.

عملت دولة المماليك على جعل البحر الأحمر بحرًا إسلاميًا مقدّسًا؛ إذ حرمت على غير المسلمين دخوله، كما تولى سلاطين المماليك حماية قوافله، وقاموا بضم إقليم الحجاز إلى دولتهم؛ وذلك لأسباب أمنية واقتصادية ودينية، وجعلوا ميناء عدن - مدخل البحر الأحمر الجنوبي - من أكبر محطات تبادل المتاجر بين الشرق ومصر، وظلّ فترة طويلة لا يتعداه تجار الصين والهند إلى داخل البحر الأحمر؛ خشية تآمرهم مع الأحباش، وكانت السلع تنقل من اليمن إلى جدة والقلزم على سفن مماليكية، كما اهتموا بتطوير ميناء جدة وتأمينه، وعملوا على تركيز تجارة البحر الأحمر فيه كي يسمحوا لأشراف مكة بالاستفادة من جباية الرسوم على بضائعه، واتُّخِذَ هذا القرار على حساب ميناء عيذاب، وفي أواخر العصور الوسطى بسط الصليبيون سيطرتهم على طرق القوافل التجارية جنوب البحر الميت وشرقه، وأخذ أرناط الحاكم الصليبي يتعرض لقوافل الحجاج والتجار، ورمى إلى الزحف على المدينة المنورة ليقطع طريق الحج إلى الحجاز، بل إنه فكر في الاستيلاء على عدن: حتى يتمكن من إغلاق البحر الأحمر في وجه تجارة الشرق الأقصى، وتقدم تجاه عيذاب حيث سلب ونهب وحرق نحو ست عشرة سفينة كانت راسية بالميناء وافدة من جدة وعدن والهند، وأسر قافلة من الحجيج، وترك عيذاب خرابًا بلقعًا، ومن عيذاب اتجهت قافلة الصليبيين إلى سواحل الحجاز فأحرقت السفن بالجوزاء وينبع ورابغ، وهددوا الحجيج، ولكن لحقت بهم قوات صلاح الدين الأيوبي ففتكت بهم، وتأتي مشيئة الله بعد ذلك، إذ سلط الله داود ملك النوبة السوداني فأجهز على عيذاب، ودمّرها تدميرًا.

تروي لنا كتب التاريخ أن أول باخرة وصلت ميناء سواكن هي التي قدمت من ميناء كلكتا بالهند عام ١٤٢٢م، ومنذ ذلك الزمان عُدّت سواكن من الموانئ المهمة المطلة على هذا البحر في العصور الوسطى ،وكان يقطنها إلى جانب سكانها (البجا) بعض التجار العرب، والهنود، وأجناس أجنبية أخرى، وكانت تردُ إليها السفن من جدة محملة بالبضائع الهندية والآسيوية المختلفة كالاقمشة على اختلاف أنواعها والبن وخشب الصندل والسكر والصابون والخرز الزجاجي، وكان بعض هذه السلع يأتي من الهند مباشرة، وبعضها يأتي عن طريق موانئ البحر الأحمر والخليج العربي

كان العثمانيون يشرفون في سواكن على تسويق السلع والمنتجات السودانية والتبادل عليها، فازدهرت الأنشطة التجارية. ويذكر دكسترو الذي مر بها عام ١٥٤١م أنها أغنى دول التجارة في الشرق. ولا يضارعها في نظره إلا ميناء لشبونة البرتغالي

الواقعة على طريق التجارة بين الشرق والغرب، وتربطها بسواكن علاقات تجارية، وكانت هذه السفن تعود محملة بالمنتجات السودانية كالعاج، والصمغ، وسن الخرتيت (وحيد القرن)، وريش النعام، والرقيق، وخشب الأبنوس، والصوف والصمغ العربي، والذهب السناري، وغيرها.

الميلادي. كما وفدت إلى شرق السودان قبائل عربية متعددة عندما أذاعت الأنباء عن وجود الذهب في بلاد البجة، وكانت هذه الأنباء سببًا في هجرة المغامرين وطلاب الثروات إليها، وكتب عن هذا الذهب عدد غير قليل من مؤرخي العرب، أمثال: اليعقوبي، والمسعودي، والإصطخري، وابن حوقل، وغيرهم.





بقايا منزل خورشيد باشا

ومنذ استيلاء الدولة العباسية على مقاليد الحكم، ومع إعمال السيف في بقايا الدولة الأموية خلال القرن الثامن الميلادي، أصبحت سواكن ملاذًا لفلولهم والهاربين منهم، واستقر بعضهم في ميناء باضع، ودلّت الكشوفات الأثرية على وجود شواهد قبور إسلامية يرجع تاريخها إلى منتصف القرن الثامن

في عام ١٤٩٨م دار البرتغاليون حول إفريقية بطريق رأس الرجاء الصالح، وكان هذا الحدث من أهم الأحداث وأخطرها في نهاية العصور الوسطى، وما نتج منه من أثر في تجارة التوابل وأرباح الدول المطلة على البحر الأحمر والأبيض على حد سواء، إذ أخذت هذه التجارة المهمة وأرباحها الهائلة تتحول عن مصر

ومـوانئـهـا إلى البـرتغـال وحلفـائهـا، وتوالت رحـلات البـرتغـاليـين إلى الهند، وبلغت سـفنهم الصين واليـابان، وقـامـوا بدور الوسـيط التـجـاري مـعـهـمـا، وتاجـروا في التـوابل والحـرير والماس والأحـجـار الكريمة، وفـرضـوا سيطرة مسلحة على المحيط الهندي، ومنعوا كل مغامر من الدخـول إليـه فنشبت المعـارك الطاحنة بينهم وبين

الهدندوة إحدى قبائل سواكن

مدينة عريقـة يرجع تاريخها إلى عهد سيـدنا سليمان في القرن العـاشر قبل الميـلاد، وتعدّ من أقـدم المدن والموانئ، وقد عـاصـرت ميـنـاءي باضع وعـيـذاب الـسـودانـيـين، ومبـانيـهـا مصنوعـة من الحجارة المسـتـخرجـة من شعـاب هذا البـحـر

الجيوش العربية خاصة؛ لأنهم عمدوا على إبعاد التجار العرب بكل عنف مستخدمين أحدث الأسلحة المدمرة والفـتـاكـة، وأحـدث البـواخـر التـي أمنت لهم التـفـوق العسكري، وفي عام ١٥٠٧م استولى القائد البرتغالي البوكيرك على جزيرة سقطرة مدخل البحر الأحمر الجنوبي، وفي العام نفسه قام بقطع الطريق التجاري الآخر عبر الخليج العربي، وفي العام التالي استولى على هرمـز، وجـعلهـا قـاعـدة للبـرتغـاليين، وتوغل البـرتغـاليـون إلى داخل البحـر الأحمـر حتى مشـارف السـويس، وخـربت قـواتهم مـيناء القـصـيـر، وهاجـمت سواكن، ودهلك، وعادت سفنهم سالمة.

ومن المشكلات المتـعـددة الأخـرى التي واجـهت السلطان مهاجمة فرسان رودس البرتغالية وقراصنتهم سفن السلطان في شرق البحر المتوسط، وسهلت هذه الأحداث المجتمعة مهمة القضاء على دولة المماليك؛ لأنها عـجـزت عن حـمـاية المحيط الهندي، ويسّـرت للأتراك العثمانيين احتلال مصر، وإنهاء العهد المملوكي.

استولى السلطان العثماني سليم في القرن السادس عشر على سواكن، فأصبحت تابعة لتركيا، وإن كانت السلطة متمركزة في أيدي أبنائها، ولم يسجل التاريخ صـراعًـا أو نزاعًـا بين دولة الفـونج التي ظهـرت على مسرح السياسة السودانية قبل فترة قصيرة لوصول النشاط العثماني إلى مياه البحر الأحمر وسواحله والعـثـمـانيين طوال القـرن السـادس عـشـر، إذ كـان العـثـمـانيـون يشـرفـون في سـواكن على تسـويق السلع والمنتجات السودانية والتبادل عليها، فازدهرت الأنشطة التجارية، ويذكر دكسترو الذي مر بها عام ١٥٤١م أنها أغنى دول التجارة في الشرق ولا يضارعها في نظره إلا ميناء لشبونة البرتغالي، وفي ذلك التاريخ كانت سلطنة الفونج تمتد من حدود الحبشة إلى بلاد الشايقية في

شـمـال السـودان، وكـانت التـجـارة بقـوافلهـا الكثـيـرة والكبـيـرة تنسـاب بين السـودان ومـصـر، وبين السـودان والخارج عبر ميناء سواكن في رفق ويسر، وقد انتعشت التجارة في هذا العهد، وكان التبادل التجاري يصل إلى جـزيرتي جاوة وجنوب الجـزيرة العـربيـة، ولما لم تكن للسلطنة عملتها المستقلة، فقد كان النقد المتداول للتبادل التجاري هو الريال النمساوي في تجارة البحر الأحمر والحبشة، وإن كان ثمة نقود أوربية أخرى من الذهب والفضة متداولة أيضًا على الساحل. وبعد فتح السودان عام ١٨٢١م ازداد حجم التجارة الخارجية، وتبعًا لذلك صار استعمال النقود الأجنبية على نطاق واسع ضرورة لا حيدة عنها.

أخـذت الحـمـيـة تدب في بعض أوصـال الشـعـوب الأوربية نتيجة للثراء العريض، والمجد الكبير اللذين اصطبغت بهما دولة البرتغال الصغيرة، فأخذت تعمل جاهدة ليكون لها موطئ قدم في دنيا التوابل وأسواقها المشرعة الرائجة، فدخلت أساطيل هولندا مياه المحيط الهندي في عام ١٥٩٥م، ومخرت فيه أساطيل بريطانيا عام ١٦٠٣م، وأصبح الجميع في حلبة المنافسة المسلحة حينًا، والماكرة أحيانًا، والكل يبحث عن مستعمرات له، وتمكن الهولنديون من انتزاع عدد من المستعمرات البرتغالية في أرخبيل إندونيسيا، وفي عام ١٦١٩م تم الوفاق الإنجليزي الهولندي، وتم التعاون لمحاربة البرتغاليين، وبانتصاف القرن السابع عشر فقدت البرتغال هيبتها وسيطرتها على المحيط الهندي بعدما تقلصت مستعمراتها، ولم يبق لها سوى بعض المواقع والجيوب الساحلية على الساحل الإفريقي والهندي.

فتح الخديوي محمد علي باشا السودان عام ١٨٢١م، وقضى على دولة الفونج، وبذلك أصبحت جميع البلاد السودانية تحت إمرته خاضعة لحكمدارية الخرطوم ما عدا مدينتي سواكن، ومصوع، وبعض الأراضي في شرق السودان حول سواكن التي استغلها الهاربون من ضرائب الحكومة، وسخّروها ملاجئ للحماية، وحينها تأكد لمحمد علي باشا أن سلطانه لا يستتب في هذه المنطقة إلا إذا امتد ليشمل الميناءين، وما حولهما، لذلك دأب وألح في الحصول عليهما من السلطان العثماني عبدالعزيز على



باب منزل قديم

بوابة قصر شناوي بك

أن يؤدي إيرادهما ٢٥٠٠ كيس إلى خزينة جدة، وفي سبتمبر/ أيلول عام ١٨٤٦م أحيلت إدارة جمرك مصوع وسواكن إلى محمد علي باشا، وبذلك أصبحت تُحكم بواسطة حكام يأتون إليها من خارجها، كما انقطع أمل الفارين من ضرائب الحكمدارية.

ازدهر ميناء سواكن بعد فتح النيل الأبيض للتجارة،

بإدخال النقل النهري عام ١٨٦٠م؛ مما أدَّى إلى نقل مجموعات ضخمة من الموارد البشرية والتجارية، وكانت سواكن هي المنفذ الوحيد لنقلها، كما كانت الميناء الوحيد لنقل حجيج غرب إفريقية إلى مكة، وباكتمال الخط الحديدي بين الإسكندرية والسويس وظهور بعض المحاصيل الزراعية المهمة في السودان، مثل القطن، الذي

مشهودًا، ليس في تاريخ البحرية المصرية فقط، بل في تاريخ العالم، إذ تم توجيه الدعوة لحضور حفل افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية إلى كبار شخصيات العالم، فلبّى الدعوة نحو ستة آلاف مدعو من الملوك والرؤساء والأمراء ورجال العلم والأدب والفن والسياسة، وعظماء مصر والسودان. وتم الافتتاح



جانب من قصر شناوي بك الواقع في وسط السوق

زُرع بكميات كبيرة بدلتا طوكر، وإنشاء محلج للقطن بسواكن، وافتتاح قناة السويس الحديثة أمام الملاحة الدولية، وانتظام الرحلات التجارية البحرية للسفن بين سواكن والسويس، وأدى تفاعل كل هذه الأحداث مجتمعة إلى إنعاش تجارة سواكن والبحر الأحمر.

كان يوم ١٧ نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٨٦٩م يومًا

رسميًا بعبور السفينة (إيجل) حاملة على متنها الملوك وعظماء العالم تتبعها ٧٧ سفينة حربية، وأقيمت مهرجانات لم يشهد العالم مثلها، وكان من جرَّاء ذلك، ومن حب العظمة والبذخ الذي اتصف به الخديوي إسماعيل أن تراكمت الديون على مصر، ونضبت خزانتها، ووقعت في أزمة مالية، ولم يكن هناك بد من



حوار مع التاريخ

بيع أسهمها في قناة السويس، وترتب على ذلك عزل الخديوي من منصبه، فقامت إنجلترا بشراء نصيب مصر من الأسهم عام ١٨٧٥م، وبذلك هوت مصر إلى مستنقع إنجلترا الآسن، فسيطرت على مصر وشؤونها الداخلية والخارجية، كما سيطرت على قناة السويس مفتاح البحر الأحمر الشمالي، وظهرت قطع الأسطول البريطاني الحربي والتجاري تمخر عباب البحر الأحمر جيئة وذهابًا. وتصل إلى سواكن التي أصبحت بفضل القناة قريبة من أوربا، إذ لا تبعد عن مرسيليا مثلاً أكثر من خمسة عشر يومًا، وقد سبق لإنجلترا الاستيلاء على مالطة، وجبل طارق، وبذلك تحكمت في مدخل البحر الأبيض المتوسط والملاحة فيه، كما سبق أن وضعت يدها على ميناء عدن عام ١٨٣٩م - مفتاح البحر الأحمر الجنوبي الذي جهزته بالإمكانات ليسهل

تحويله إلى قاعدة حربية بحرية إذا دعت الضرورة، فموقعه في منتصف الطريق بين مستعمراتها وشركاتها في الهند والبحر الأبيض. كما كان يسهل لبريطانيا السيطرة على مداخل الخليج العربي ومخارجه، وفرض نفوذها بسهولة على زنجبار وشرق إفريقية، وشهدت منطقة القرن الإفريقي المجاورة صراعات مريرة ومعقدة عندما شرعت كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في مؤتمر برلين عام ١٨٨٤ - ١٨٨٥م باقتسام المنطقة فيما بينهم دون مراعاة لحقوق القوميات التي تقطن هذه المنطقة.

عند نهاية القرن التاسع عشر بلغت سواكن قمة عظمتها الحضارية، فمبانيها وعماراتها الشاهقة الضخمة دالة على ثراء أهلها ومجدها التليد، وبما جذبت إليها من أعداد كبيرة من التجار الأجانب، ولا سيما الحجازيين والحضارمة والمصريين والشوام والهنود والروم، وغيرهم من التجار، ورغمًا عن هذه الحركة التجارية النشيطة، فقد ظلت سواكن مركزًا تجاريًا وسطًا بالنسبة إلى المستوى العالمي، وفي عام ١٨٨٢م تدهورت صادراتها ووارداتها إلى أقل من مستوى ميناء مصوع بنسبة ٤٠٪، وكان من أسباب هذا التدني ارتفاع الضرائب، وتعدد الحكام، وقلة مائها مع ملوحته؛ مما دفع بالأهالي إلى الارتحال في زمن الصيف والجفاف إلى مناطق المياه في سنكات، وأركويت، وقمم الجبال المحيطة بها، حيث يتيسر الحصول على الماء النمير والكثير، ومع بداية القرن العشرين وصلت حكومة السودان إلى قناعة تامة بأن ميناء سواكن أدى دوره التاريخي والاقتصادي خير أداء، وأن حتمية الحضارة والتطور تفرض إيجاد ميناء بديل بمواصفات عالية الجودة، فميناء سواكن أصبح نتيجة لنمو الشعب المرجانية لا يتناسب ودخول السفن البخارية الحديثة العملاقة ببخارها وأزيزها التي تتطلب أرصفة رحبة وعميقة، ومخازن كبيرة وواسعة، ورافعات جبارة للمناولة، فأرصفتها ومرابطها صغيرة وبالية، ولا توجد فيها مساحات تتناسب لتكون مخازن أو نهايات مناسبة لخطوط السكك الحديدية مما جعل استعماله بالنهار فقط، وعلى ضوء هذه الاعتبارات بدأ البحث عن ميناء جديد بمواصفات حديثة مدروسة، وفي عام ١٩٠٦م بدأ العمل بميناء بورتسودان الجديد، ورويدًا رويدًا، وفي سكون تام، تم قفل نافذة تاريخية عريقة كانت شاهدة على ما يجري في هذا البحر الصاخب، بأحداثه الجسام، ورجاله العظام، ورويدًا رويدًا، احتضر ميناء سواكن العجوز بعيدًا عن الأضواء.

المراجع

١. تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار.
٢. تاريخ سواكن، محمد صالح ضرار.
٣. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، الجزء (٢)، ترجمة: محمد عبدالهادي أبو ريدة.
٤. دراسات في تاريخ السودان وإفريقية وبلاد العرب، الجزء (٢)، د. يوسف فضل.
٥. سياسة مصر في البحر الأحمر، د. شوقي عطا الله الجمل.
٦. مشيخة العبدلاب، محمد صالح محيي الدين.
٧. طريق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب آخر العصور الوسطى، د. نعيم زكي فهمي.
٨. البحر الأحمر والاستعمار، د. جلال يحيى.
٩. قناة السويس (سلسلة اقرأ) جورج حكيم كيرلس.
١٠. الأرض الواعدة، وزارة الثقافة والإعلام السودانية.
١١. مجلة آفاق عربية، عدد آذار ١٩٧٨م: البحر الأحمر في الإستراتيجية الدولية، د. سني محمد علي.
١٢. مجلة دراسات تاريخية، العددان الخامس عشر والسادس عشر، الموضوع: أضواء على الصناعة والتجارة في مدن بلاد الشام، د. نعيم فرج.
١٣. الموانئ السودانية، د. صلاح الدين الشامي.
١٤. النشاط التجاري في شبه الجزيرةالعربية أواخر العصور الوسطى، د. علي حسين السليمان.





ما نسيته جدتي من حكاية بنت النعمان..!

إبراهيم أحمد الوافي

ينبع البحر ـ السعودية

أحدِّقُ بالضوء تلعق

منه الرياحُ

انكساري..

ويقدحُ في جسدي العسجديِّ

اشتهاءُ المرايا..

وبين الزوايا..

هناكَ هناكَ تخنْدَقَ

في إبطِ الليل

نابٌ تقطَّرُ منه الرقابُ

التي خنقتها الزوايا!

وكانت لنا

جدةٌ تقرأ الكفَ..

أو تشمُّ المعصمَ البكرَ

إن يبستْ

في الشفاهِ الحكاياتُ

واستَعْبدَ السيفُ كلَّ الصبايا!!

وقفتُ بها ذات صيفٍ خؤون..

وأقرأتها أوّلَ الكفِّ

في آخرِ الضوءِ

عطرَ الشبابِ

وخدرَ الرزايا!!

فصارت تبزُّ الظلامَ النجومَ

وتغسلُ بالرمل وجْهَ السماء

وقد قضَّني التِّيهُ..

طارتْ دقائقُ وجهي

شظايا!!

سيضوي على

شفتيكِ المساءُ

الذي غاض. يا طفلتي.

أوّلَ الكفِّ

في آخر الوشم..

يُضوي..

وتضْوي عليه الحكايا!!

❖❖❖

(إذا ولغ الكلْبُ..)

يا جدةَ الأمس

طهَّرتُه بالتراب

وكنتُ أعضُّ الطريقَ

وأسفيه بالريح تبني

جدارًا من الوقتِ

يرقد في ظلِّه السادرون!

أنا (هندُ) يا جدتي

مُهْرةٌ أسرجتها المساءاتُ

للعابرين عليها

يقودون من فوق صَهْوتِها

صرعاتِ الجنونْ!

وكنتُ إذا خدَّرَ الصمتُ

بعض الذي كنتُ أبديه
فضَّ بكارته التِّيهُ بيني
وبين العيون
وطوَّفَ بالدارِ صيفٌ لَبُونْ!!
متى ضيَّعَ الصيفُ..
يا جدتي هدأة البردِ
في أضلعي المشعلاتِ
المكانَ انتظارًا
تضاجعها حدقاتُ المرايا
وتقدحها
شعلة في العيونْ؟!!
متى كان كلُّ الذي
بين كفي وعينكِ ضرْبًا
من الوقتِ..
شيخًا تبتَّلَ حين يكونُ
الذي لا يكون؟!!

❖❖❖

حفاةً على حافر الدربِ
كلّ الذين
يسيرون حولي
يمدونَ أعناقَهم للطريقْ..
وكنتُ أنا الدربَ..
تضوي المساءاتِ
أو تقدحُ النارَ
للعابرين عليها
تناهشُ أصواتُهم كالنَّقيقْ!!
وما أوّلُ الدربِ إلا عِثارٌ
ولا آخرُ الدرب إلا بريقْ!!
وبينهما يقفزُ
الراجلونَ اصطفافًا
إذا مَلكَ السيفَ عبدٌ صفيقْ!!

تضيء الدراهمُ..
يطمرُها الرملُ
حتى إذا عاثَ كفكِ
يا جدتي فيه
أعشبَ بين الأصابع
صيفٌ وريقْ!!

❖❖❖

أنا (هندُ) يا جدتي
فاذكريني
متى ذابَ كفُّكِ في الرمل
أو غوَّرتْ مقلتيك الرياحْ!
أنِفتُ التَّوحُّلَ بالموتِ..
حتى استقامت يدايَ
وغصَّ الجباهُ ببابي
وحمَّلني العهرَ دارٌ مباحْ!!
أجيءُ إلى بابكِ اليومَ
اقرأ ما سوف يرقُمُهُ
المترفونَ بمائي
وما سوفَ تخفينه
بين عينيكِ
إن سوَّحَ الذعرُ
حمَّى الصباحْ!
أنا.. هندُ..
إن نامَ في أول الليل طفلٌ
تناقلتُه بين
حجري وحجري
وألبستُه عريَ أضلاعي الشاتياتِ
فشدِّي عليه الغطاءَ
متى خزَّه البردُ..
أو فاقَ في الليل
ديكٌ وصاحْ!!!

إلى ابن المقرب في مهرجانه

محمد الجلواح

الأحساء ـ السعودية

أنِرِ الدَّرْبَ لنا.. يا (ابنَ المُقــــرَّبْ)

وَصِلِ القَــولَ، فـمنك القــولُ أطيبْ

قـــد أتيناك خِــفـــافًـــا، وثقـــالاً

وحـثـثنا الخطوَ.. كي نلقـاك أقــربْ

ولَمسنـا الـرمـلَ إذ كُـنتَ عليـــــه

لم يزلْ بعـــدَك تِبْـــرًا يتـــقلّبْ!

لم تغـادر سـعـفـاتِ النخل حـتى

باتت (الأحســاء) من شدْوك تطربْ

قـــد سـرى في دمكَ الطاهر نهــرٌ

(هَجَـريٌّ)، وبأحــفــادك قــدْ.. دبْ

ها هُمُ في (زُحَل) الشـــعـــر تنادَوا

يقـبِـسُـونَ الليل في مَسْـرى وملعبْ!

❖❖❖

أنِرِ الدَّرْبَ لنا.. يا (ابنَ المقــــربْ)

وَصِلِ القَــولَ، فـمنك القــولُ أطيبْ

أنِرِ الدَّرْبَ فكم ضَــجّتْ شـمـــوسٌ

من نهـــار دامس، كم كـــان أرحَبْ؟

أدرِ الـرَّاحَ.. لظـمــــآنٍ.. تشَـظّى

ثم زِدْهُ.. فلقــد.. جـاءَ.. ليـشـربْ

هو ظمـــآنٌ لِشِـــعْـــرٍ يَعْـــرُبيٍّ

يَجْـتَليــهِ منكَ، حـيثُ الماء أعـذبْ

يا (عليَّ) الشـــعـــر يا صـدّاحَ دهرٍ

إن دهرَ الشّـعـرِ فـينا.. (يتـعـقـربْ)!

أيّهـــا الـشـــاوي بآفـــاق المعـــالي

أنا.. عن غـيـرك مـشـغـولٌ، ومُضـربْ

❖❖❖

ســيـــدي.. جُــدْ لي.. بِرَدٍّ.. لفُـؤادٍ

أبدًا.. في الحبِّ لا يعــرفُ غَـيْـهَبْ

أبدًا حـــتى على الحـــدباء يـرنو

لحـــديثٍ هامسٍ من ثَغْـــرِ (زينبْ)!!



(الثـــلاثون) التـي مـــرّتْ كطيْفٍ

في هَواها، وإليــهـــا.. كنتُ أهربْ

حَـفـرَتْ سـاعـاتِهـا الطُّولى بروحي

واسـتـقَرّت في دمي عِشْقًا مُجَلْبَبْ

ســافَــرَتْ مــاثِلةً.. بين عــيـوني

لا فكاكـا.. حـيثُـمـا أذهبُ.. تذهبْ!!

❖❖❖

يا إمــامَ الشِّـعـر بُحّ بالحــرف إني

ألمحُ الحــزنَ بعـيـنيك.. توثّبْ

وأمِط عن خندق الهمّ لثــامًــا

فلقــد كنت: هَزارًا.. كنتَ.. كـوكبْ!

يا إمــامَ الشـعـرِ إن كنتَ سَــؤولاً

عن ديار سَـمَـقَتْ فكرًا، ومَـشْـرَبْ

وعن الأمــجــاد، والثـغـر المُفَـدّى

(مـشرِقًا) كـان لنا، أو كـان (مـغـرِبْ)

وعن (الأقـــصى) وحقٌ يتــداعى

بينَ مـــهـــزوم، وطاغٍ، ومُـــخَـــرِّبْ

ســيِّـدي.. إن جــراحــاتي.. لشَـتّى

وديارُ العُــرْبِ مــا انفكّتْ.. لِتُـسْلَبْ

فـعن الأمــجــاد لا تسـأل كـسـيـرًا

تَخِـذَ الشّجْبَ له سـيـفًـا، ومِشْجَبْ

وعن (الأقـصى)؟.. فـذا شـيءٌ قـديمٌ

لحقِ (الغـرناطةَ الكبـرى) و(قُـرْطُبْ)

نـصفُ قـــرن، و(فلسطين) بدمعٍ

لو سَـقـتْهُ الجَـدْبَ.. لاهتزَّ وأعـشَبْ!!

مــا الذي أُنْبِـيكَ يا رمــزًا لحــرف

أعنِ الذلّ أم الصَّـــدْرِ المُخَــضَّبْ؟

أم ذراعٍ قـــذفَ الأحـــجـــارَ.. حـــتى

أنطق الصمَّ، ومنهُ الكونُ قـــد.. شبْ

إن تكنْ من دهرك الجــائرِ مُـضْنى

فلدَينـا.. ألفُ دهـر.. يتـــعـــذّبْ

أو يكنْ يومُك صــعـــبًــا حين تشكو

فليـــالينا.. طوالٌ، وهـي أصـــعبْ!!

❖❖❖

آه كم يضْطرِمُ البـــحـــرُ.. بقلبي

وفــــمـي.. مـــلآنُ.. لكني مُنَقَبْ

تتـــوالى طعناتُ الموتِ فَـــوقي

وعَلَيَّ الصــمتُ لا أشكو وأغْـضَب

كُلُّ يوم يا (عليُّ) الشــعـــر يأتي

هو في أحـــشـــائنا.. نارٌ.. ومِـــخْلَبْ

فـــأنِرْ دربًا لنا يا (ابنَ المقـــرَّبْ)

وتلقَّـــفْنا فـــأنتَ الحُــضنُ والأبْ

ألقيت هذه القصيدة في الأمسية الشعرية الثانية مساء يوم الخـمـيس ١٤٢٣/٧/٢٦هـ الموافق ٢٠٠٢/١٠/٣م ضـمن فعاليات دورة: «علي بن المقرَّب العيوني» التي نظمتها مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري في البحرين في الفترة من ١ ـ ٣ أكتوبر ٢٠٠٢م أمام حشد من كبار المثقفين والأدباء العرب بفندق الخليج. والشاعر ابن المقرّب شاعر عربي من الأحساء عاش بين عامي ٥٧٢ و ٦٣١هـ.



الكلب الآلي

هيو كوك(*)

ترجمة: محمد مجد الدين باكير

حلب ـ سورية

- «أحبكَ، جيف» قالت بوبي.

- «أحبكِ أيضاً» أجابها جيف.

- «حقاً تحبني؟».

- « بالتأكيد أحبكِ».

إنه سجع شبيه بأغاني الريف والأغاني الغربية. لكن بوبي الآن تفكر، وهذه علامة سيئة. فكل أشكال الهراء تبدأ عندما تشرع المرأة بالتفكير.

- «جيف ..؟».

- «نعم؟».

حان الوقت، تماسك.

- «جيف.. كنت أفكر. ما رأيك بأن نقتني كلباً؟»

- «عزيزتي.. عزيزتي، تعلمين بشعوري تجاه الكلاب».

وهكذا بدأت القصة. فبعد ساعتين، بدأ البكاء واختفت الكياسة- فلا كياسة مع البكاء- خرجت بوبي ولم تعد.

❖❖❖

استلقى جيف على الأريكة، ونفد كأس البيرة. مر أسبوعان ولم تعد بوبي. في هذه الأثناء، كان كلب الجيران الأخرق ينبح ثانيةً. ذلك الكلب!..

- «ألا تستطيع أن تسكته؟» قال جيف.

- «إنه ينبح بين الحين والآخر فقط». قال الجار براون.

كان الكلب الهجين ينبح بتقطع من الفجر إلى الغسق. وبما أن جيف يعمل في البيت- وكمصمم في مجال التكنولوجيا النانوية كان يمكن أن يعمل بشكل أفضل في أي مكان آخر غير البيت- لقد أقلق الكلب راحته. وكان الحل: تسجيل أصوات الكلاب، وإعادة بثها ثانيةً.

- «إنه انتهاك لحرية الآخرين، يا صاح».

- «انتهاك؟ وماذا عن كلبهم؟» قال جيف.

- «الكلب هو كلب»، قال الشرطي بضجر وعدم مبالاة، وأضاف وهو يربت على جهاز الإرسال «ولكن عملك هذا هو انتهاك لحرية الآخرين».

حسناً إذاً.

الكلب هو كلب، حتى وإن كان ينكد على جيرانك عيشتهم. أما البث المتعمد لأصوات الكلاب عبر مكبر الصوت باتجاه بيوت الجيران فهو انتهاك لحريتهم. ما الذي يمكن استخلاصه من هذا؟ إن الأمر واضح بالتأكيد.

❖❖❖

بعد ستة أشهر من الحادثة، كان ذلك «الشيء الواضح» يقفز في شقة جيف. عوى ونبح وطارد سعاة البريد، وأفرز روث الكلاب (كان في الأمر حيلة صغيرة).

- «هذا انتهاك فاضح». قال الشرطي.

- «حقاً؟» قال جيف ببراءة.

- «لقد صنعت هذا الشيء لإقلاق راحة جيرانك



الساعة الثانية بعد منتصف كل ليلة، وأنت تقف الآن هناك بتلك التكشيرة البريئة على وجهك؟».

❖❖❖

في اليوم التالي وبعد أن اكتشف جيف أن الشرطي كان ابن عم جاره ذهب إلى محامٍ هو السيد بيلديكنز.

- «انظر، عليك أن تنسى القضية، فأنت لن تكسبها، وإن كانت غير مخالفة للقانون الآن، فإنها ستكون كذلك حالما يدرك أحدهم ما فعلته. إن الحقيقة الجلية هي أن الناس يحبون الكلاب؛ لأن الكلاب تحبهم. صحيح أن علبتك المعدنية المتحركة يمكن أن تنبح وتبول وتتبرز، وبحسب معلوماتي، يمكن أن تمارس الجنس، ولكنها مجرد خردة ميكانيكية لا

تملك مشاعر أكثر مما تملكه فاتحة العلب المعدنية». هكذا أخبره المحامي.

- «ولكن ماذا عن القانون؟» قال جيف محتجاً، وأضاف «أليس لدي حقوق؟ أقصد هل هناك فقرة ضمنية في الدستور تنص على أن للكلاب الحرية أن يقلقوا راحتي طوال اليوم، وعلى امتداد ثلاثمئة وخمسة وستين يوماً في العام، أم ماذا؟».

- «إن الحب والعاطفة هما ما يجعل العالم يستمر. الناس يحبون كلابهم والكلاب تحب أصحابها. وإن لم تكن من هؤلاء الناس فإنها مشكلتك، وليست مشكلتهم».

وبذلك عاد جيف إلى العمل. كانت أحدث الرقاقات الذكية الطيعة قد ظهرت لتوها في الأسواق، وهي رقاقة تركب الحب والكراهية والولاء. واشترى جيف مجموعة منها، ووصلها بعضها ببعض، وفعلها أخيراً.

الآن أصبح لغولغو مولغو الكلب الآلي عواطف حقيقية بما فيها الهيجان القاتل الذي حمله على تقطيع ابن الجار براون إرباً إربًا على مرأى مجموعة من شهود العيان.

❖❖❖

وأصبحت قضية المحكمة التي تمخضت عن الحادثة على كل لسان. فقد اتُهم جيف بجريمة القتل. إذ إنه صنع سلاحاً فتاكاً افترس ابن جاره حتى الموت. كان دفاع جيف بسيطاً، إنه لم يصنع سلاحاً فتاكاً، بل على العكس لقد صنع كلباً.

- «في بعض الأحيان الكلاب تقتل البشر. هذا شيء مؤسف، ولكنها ببساطة طبيعة الوحوش». قال المحامي السيد بيلديكنز.

وشاهد خبير على أثر شاهد تقدموا ليقولوا نعم، إن الأمر كذلك. وعرضت هيئة المحلفين فيلماً عن كلاب تفترس الماشية، وتقارير تشريح عن أولاد ورضّع مزقتهم الكلاب إربًا إرباً. وظهر صف من الضحايا في المحكمة ليعرض على هيئة المحلفين أثر الجروح التي خلفتها حوادث الصدام مع الكلاب.

«أجل، لقد ربتُّ على هذا الكائن الأخرق، وقد التهم إصبعي هذه، كنت أسلم البريد، فقد وصل إليّ في طرد».

بقيت في المسرح ثماني ساعات. كان هناك ثلاثة منا، وجاء ذاك الكلب القادم من الجحيم، وبدأ يعضنا، كان وحشاً يزن مئتي باوند».

«كنا ندهم منزلاً يؤوي متعاطي مخدرات، وقد أطلقوا النار على صاحبي، ومن ثم حرروا وثاق الكلب.»

«كنت أسير في الشارع عندما قفز ذلك الكلب من نافذة إحدى الشاحنات، ومزّق وجهي»

«عدت إلى المنزل وكان هناك لص في قلب شقتي. فهرب من النافذة وترك كلبه ليتصرف معي».

❖❖❖

- «كانت الحقائق واضحة»، قال السيد بيلديكنز، ملخصاً القضية أمام هيئة المحلفين». فالعلاقة بين الكلب وسيده هي رابطة عاطفة، رابطة حب. وعلى أساس هذا الحب سيدافع الكلب عن حمى سيده، وسيقاتل حتى الموت إن دعت الحاجة».

وبما أن الكلب الآلي غولغو مولغو قد اجتاز كل الاختبارات المتوفرة عن سيكولوجيا الكلاب بنجاح باهر، فمن كان ليقول «إنه ليس كلباً حقيقياً؟

وقال المحامي بيلديكنز وصوته ينتفخ بالعاطفة «إنها في نهاية المطاف قصة حب. قصة حب أوبرالية تزخر بالعاطفة، قصة كلب يذود عن حرمة بيت سيده».

وفي الحقيقة، كان ابن الجار براون قد مزِّق إلى

أشلاء على الرصيف، وليس على أعتاب بيت جيف. ولكن ربما تكون هيئة المحلفين غفلت عن هذه الناحية. وقد خلصوا إلى أن جيف لم يكن مذنباً، لذلك تابع القضية ليكسب عشرة ملايين دولار كعطل وضرر في سلسلة من القضايا القانونية التي أقيمت ضد المدينة والشرطة والجار براون.

وقد ثأر الجار براون بشرائه مسدساً، ومحاولة قتل جيف. ولكنه جرحه في ذراعه ليس إلا.

❖❖❖

- «بوبي؟».

- «جيف؟ أهذا أنتَ حقاً؟».

عانقته بوبي بحنان وقد لاحظت جرحه.

لقد أعاد الحب إلى العالم. لقد خلق شيئاً يمكن أن يحبه، ويمكن أن يبادله الحب بالمقابل. وهذا بنظر بوبي هو ما أعاده إليها.

❖❖❖

بعد سبعين عاماً توفيت بوبي حتف أنفها. وفي اليوم التالي لحقها جيف. ولم يترك في وصيته شيئاً لابنه، الذي أصبح رئيساً لأفغانستان، ولا لابنته، التي أضحت الآن مومساً مسنة في لاس فيجاس. وبدلاً من هذا، ذهبت كل تركته إلى غولغو مولغو الكلب الآلي.

- «ولم لا؟». قال بيلديكنز، وأضاف «إذا كان بوسع المرء أن يهب أمواله إلى إحدى الجامعات أو أحد المتاحف أو إحدى الجمعيات الخيرية، فلم لا يهبها لكلب، بغض النظر عن كونه كلباً آلياً».

وكما تنص الوصية دفعت الأموال لإقامة قبر رخامي تبث منه مكبرات الصوت التي تعمل بالطاقة الشمسية صوت جيف المسجل. وجلس غولغو مولغو الكلب الآلي طوال اليوم قرب القبر الرخامي مصغياً.

وكان غولغو مولغو جالساً هناك عندما حاقت بالجنس البشري كارثة فيروس الأرانب، وبقي هناك ألف عام أخرى عندما قدمت سفينة الفضاء استوريان ووجدته ما زال هناك، الحب في أسمى معانيه، مصغياً إلى صوت سيده.

❖❖❖

★ هيو كوك: كاتب قصة إنجليزي، تتميز قصصه بنكهة الخيال العلمي والفانتازيا، وهي مطعمة على الدوام بالنقد السياسي الساخر عبر التلميحات التي تظهر للقارئ فجأة، ودون سابق إنذار.



الأم الغائبة

علي صالح طمبل
الخرطوم ــ السودان

لم تتكلم جدتي، بل مسحت شعري، وضمتني إليها وواصلت البكاء. كان الناس يملأوون المنزل، هناك من رأيته لا أتذكر أين أو هناك من أراه لأول مرة.

كانوا يصرخون ويضربون وجوههم، أو رؤوسهم بأيديهم، ويبكون بدموعهم ولكني لا أعرف لماذا يبكون لا أحد يريد أن يخبرني بما حصل كلما سألته لا يريد أن يقول لي إنهم فقط يمسحون شعري، أو يضمونني. لكنَّ واحدًا منهم قال لي:

- لا شيء يا ابنتي.. لا شيء.

لماذا لا يتكلمون معك؟ أنا لست صغيرة. يقولون إنني صغيرة، ولكني لا أصدقهم. أمي قالت لي يومًا: اجلسي مع أخيك الصغير (أحمد) حتى أرجع، ولا تسمحي له بالخروج من البيت. ولو كنت صغيرة كما يقولون فلماذا تقول لي ذلك؟!

ولو كنت صغيرة كانت أمي ستضربني.. نعم لأني رأيت صغارًا تضربهم أمهاتهم لأنهم صغار. لا أتذكر أن أمي ضربتني في يوم من الأيام. ولا تصرخ فيّ إلا مرة واحدة لأني ضربت (أحمد) لأنه عض يدي. أنا أحب أمي لأنها لا تضربني ولأنها تحكي لي حكايات جميلة كحكاية القطة التي لعبت في النهاية مع الفأر. أنا أحب القطط وأتمنى أن تكون في بيتنا قطة، ولكن أمي تقول القطط تعض، ولكني رأيت (أسامة) ابن الجيران يحمل القطة بيديه، و لم تعضه.

- أنا وقفت أمامها، ولمستها لمسة واحدة، ولم تعضني كما قالت لي أمي. وهي ربما تعض الذين يؤذونها، ولأني لم أؤذيها لم تعضني، وهي تعرف أنني أحبها ولن أصرخ فيها مثلما يصرخ فيّ أبي عندما أخرج لألعب مع (أسامة) ولا أقول له أبي يصرخ فيّ ولكني أحبه لأنه يحضر لي الحلوى معه عندما يأتي إلى البيت، وهو الذي اشترى لي العربة التي تتحرك وحدها وقال لي إنه سيشتري لي عربة كبيرة مثل عربته عندما أكبر. أبي اشترى لي طيارة صغيرة وحلوة، لكن (أحمد) كسرها وأوقعها من فوق الكرسي. أنا لا أعرف لماذا لا يلعب (أحمد) بلعبه ويترك لعبي! لكنه لا يسمع كلامي ويبكي في كل شيء! وإذا بكى لا يسكت إلا إذا أعطيت له ما يريد، أو إذا حملته أمي وأرضعته.

كانت خالتي تبكي وتضرب وجهها وتصرخ والدموع في عينيها. وتقول: أين أنتي يا زينة الشباب.. يا من كنت في عمر الزهور.. أين أنت يا حبيبتي.. أين أنت يا مسكينة!

ووجدت نفسي أبكي عندما سمعتها تقول ذلك وتفعل ما فعلت. وعندما رأتني جدتي ضمتني مرة ثانية. وجاء أبي لخالتي: استغفري الله.. الدوام لله. ولكنها لم تتوقف عن البكاء كما قال لها أبي.. خالتي وجدتي وأم أسامة يقلن كلامًا لا أفهمه. لو كانت أمي موجودة كانت ستقول لي ماذا حصل ولماذا يبكون. ولكن أمي سافرت وستعود قريبًا.. أبي هو الذي قال لي ذلك عندما صحوت من نومي في الصباح، وقال لي إنها سافرت لتحضر لي معها لعبًا كثيرة.

وفي الليل خرج أبي مع خالتي، وتركني مع جدتي

و(أحمد) الذي بكى كثيرًا، وقال لجدتي أن تحضر أمي ولم يتوقف عن البكاء إلا عندما جاء أبي لم تكن معه أمي ولا خالتي. وعندما سألته عن أمي قال لي إنها ستعود قريبًا. لكني عندما صحوت من نومي في الصباح وجدت الناس يملؤون بيتنا لا أعرف من الذي قال لهم أن يأتوا! ولكن لماذا تبكي النساء ولا يبكي الرجال، ويرفعون فقط أيديهم ويقولون كلامًا بصوت خافض لا أستطيع سماعه؟ من أين جاؤوا، ولماذا يدخل بعضهم ويخرج بسرعة؟ أنا لا أعرفهم فلماذا يأتون إلى بيتنا؟ ولا أتذكر أني ذهبت إلى بيتهم.

وسألت جدتي: متى ستعود أمي من السفر يا جدتي؟!

ولم تتكلم جدتي، وبكت بصوت عال لماذا لا تريد أن تتكلم معي كلما سألتها عن أمي؟!

- جدتي! لماذا لا تقولين لي أين أمي؟

ولم تتكلم جدتي، بل تكلمت أم (أسامة) وقالت والدموع على وجهها:

- أمك ذهبت إلى مكان قريب وستعود إن شا الله!

وقلت لها صارخة:

- أريد أمي.. أين أمي؟!



ودخل أبي البيت وحملني بيديه، وذهب بي إلى الدكان، واشترى لي الحلوى التي أحبها كثيرًا، ولكني رميتها في الأرض. لم أعد أحبها لأن أمي غير موجودة في البيت. وصرخت:

- احملني إلى أمي!

وقال أبي وهو يمسح دموعه بيده:

- لا تبكي يا حبيبتي.. أمك ستعود غدًا، وستحضر لك كل شيء تحبينه.

لماذا فعلت أمي ذلك؟! لماذا تتركني وحيدة وتذهب دون أن تأخذني معها؟! عندما تعود لن أكلمها إلا إذا قالت لن تخرج في المرة القادمة بدوني، وسأقول لها احكي لي حكايتين ليس واحدة لأنها لم تحكي في الليل أي حكاية، لأنها لم تكن موجودة. وحملني أبي إلى سريري، وجلس بجانبي.. ولكني نمت بسرعة لأنني كنت متعبة.

وبعد أيام كنت انتظر أمي كل يوم ولكنها لم تحضر. وذهب الناس، ولم يبق في المنزل سوى أبي وجدتي وخالتي وأخي (أحمد) وأنا.. وكان أبي يخرج في الصباح، ويرجع في وقت الغذاء.. وفي كل يوم كنت أبكي وأصرخ وأنادي أمي، وأسأل أبي وجدتي وخالتي عنها، ولكن لا أحد يريد أن يقول لي أين ذهبت أمي. أنا أكرههم بعد أن كنت أحبهم لأنهم يعرفون مكان أمي ولا يريدون أن يقولوا لي أين هي. ولو كانت لي عربة كبيرة مثل عربة أبي كنت سأفتش عنها.. إذا لا يذهب أبي ويفتش عنها.. أنا أخاف عليها من الساحر الشرير الذي حكت لي أمي عنه وقالت إنه يحوّل الناس إلى ضفادع، سأصلي وأقول: «يارب لا تجعل الساحر يسحر أمي.

أمي قالت لي إن الله يحب الذين يصلون ويعمل لهم كل ما يتمنوه.. أنا أصلي.. ولكني أنسى كثيرًا، ولكن سأصلي كل يوم حتى ترجع أمي، وتحكي لي ماذا فعلت مع الساحر الشرير الذي أراد أن يحولها إلى ضفدع.





الصين: عمق الحضارة وخصوصيتها

نايف الظيط

قسم التحرير

تعدّ الحضارة الصينية أو حضارة أبناء التنين من أقدم الحضارات، فعمرها خمسة آلاف عام، ولا يزال الصينيون، وهم خليط من قوميات شتى، يعتزون بتراثهم وثقافتهم التقليدية إلى يومنا هذا.

ويستخدم الصينيون لغة مكتوبة تختلف عن اللغات الأخرى، على الرغم من أنها تنطق بأشكال متباينة، إذ يمكن لأبناء مختلف القوميات في العصور المختلفة، أن يتبادلوا أفكارهم بهذه اللغة.

اخترع الصينيون الورق والطباعة، والإبرة المغناطيسية والبارود، وهي المخترعات التي انتشرت مع الخزفيات والحرير إلى أنحاء العالم، وعلى طريق الحرير الذي ازدهر مدة ألف سنة، وجعل هناك تبادلاً ثقافياً بين الشرق والغرب؛ ولارتباط الصينيين بالزراعة هناك علاقة وثيقة بين التقويم الصيني والزراعة، وأنشطة أعياد مختلف القوميات هي تسجيل حي لعاداتهم القديمة، وتمثل العمارة أحد رموز الحضارة الصينية. فالقصور والبنايات الدينية والمساكن الشعبية، والحدائق الكلاسيكية تجسد أفكارهم وروحهم الثقافية.

وتأثر الصينيون بالأفكار الكونفوشوسية منذ أكثر من ألفي عام، وقد ترك نظام التعليم والامتحان القائمين على المؤلفات الكونفوشوسية الكلاسيكية تأثيراً مباشراً في التطور الثقافي والتعليمي.

وفي مجال الإبداع، ابتكر الصينيون أساليب متميزة من الشعر والرسم، والموسيقا، والرقص والمسرح. وجوهر الروح الأدبية والفنية الصينية هو الاهتمام بالأخلاق وحب الطبيعة، والانفتاح الصيني أتاح انتشار الأديان إذ تقبلوها وتعايشوا معها.

مقدمة تاريخية

تضم الصين نحو ٢٠٠ موقع لآثار ثقافة العصر الحجري القديم، ويقال: إن أول إنسان وقف مستقيماً هو «إنسان يوانموه» بيوتنان، ويعود تاريخه إلى



لمحة عن الثقافة الصينية
سلسلة - أساسيات الصين
دار النشر الصينية عبر القارات،٢٠٠١م

٧.١مليون عام، ورجحت قمة جمجمة اكتشفت في عام ١٩٢٩م، أن إنسان بكين عاش في الفترة ما قبل٢٠٠ ألف إلى٧٠٠ ألف عام.

ودخلت الصين العصر الحجري الحديث قبل نحو ٨ آلاف عام، وقد تحولت الصين سريعاً إلى الاقتصاد الزراعي بفضل ما لها من مقومات طبيعية، وتسمى المرحلة الأولى من العصر الحجري الحديث بالمجتمع الأمومي.

تمثل ثقافة يانغشاو(٥٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م) بحوض النهر الأصفر فترة ازدهارها. وقد اكتشفت آثار هذه الثقافة بمحافظة ميانتشي، مقاطعة خنان، وتشمل أنماطًا لفترات مختلفة منها، أطلال: بانبوه بمدينة شيان. وتفيد المعلومات المكتشفة أنهم استخدموا الفخاريات في الطبخ، وتخزين أشيائهم، وصنعوا السكاكين الفخارية.

اكتشفت ثقافة خمودو (٥٠٠٠ - ٤٠٠٠ ق.م) في المجاري السفلى لنهر الباتغتسي، وتفيد المعلومات المكتشفة وجود فخاريات لها لون أسود، منها الأطباق والجرار والطاسات الفخارية. ووجدت كميات من أدوات الإنتاج والحياة المصنوعة من الأحجار والعظام والخشب.

واكتشف آثار لثقافة لونغشان (٢٥٠٠ - ٢٠٠٠ ق.م) بمقاطعة شاندونغ، واكتشفت آثار لثقافة ليانغتشو (٣٠٠٠ - ٢٢٠٠ق. م)، بمقاطعة تشجيانغ، واكتشفت آثار لثقافة هونشان (نحو ٢٥٠٠ق.م)

تعاقبت على حكم الصين أسر كثيرة، وكانت أسرة شيا (٢١- ١٦ ق.م) في القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد هي أول أسرة ملكية، ويعود التاريخ الصيني المسجل إلى أسرة شانغ (القرن ١٦ - ١١ق.م)، وتلتها أسرة تشو (القرن ١١ - ٢٥٦ق.م)، ثم تلتها أسرة تشن (٢٢١-٢٠٢ق.م) ، ثم أسرة هان التي انقسمت إلى هان الغربية (٢٥٧ق.م - ٨٠٠ م)، وهان الشرقية (٢٥-٢٢٠م).

وعاشت الصين بعد أسرة هان انقسامات واضطرابات، وتكونت ممالك مختلفة، وفي الشمال





مدخل المدينة المحرمة



ظهرت «الدويلات الست عشرة»، ثم انتهت هذه الأسر، ونهضت أعظم أسرة ملكية في تاريخ الصين القديم، وهي أسرة شانغ (٦١٨ ـ ٩١٧م).

واتسم عصر هذه الأسرة بالتطور والانفتاح الاقتصادي والثقافي والعلمي، وإقامة العلاقات مع البلدان المجاورة، ووصل التبادل التجاري مع أكثر من ٧٠ دولة، وبعد انتهاء أسرة شانغ، شهدت الصين انقسامًا فظهرت خمس أسر ملكية تسمى في التاريخ «الأسر الخمس»، وفي عام ٩٦٠م تأسست أسرة سونغ في مدينة كايفنغ (بخنان الحالية) بعد انتهاء وضع الدويلات العشر، وقد تطورت العلوم الصينية القديمة في عهد هذه الأسرة، إذ ظهرت الطباعة بالحروف المطبعية والإبرة المغناطيسية، وآلة النسيج بالقوة المائية.

وتلت هذه الأسرة أسرة يوان (١٢٧١ ـ١٣٦٨)، ثم أسرة مينغ (١٣٦٨ ـ ١٦٤٤) ثم أسرة تشينغ (١٦٣٦ ـ ١٩١١) التي أقامتها قومية هان، آخر أسرة إقطاعية في تاريخ الصين، وحصل في عهدها الغزو البريطاني والفرنسي، وبانتهاء أسرة تشينغ عام ١٩١١م، انتهى عصر الاستبداد الإقطاعي الذي دام أكثر من ألفي عام، وخاض الشعب الصيني أكثر من ثلاثين عاماً في حروب التحرير والحرب الوطنية، والحرب الثورية في سبيل الاستقلال، وأسست جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩م، وبدأت صفحة جديدة من تاريخ الصين.

اللغة الصينية الرسمية (الكلمات) هي لغة هان، وهي لغة تتعامل بها معظم القوميات الصينية، وإحدى اللغات الست في الأمم المتحدة، فالذين يستخدمون الحروف الهجائية ويعرفون قراءتها وطريقة تهجيتها، يمكنهم كتابة الكلمة بشكل تقريبي بعد سماعها، لكن المقاطع الصينية ليست سهلة، فهي عبارة عن كلمات لها النطق نفسه، وللكلمة الواحدة عدة معان.





وعدد المقاطع الصينية ضخم، إذ يجب معرفة ستة أو سبعة آلاف منها بصورة عامة، وعدد المقاطع التي تستخدم دائما أكثر من ثلاثة آلاف.

المقاطع الصينية تسجل وتحفظ الثقافة الصينية التي استمرت آلاف السنين ويمكن معرفة الصينيين من طبيعتهم النفسية وعاداتهم الاجتماعية وتقاليدهم من خلال تكوين المقاطع الصينية وشكلها البدائي مثل كلمة «أخذ» في اللغة الصينية المكتوبة تتكون من جزءين، يرمز الجزء الأيسر للأذن، بينما يرمز الجزء الأيمن إلى اليد، والمعنى الذي ينقله هذا المقطع هو أن في الحروب القديمة، كان المنتصر يقطع الأذن اليسرى للعدو الذي يموت لتسجيل مآثره. وكان لتقسيم شيوي شن في كتابه (شوه ون جيه تسي) أثر في تطور اللغة الصينية، وتتمثل المبادئ الستة في الموضوع، والشكل، والشكل مع الصوت، وجمع المعاني، والتفسير بمترادفات والاستعمال المجازي.

صناعة الورق

كان الصينيون مثل الشعوب العريقة في مضمار الحضارة ينقشون كلماتهم على عظام الحيوانات، ودروع السلاحف، ثم حلت محلها ألواح «جيان دو» والحرير، ويقصد بـ «جيان» الألواح الخيزرانية التي تكتب عليها بفرشاة الكتابة، و«دو» هي الألواح الخشبية.

وأثبتت التسجيلات التاريخية والمعلومات الأثرية أن الصينيين اخترعوا تقنية صناعة الورق في فترة أسرة هان الغربية، وكان نوع الورق آنذاك سيئاً، ويستخدم في التغليف، وفي عام ١٠٥م أدخل «تساي لون» تحسينات على تقنية الورق،إذ استخدم لحاء الأشجار والقماش والكتان المقطع، وشباك الصيد القديمة. ثم انتشر الورق حتى أصبح مادة رئيسة للكتابة في الصين في القرن الرابع، ثم انتقل إلى كوريا المجاورة، وإلى فيتنام،



واليابان، ثم الهند في القرن الثامن، وتعلم العرب من الصينيين تقنية صناعة الورق، ونقلوها إلى أوربا.

للملبس دلالات طبقية

تعدّ الصين أول بلد في تربية دود القز، وإنتاج الحرير في العالم، ويعتقد أن الحرير ظهر في الصين قبل ٥ أو ٦ آلاف عام، واستوعب الصينيون زراعة الكتان، ونسج المنسوجات الكتانية في العالم.

واشتهر الحرير الصيني حتى أحبه أبناء روما القديمة، وسموا الصين (سيريك Seric)، أي: بلاد الحرير، وكان الحرير الصيني المطرز ترتديه الطبقة العليا في مجتمع روما، وفي القرن التاسع عشر أطلق الجغرافي الألماني «شيهوفن» مصطلح طريق الحرير الذي أصبح وصفًا لكل الطرق التجارية بين الشرق والغرب.

وقد تميزت أزياء القوميات الصينية بسمات خاصة، بل إن الملبس اتخذ وسيلة للتمييز بين الطبقات، فكان المسؤولون الكبار يلبسون الحرير، بينما يلبس بقية الشعب الملابس الكتانية والقطنية، ومنعت كل الأسر الملكية أن يرتدي الفرد زيًا مخالفًا لطبقته، وتحولت الأزياء الصينية تبعًا لتحولات الزمن، فبعد الانبهار بالزي الياباني وعدّه زيًا حديثًا، حل الزي الأوربي في عصرنا هذا محل الأزياء التقليدية.

الخزف الصيني

تتمثل الخزفيات الصينية في أدوات الطعام والشراب والكتابة، إلى جانب الأدوات الخزفية المصنوعة وفقًا لأشكال الإنسان والنبات والحيوان، وكانت أولى الخزفيات عبارة عن سلطانية، وطاسة، وطست، وجرة، واهتمت الأسر الملكية جميعها بهذه





صينية بزي تقليدي



اللغة ذاكرة الحضارة الصينية

الصناعة إلا أن هناك قولاً بأن «كل الخزفيات الدقيقة والجميلة من إنتاج هينغدتشن في فترة أسرة مينغ» ولكن الاهتمام كان عاماً بصناعة الخزف، وخصص قمين حكومي لصناعته والاهتمام بتطويره.

المطبخ الأنيق

تختلف أطباق الطعام في الصين حسب المناطق، ففي المناطق الشمالية يفضلون الأطعمة المصنوعة من القمح، بينما يعد الأرز طبقًا رئيسًا في الجنوب، أما اللحوم والألبان فهي المفضلة لدى أبناء هضبة تشينغهاي ـ التبت، ويفتن الصينيون عمومًا في إعداد الطعام، وتقديم الأطباق الشهية منها، مما جعل المطبخ الصيني من أغنى المطابخ في العالم.

وبقدر اهتمام الصينيين بأصناف الطعام، فإنهم يهتمون بأدوات الأطعمة وباستخدامها بشكل ينم على ذوق رفيع.

ومن المشروبات المفضلة لدى الصينيين: الخمر والشاي، وتعود صناعة الخمور في الصين إلى نحو ٥٠٠ عام، أما الشاي فإن الصين يعدّ منبعًا له، ويمثل إنتاجه وتجارته أهم مصادر الدخل المالي للدولة.

ولشرب الشاي طقوسه المختلفة فيقترن ذلك أحيانًا بالغناء والرقص الشعبي، أو بالتمتع بالمناظر والآثار أو بالمفاوضات التجارية أو المسامرة.

العمارة الصينية

التركيب الخشبي هو الأسلوب الرئيس للعمارة

الصينية القديمة مما ميّزه من الأساليب المعمارية الأخرى. وتتحمل الأعمدة في هذا الأسلوب ثقل البنايات بدلاً من الجدران.

وكانت القصور الصينية في فترات الأسر الملكية مجموعة من البنايات، فتكون قصور الإدارة في الأمام، وتقع قصور المعيشة في الخلف، وتحاط القصور بسور يفصلها عن المناطق الأخرى في المدينة التي يكون القصر الملكي في مركزها، وفي الجزء الأمامي منها المعابد، بينما تكون الأسواق التجارية في الجزء الخلفي.

ومن أشهر القصور الباقية «المدينة المحرمة» التي تسمى بالقصر الإمبراطوري، وقد وضع حجر أساسها عام ١٤٠٧م، وتم افتتاحها عام١٤٢٠م.

واتخذت المعابد الصينية أشكالاً مختلفة وفقًا للدلالة والرموز الاجتماعية التي تحملها، أما البيوت الشعبية فقد اختلفت أسلوبًا وشكلاً وفقًا لاختلاف العادات والتقاليد من منطقة إلى أخرى.

وظلت الحدائق جزءًا من العمارة الصينية. فقد انتشرت الحدائق الإمبراطورية في العواصم القديمة، وانتشرت الحدائق الخاصة في جنوب الصين، وترجع ملكيتها إلى مسؤولي الدولة والتجار الأغنياء، أما حدائق الجبال والأنهار فإنها تنتشر في المناطق ذات الطبيعة الساحرة، وبعضها مقام حول المعابد، وفي مداخلها.


للإبر الصينية شهرتها


اهتمام كبير بالفن التشكيلي

المذاهب والأديان

تكثر في الصين المذاهب والأديان ومن أهمها:

مذهب «موه»: مؤسسه هو موه تسي (٤٦٨ ـ ٣٧٦ق.م)

وحسب هذا المذهب، فإن سبب الاضطرابات الاجتماعية المستمرة هو الافتقار إلى الحب بين الناس؛ لذلك دعا إلى الحب بين البشر، كما دعا إلى الاقتصاد ونبذ الإسراف، والمراسم المعقدة، وإلى تعيين المؤهلين ومعارضة الملكية الوراثية، وإلى نشر الدين، والاهتمام بتحقيق الوقائع والبحوث، ودعا مذهبه إلى تحطيم الحدود الأسرية، لذلك أعرض عنه الحكام.

مذهب «لاوتسي»: وهو مؤسس الطاوية، ثم طورها تشوانغ تسي (٣٦٩ـ ٤٨٦ق.م) وتعارض الطاوية الأحكام الصارمة، وتدعو إلى أن يساير كل شيء الطبيعة. غاياتها السياسية هي أن تكون أفكار الإنسان بسيطة، وتدعو إلى العودة إلى الطبيعة، وتؤكد الحرية الشخصية المطلقة، وكانت أفكار الطاوية جزءًا مكملاً للكونفوشيوسية.

هان في (٢٨٠ـ ٢٣٣ق.م) هو مؤسس مذهب القانونية، وهو الذي يدعو إلى حكم البلاد بالقانون الاستبدادي، معتقدًا أنه لا حاجة إلى أن يكون حاكم البلاد ذا قدرات وأخلاق؛ لأن عمله هو إعلان القوانين والأوامر لأبناء الشعب، الفقراء والأثرياء، وجميعهم متساوون أمام القانون، ولا بد من تعزيز قوة الأوامر، وأن تتوافر الوسائل السياسية لتنفيذ الأعمال، واختبار الموظفين، وقد ترك هذا المذهب أثرًا كبيرًا في سياسة الصين في الفترات المتأخرة.

مذهب كونفوشيوس: اسم عائلته كونغ (٥٥١ـ ٤٧٩ق.م)، هو مؤسس الكونفوشيوسية، وهو مفكر وعالم ومعلم، توفي والده وهو صغير، ثم والدته، وتولى منصبًا حكوميًا في دولة «لو» وعمره إحدى وخمسون سنة.

محور نظام المعايير الخلقية التي طرحها كونفوشيوس هو الرحمة وحب الناس بعضهم لبعض، كيف يتحقق ذلك؟ قال: «لا تفرض على غيرك ما لا تحبه لنفسك»، واحترم المذاهب الاجتماعية، ودعا إلى تهذيب أبناء الشعب، ويرى أن الآداب الاجتماعية تغرس في القلوب الرحمة، ولابد من الاهتمام بالمراتب الاجتماعية من الكبير إلى الصغير في سبيل الحفاظ على الانضباط، ووئام الأسرة والمجتمع.

رتب ستة مؤلفات كلاسيكية في الشعر، والوثائق، والطقوس، والتنجيم، والموسيقا، والربيع والخريف، وقد أصبحت هذه المؤلفات الستة المؤلفات المتوارثة عن الكونفوشيوسية، أما أفكاره فقد سجلها تلامذته في كتاب «الحوارات».

الإسلام: دخل الإسلام الصين في أواسط القرن السابع، وأدى التجار العرب والفرس الذين جاؤوا إلى الصين في تلك الفترة دورًا مهمًا في نشره، إذ كان التبادل التجاري بين الصين والعرب مزدهرًا، ويوجد في مدينة «تشيو» و«توانغتشو» وغيرهما من المدن المينائية عدد كبير من المسلمين، وأقام عدد منهم في الصين جيلاً بعد جيل، وتزوجوا بالصينيات، وأقاموا المساجد، ابتداء من الفتوحات الغربية المنغولية في أوائل القرن الثالث عشر، ويسمى المسلمون العرب والفرس من بلدان آسيا «هوي هوى»، وتزوجوا أبناء هوي هوى، وأبناء قومية هان، والقومية المنغولية، وفي الصين عشر قوميات مسلمة أهمها: قومية هوي، والويغور، والقازاق.

البوذية: دخلت في القرن الأول الميلادي عن طريق الحرير من الهند إلى الصين، وعدّت نوعاً من السحر، وفي الفترة بين القرنين الثالث والسادس شهدت البوذية تطورًا، وكانت الصين منقسمة، عاش أبناء الشعب في اضطرابات اجتماعية، فانتشر المذهب الميتافيزيقي «مذهب ما وراء الطبيعة» بين طبقة المثقفين وكبار الموظفين لأن هناك تشابهاً بين هذا المذهب، والبوذية؛ لذلك تعاظم تأثير البوذية، فازداد عدد المؤمنين بها، بدعم أصحاب السلطة، ووصلت

البوذية ذروتها في فترة أسرتي سوى وتانغا. ولم تقدم الحكومة فقط حرية اعتقاد البوذية، بل شجعت الرهبان على السفر إلى الهند للحصول على الكتب البوذية المقدسة، وكان للراهب شيدان تشانغ دور مهم في نشر البوذية، فقد تعلم البوذية مدة أكثر من عشر سنوات، ثم عاد بـ ٦٥٠ مؤلفًا بوذيًا ليترجمها في سبيل نشر البوذية.

الطاوية: نشأت في القرن الثاني الميلادي في الصين، وفي القرن السابع اعتقد إمبراطور أسرة شانغ أنه من أحفاد مؤسس الطاوية، لي آر الملقب بلاوتسي، فارتفعت مكانة الطاوية، وبلغت قمة ازدهارها. لم تؤسس الطاوية على يد شخص واحد بشكل مستقل في بداية نشوئها، بل كانت هناك عدة تنظيمات طاوية متنقلة أخذت الفلسفة الطاوية، بينما أخذت كثيرًا من طرائق تقوية الصحة القديمة، والسحر الشعبي، وإيمان الآلهة، والشياطين، ثم أخذت الطاوية النظرية

العناية بالحدائق من أهم مظاهر الحضارة الصينية



الأخلاقية الكونفوشيوسية، والتقمص والجزاء البوذي، والهدف الأعلى للطاوية هو الحصول على «الطاو» ليصبح الشخص خالدًا ملائكيًا، وقدانتشرت بين الفلاحين، وبسبب استخدام البلاط الإمبراطوري لها أصبح بعض معتنقيها توابع للبلاط، وبدؤوا يبحثون عن إكسير الحياة للأباطرة، وتقدس الطاوية عدداً من الآلهة معتقدة أن كل إله يحل مشكلات معينة: مثلاً: تقديس الملك التنين لطلب المطر، وتقديس الجنرال قوان بوي لإزالة الكوارث، وتقديس إله المال لطلب الثروة، وتقديس الإله ما تسو من أجل سلامة الصيادين.

المسيحية: في القرن السابع دخل فرع من المسيحية (النسطورية) الصين، وفي مدينة شيان نصب حجري أقامه مبشر النسطورية عام ٧٨١م، سجل فيه معاملة أسرة شانغ لهم.

وفي أواسط القرن التاسع، أصدر الإمبراطور أمرًا بإبادة البوذية، وتعرضت النسطورية للقمع، فاختفت في المناطق الداخلية. وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر دخلت المسيحية مرة أخرى، وكان معظم معتنقيها من المغول ذوي المكانة الاجتماعية العالية، وأبناء بعض الأقليات القومية.

ومنذ القرن التاسع عشر، دخل المذهب الجديد للمسيحية الصين مع توسع الاستعمار الغربي، تحت تهديد نيران الدول الغربية الاستعمارية، ودخلت الحكومة الصينية مضطرة سلسلة من المعاهدات غير المتكافئة، فحظيت أنشطة تبشير المسيحية بحماية هذه المعاهدات المعادية للصين، واشتدت النزاعات بين المسيحية والثقافة الصينية، وبين المبشرين وأبناء الشعب الصيني، فحدثت نضالات ضد المسيحية في أرجاء الصين، لذا غيرت أسلوبها، وأقامت المستشفيات وغيرها من الهيئات الخيرية لدعم نشر المسيحية.

الطب الصيني أو العقاقير الصينية:

يشرح نظام علم الصيدلة الصينية الظواهر الفيسيولوجية، والتغيرات الباثولوجية، والعلاقة بينهما بنظرية «ين» و«يانغ» و«ووشينغ» (العناصر الخمسة) التي كانت منتشرة في العصور القديمة في الصين، ويجمع بين الفيسيولوجية والباثولوجية واستخدام الأدوية والعلاج والوقاية بصورة عضوية، مما شكل مفهوماً كاملاً، ونظرية خاصة ليكونا قاعدة لعلم الصيدلة.

الطب التقليدي

يرى الاطباء الصينيون أن الوظائف الفيسيولوجية لجسم الإنسان متكاملة، ووظائف الأعضاء يربطها مصير واحد، فتكون الوظائف الفيسيولوجية للجسم والبيئة والطبيعة الاجتماعية متكاملة.

اعتقد المفكرون الصينيون القدماء أن الكون يتكون من «ين» و«يانغ»، وحركاتهما المستمرة سبب وجود الدنيا، ويقصد بـ«ين» و«يانغ» جهة أشعة الشمس، فالجهة المواجهة للشمس هي «يانغ»، عكسه «ين» الذي يعني كل ما هو صامت وداخلي ونازل وبارد ومظلم، بينما يعني «يانغ» كل ما هو متحرك وخارجي وصاعد ودافئ ومضاء، ولا يقصد بالتقسيم علاقة التناقض والوحدة لكل موجود في العالم.

وتستخدم نظرية «ين» و«يانغ» في الطب التقليدي الصيني، فيما يتعلق بالانفعال والكبت، من الوظائف الفيسيولوجية، الانفعال هو «يانغ»، والكبت هو «ين»، في النهار ينشط «يانغ» ويؤدي وظيفة الاستحثاث للإنسان دورًا رئيسًا، في الليل يبسط «ين» ويؤدي دورًا مهماً، فصحة الإنسان انعكاس بين «ين» ويانغ»، والأمراض هي أعراض لفقدان التوازن بينها.

وعدّ المفكرون الصينيون القدماء «الخشب، والنار،





اهتمام كبير بالخزفيات في الصين



للمسرح الصيني خصوصيته

والمعدن، والتراب، والماء» العوامل الأساسية التي تتكون منها الكائنات، ويعزز بعضها وفقاً لترتيب معين مثلاً: يعزز الخشب النار، وتعزز النار التراب، ويعزز التراب المعدن».

يعود تاريخ علاج الصينيين الأمراض بالأعشاب إلى نحو٤ آلاف عام، وكان أول مؤلف باثولوجي في القرن الثاني الهجري يحتوي على ٣٦٥نوعًا من الأدوية.

ويعتقد الصينيون أن «ووتسانغ» (خمسة أنظمة يتكون منها جسم الإنسان)، وتنتمي الأعضاء الأخرى إليها، بواسطة «جينغلوه» (القنوات الحيوية الرئيسة والفرعية في الجسم) تتصل كل الأعضاء بعضها مع بعض، مثلاً تتصل الكلية بالأذن، والكبد بالعين. ولم يثبت علم التشريح وجود جينغلوه، إلا أن التجربة العملية أثبتت أن نتائج ممارسة الوخز بالإبرة، والتدرب على «تشيقونغ» (نوع من العلاج النفسي)، وتقوية الصحة الطبية قد دلت على وجوده.

عرف الصينيون أن إثارة بعض مواضع جسم الإنسان تخفف الآلام فيه أو تريح مرضًا ما. ولذلك يستعمل الطب الصيني الوخز بالإبرة، والتشييح في علاج الأمراض، ويعني الوخز بالإبرة، وخز نقاط الوخز على جينغلوه، والتشييح هو تدخين نقاط الوخز بلفة الشيح؛ لأن جسم الإنسان شبكة معقدة، لذلك يمكن وخز مقطع ما في منطقة بعيدة عن موضع المرض في الجسم للعلاج، كما يستخدم الوخز في تخدير الجسم.

ويهتم الصينيون بالمحافظة على الصحة، من خلال ممارسة تدريبات تجمع بين حركات أعضاء الجسم والحركات التنفسية، أو التدليك الذاتي، واخترع هذا الأسلوب الطبيب هواتوه (١٤٥. ٢٠٨م). وهي سلسلة من التمرينات العلاجية سميت «حركات الحيوانات الخمسة» تقليداً لحركات النمر، والدب، والأيل، والقرد، والطير، لتقوية الجسم.

وتشمل أساليب المحافظة على الصحة المحافظة روحيًا، وتعديل الأطعمة، وتنظيم النوم، والمعيشة اليومية، والتقوية بالأدوية، والتدرب التنفسي، وألعاب الووشو. ويشمل التدريب التنفسي: التدريب الصامت، والمتحرك، وتسمى ألعاب الووشو «الكونغفو»، وهي نوع

من أساليب تقوية الجسم والدفاع الذاتي.

التقويم الصيني

يجمع التقويم التقليدي الصيني بين التقويم الشمسي، والتقويم القمري، وهناك علاقة وثيقة بين التقويم الصيني والزراعة، ففي القرن الثالث قبل الميلاد حدد ٢٤ موسمًا زراعيًا، وتعني الأربعة والعشرون موسمًا تحديدًا ٢٤ نقطة في السنة الواحدة، وفقًا لتغيرات المناخ، وتسمى كل نقطة موسما ما، وترمز النقاط الأربع والعشرون لمواقع ثابتة لحركة الشمس في السنة الواحدة، ولذلك تاريخ كل موسم ثابت تقريبًا في التقويم الميلادي الحالي.

وكان الصينيون القدماء يربطون بين الظواهر الطبيعية والأمراض والحروب والسياسة، معتقدين أنها مؤشرات أو إنذارات تهبط من السماء، لذلك أقامت كل الأسر الملكية تقريبًا محطة أرصاد جوية لها، وعينت مسؤولين لها، فتركوا كمية كبيرة من التسجيلات، ويعدّ أول مؤلف فلكي في العالم هو كتاب «قانشي حول النجوم»، إذ سجل فيه نحو ٨٠٠ اسم للكواكب الثابتة، وأكثر من مئة كوكب منها مواقع معروفة تم تحديدها، وسجل أيضًا قوائم حركة الزهرة، والمشتري، وعطارد، والمريخ، وزحل، وساهم إصلاح التقويم الصيني في تطور علم الفلك، وفتح المجال لعلم الحساب.

والصينيون ماهرون في الحساب، فكان الحساب بآلة المعداد «سوانيان» من الاختراعات الصينية المهمة، حيث يتخذ الحساب بهذه الآلة النظام العشري في العمليات الحسابية المعقدة.

الأعيـــاد

تتبع معظم الأعياد في الحضارات الأخرى من الأديان، أما عند الصينيين فترتبط بالإنتاج الزراعي، وعبادة الأسلاف، والمقدسات المحرمة. لذلك يعكس كثير من الأعياد قوانين الحياة في المجتمع الزراعي، وفي مراسم تقديم الاحترام للأسلاف، وسعادة جمع شمل العائلة في أنشطة الأعياد، مما يجسد خصائص النظرية الأخلاقية الصينية، وتهدف بعض الأعياد إلى إبعاد الشر، والمصائب، وتحقيق السلامة والسعادة.

تحتل أعياد قومية «هان» مكانة رئيسة بين الأعياد التقليدية الصينية، وتم تحديد مواعيدها وفقًا للتقويم الزراعي.. ويحتفل الصينيون بعدد من الأعياد، أهمها: عيد الربيع: وهو في أول الشهرالأول حسب التقويم الزراعي، وهو أكبر عيد للصينيين، هدفه الاحتفال بالحصاد الوافر، وإبعاد الشر، وطلب السعادة والبركة للعام الجديد، وينظف الناس عشية العيد بيوتهم، رمزاً إلى إزالة القديم واستقبال الجديد، ويلصقون شعارات عيد الربيع المكتوبة على الورق المستطيل الأحمر على الأعمدة في القاعة الرئيسة في البيت.

عيد «يوانشياو»: وهو في اليوم الخامس عشر من الشهر الأول الصيني، وفي هذا اليوم يرى أول بدر بعد عيد الربيع، لذا يجتمع أفراد العائلة معاً لقضاء ليلة البدر، يأكل الناس طعام «يوانشياو» المصنوع من الرز اللزج والكروي الشكل، إذ يسلق في الماء حتى ينضج ويؤكل، ويسمى هذا العيد «عيد الفوانيس» وبدأ هذا المهرجان في عهد الإمبراطور «مينغ دي» من أسرة هان: لأنه أمر بإشعال الفوانيس، في هذا اليوم تقديسًا لبوذا، ثم قلده عامة الشعب.

موسم «تشينمينغ»: أحد المواسم الأربعة والعشرين، موعده حول اليوم الخامس من شهر إبريل الميلادي كموسم زراعي، يبدأ الناس فيه الزراعة والتشجير، ويخرجون لزيارة مقابر الأقرباء

التنين الصيني

والأصدقاء، وللتسلية في ضواحي المدن والأرياف.

عيد (دوا نوه): في اليوم الخامس من الشهر الصيني الخامس، وهو عيد التنين. ويحيي الصينيون فيه ذكرى الشاعر «تشيوي يوان» الذي طرد من منصب حكومي بسبب وشاية من آخرين. ولم يكن هذا الشاعر يتمنى أن يرى هلاك بلاده، وإخفاق مثله السياسية، فألقى بنفسه في النهر في هذا اليوم.

عيد منتصف الخريف: في اليوم الخامس عشر من الشهر الصيني الثامن، وهناك من يقول: إنه بدأ من أنشطة شكر إله الأرض في مناسبة الحصاد الوافر، والآخر يقول: إنه بدأ من عادة تقديس القمر في العصور القديمة، وفيه تقديس للقمر، والتمتع بجماله، وأكل كعكة البدر، ويرمز البدر المستدير وكعكة البدر المستديرة إلى جمع شمل العائلة.

عيد «تشونغيانغ»: اليوم التاسع من الشهر التاسع الصيني حيث يكون الجو صافيًا، وتتفتح أزهار الأقحوان، فهذا الموسم مناسب لصعود الجبال.

الكونغ فو



والتمتع بجمال أزهارالأقحوان.

إضافة إلى هذه الأعياد لقومية هان، فإن لكل أقلية قومية، ولكل معتقدي الديانات أعيادهم التقليدية في الصين.

السعادة والبركة

في الصين أشياء كثيرة للبركة، والتنين أكثرها تأثيرًا، وهو زعيم الحيوانات عندهم، ويسمى بزعيم الكائنات، وتذكر الحكاية الشائعة أنه تحول من طوطم، يجمع خصائص عدة حيوانات: قرن الأيل، ورأس الخيل، وعين الأرنب، وعنق الثعبان، وبطن البطلينوس، وقشر السمك، ومخلب النسر، وكف النمر، وإذن الفأر. وقيل: إنه يستطيع أن يصعد إلى السماء ويغوص في الأرض، ويسبب السحب والمطر، ويحمي أبناء الشعب، لذلك أقام الناس معابد تقديسًا له، وطلباً للحصاد الوافر. ومنذ أسرة هان أصبح التنين الأصفر خاصة، رمزًا للإمبرطور والسلطة الملكية، ويؤكد أباطرة كل الأسر أنهم تحولوا من التنين، وأنهم محميون من قبل التنين في محاولة لتثبيت حكمهم والثقة بهم.

أما العنقاء فتذكر مع التنين، فهي ملكة الطيور في الأساطير الصينية، ولوحيد القرن أيضًا تقدير عند الصينيين، وكذلك السلحفاة، وتسمى السلحفاة مع التنين والعنقاء ووحيد القرن الـ «الأرواح الأربع»، وهناك تقدير للأسد، ويعتقد أنه قادر على طرد الشر، وجلب البركة.

أما الكركي ذو التاج الأحمر فيسمى «الكركي الإلهي»، وهو رمز للعمر المديد في الأساطير الصينية، وطيور الأكس الشرقي، رمز للحب النزيه، والزواج السعيد، ومن بين أسماك البركة، «الشبوط» حيث يرمز للغنى والثروة.

ومن عادة الصينيين أن يمزجوا أنفسهم مع الطبيعة معتقدين أن الأزهار والأعشاب ذوات أرواح حيوية، فقد استخدموها في تشبيه صفات الإنسان دائمًا، فمثلاً: الغواني ذات الألوان الزاهية ملكة الأزهار رمز للثراء والنبل، وأشجار الصنوبر خضراء دائمًا لا تخشى البرد، فهي رمز للثبات والعزم، ومدح الأخلاق الحميدة، وسمى الصينيون القدماء أزهار ميهوا والسحلب والأقحوان والخيزران «الشهام الأربعة» تشبيها للأخلاق النزيهة والاستقامة.

واستخدم الصينيون الفواكه للتعبير عن البركة، فمثلاً: للرمان بذور كثيرة، والصينيون يحبون كثرة الإنجاب، فعدّوها فاكهة مباركة، واستخدموها في الزواج.

إبداع في صناعة الخزف والفخار





حوار

الجغرافي المجري يوناش كوباشيك:

لا موازنة بين جرمانوس وكولومبس

أجراه: عبدالله الكويليت ـ حسين حسن حسين

قسم التحرير

يحتل اسم عبدالكريم جرمانوس مكانة بارزة بين المستشرقين والرحالين الذين كتبوا عن الشرق عامة والجزيرة العربية على وجه الخصوص. وإدراكًا من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية لأهمية تراث جرمانوس نظمت محاضرة عنه وعن علاقته المتميزة بالمملكة العربية السعودية ألقاها الدكتور يوناش كوباشيك Tjonas kubassek مدير المتحف الجغرافي المجري. فكان هذا اللقاء معه عن جرمانوس وعن الاستشراق المجري.

بحكم اهتمامكم بالدراسات الشرقية، كيف وجدتم الشرق بشكل عام؟

أود أولاً أن أعرب عن امتناني لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسا ت الإسلامية الذي أتاح لي فرصة زيارة المملكة العربية السعودية، لتقديم ما لدي من معلومات عن العالم المجري عبدالكريم جرمانوس Abdul Karim Germanusمن خلال المحاضرة التي قدمتها.

هذه الدعوة الكريمة، مع أنها خطوة واحدة صغيرة، إلا أنها مهمة على طريق تطوير العلاقة الثقافية والعلمية بين المجر والمملكة العربية السعودية. لقد ألقى السفيرالمجري السابق د. غيزا ميهالي محاضرة في هذا المركز، وقد عرفته في القاهرة قبل أربع سنوات في مناسبة جميلة من المناسبات الوطنية المجرية في الجمعية الجغرافية في القاهرة. وفي ذلك المبنى نظمنا معرضًا عن «دور المستكشفين والعلماء المجريين في إفريقية»، وفي تلك المناسبة شمل ذلك المعرض جزءًا صغيرًا عن عبدالكريم جرمانوس، وقد صدر كتاب صغير وفهرس عن نشاطهم في إفريقية.



أما عن سؤالك عن الشرق، فأود أن أؤكد أن المجر لم تستعمر أبدًا أيًا من بلدان الشرق سواء في إفريقية أو في آسيا. وكان الدافع للعلماء المجريين لدراسة الشرق هو العلم والمعرفة، وليس الأمور السياسية أو الاقتصادية. لماذا؟ لأنهم كانوا موهوبين جدًا وأن كثيرًا من المجريين يُقرّون بأنهم قد عانوا كثيرًا من بلدان أخرى؛ لأننا طوال التاريخ نعرف جيدًا قيمة الحرية. المجر دولة صغيرة في وسط أوربا، وهي معزولة من الناحية الجغرافية، ولا توجد بها موانئ مثل بريطانيا العظمى أو فرنسا؛ لأن تلك الدول هي قوىً بحرية. إنها قوى محيطات، ولكن المجر ليست كذلك، والمجر تعرف أنها مكان معزول في الحوض الكاريبي.

كانت المجر قبل ١٥٠ عامًا جزءًا من الإمبراطورية العثمانية، وقد كان ذلك الزمن زمنًا صعبًا بالنسبة إلى المجريين. لقد خسر المجريون الكثير من الأرواح وكثيرًا من القيم، ولكن لا يزال يوجد لديهم كثير من المباني المهمة باقية من عهد الإمبراطورية العثمانية، وهذا يعد عهدًا مهمًا لأوربا. فبوسعك أن تشاهد مباني ومنازل

منذ ذلك العهد، وتنتمي تلك المباني إلى الثقافة الإسلامية، إن مدينة إيرد أوفالو Erd -Ofalu التي أعيش بها مدينة صغيرة في جنوب شرق بودابست، وتبعد عنها ٢٠كم، فيها أبراج عثمانية، وهنالك مبنى أُنشئ في القرن السابع عشر.. إننا فخورون به جداً، فهو لا يزال قائمًا مدة أربعة قرون.

ومع أن كثيرًا من المنازل قد دُمِّرت في الحرب العالمية الثانية، إلا أن هذا المبنى نجا من التدمير، فكثير من المباني المبنية من الحجر الكلسي قد اندثرت. ولكن هذا المبنى هو الرمز. إن باب هذه المئذنة أو البرج يتجه إلى مكة.. ويعد اليوم رمزًا لمدينة إيرد ـ أوفالو، ولا توجد المنارات أو الأبراج في المجر إلا في مدينتين غير إيرد ، هما مدينة بيكس pecs التي تبعد ٢٠٠كم جنوب بودابست، ومدينة إيقر Eger. وإذا زار المرء أوربا فإن الجزء الشمالي منها الذي توجد به آثار معمارية، وتعود إلى العهد الإسلامي في ذلك الوقت كان المجر فقط. كما ينبغي عليّ أن أقول: إننا نعرف جيداً حضارة الحمامات، وكانت توزع في ذلك الوقت من بودابست؛ وقد أظهرت في محاضرتي حالة تلك المباني والحمامات.

تعدّ بودابست هذه الأيام مدينة جذابة، ويقوم كثير من الناس بزيارتها بسبب الينابيع المعدنية الموجودة فيها لفائدتها الطبية المهمة.

ـ أرجو المعذرة لمقاطعتك، ولكنني أودّ أن أسأل عن هذه الينابيع المعدنية، وعن التأثير التركي أيضًا، فكيف عملت كل تلك الأشياء على توجهك نحو الشرق وعلاقتك به؟

كنت وقتها طالبًا حديث السن في المدرسة الثانوية، فاستعرت من المكتبة كتابًا، وكان في المدرسة التي أدرس فيها مدرسون ممتازون، ومدير المدرسة كان مدرس تاريخ، وكان اسمه جاقي.. وكان عمري حينئذ خمس عشرة سنة أو ست عشرة. لقد استعرت كتابي عبدالكريم جرمانوس «الله أكبر» و«سحر الشرق»، وكنت أحلم بأن أزور تلك الأماكن المذكورة فيهما، وكانت تلك الأحلام هي أحلام فتى صغير، وليس من السهل تحقيقها، ولم تكن الظروف في المجر بالسهولة التي يمكن معها القيام بتلك الرحلات.

عندما أصبح عمري ٢١ عامًا جمعت بعض المال بنفسي من دون أن أتلقى منحة دراسية من الحكومة، كان ذلك في العهد الاشتراكي. لقد جمعت ٩٠٠ دولار، واستطعت أن أقضي في الهند عشرة أشهر بهذا المبلغ، وقمت بمراسلة الكثير من المنظمات. لقد لقيت كرم الوفادة من جامعات هندية مختلفة، وعشت في السكن الداخلي للطلاب، وكنت أصرف دولارًا ونصف الدولار فقط في اليوم وهذا مبلغ بسيط جدًا.

ـ متى كان ذلك؟

كان في عام ١٩٨١م، لقد أنهيت أربع سنوات من الدراسة في الجامعة وذهبت إلى الهند، ثم عدت إلى المجر بواسطة إدارة الأرشيف في المجر؛ لأنني لم أكن أملك ثمن تذكرة السفر، فحصلت على إذن من وزارة المواصلات بأن أعود من سيرلانكا مجانًا. وقبل رحلتي

كانت لجرمانوس علاقات مع أدباء مصريين مثل البارودي ونجيب محفوظ وإبراهيم ناجي. ودهش عندما قال له ناجي: "إزيك"!

هذه التقيت شخصيًا عبد الكريم جرمانوس، وطلبت منه النصيحة عن عالم الشرق، وماذا بوسعي أن أفعل لكي أزور الهند؛ لأنه سبق له أن مكث في الهند ثلاث سنوات، وكان يعيش وسط مجتمع مسلم. لقد تلقى دعوة من طاغور الفيلسوف والشاعر والرسام، والحائز على جائزة نوبل.

كان طاغور قد مكث بضعة أسابيع في المجر في بالاتون، وقد التقاه جرمانوس هناك، فدعاه طاغور إلى زيارته، وإقامة قسم للدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي في جامعة شانتي ياكاتين Shanti Yakaten بالقرب من كلكتا Calcutta.

زرت جرمانوس في منزله، ولا أنسى تلك الزيارة ما حييت، وقد كتبت له رسائل، وحصلت على عنوانه من أستاذي العجوز أوكازا الذي كان يعمل أستاذًا للجغرافيا في جامعة ديبرش، ونصحني إذا كنت أريد السفر إلى الهند بأنه يجب أن أذهب إلى جرمانوس قبل بدء زيارتي.

- متى زار جرمانوس الهند؟

كان جرمانوس في الهند في عام ١٩٢٨م وعام ١٩٣٢م ولم تكن تتاح الفرصة لكثير من المجريين لزيارة الهند، فقليل من المجريين الذين زاروا الهند في تلك الفترة. كان جرمانوس عالمًا، وقد نشر كتابًا بعنوان «إلهام البنغال».

وحكى كيف اهتدى إلى الإسلام، وحرارة اللقاء الذي كان حين توجه إلى الجامع الكبير بدلهي لإعلان إسلامه، وقد هللت جموع المصلين عندما ألقى عليهم خطبة عن أسباب ضعف المسلمين مسترشدًا من القرآن الكريم.

- متى وصلت إلى الهند، أعني، أنا متأكد أنها كانت مجازفة جميلة، فماذا تركت في نفسك؟

التجربة الأولى كانت سيئة جدًا؛ لأن أمتعتي فُقدت عندما سافرت بشركة الخطوط الجوية التشيكية إلى الهند، فوصلت إليها من دون أمتعة أو حقائب سفر، ودون أدوية، وذهبت إلى منطقة الهملايا على ارتفاع ٤٠٠٠ متر عن سطح البحر. لقد حصلت على العلاج بعد ثلاثة أشهر. فكانت تجربة قاسية جدًا، وصلت إلى بومباي، فلم أجد أدويتي في المطار، فقال لي العاملون الهنود في المطار، لا توجد مشكلة.

وأضافوا: توجد هنا حقيبتا أمتعة ولا أحد يسأل

د. يوناش كوباشيك



عنهما. بوسعك أن تختار إحداهما وينتهي الأمر، بل بوسعك أن تختار إحداهما، أو الاثنين معًا؛ كان ذلك عام ١٩٨٠م، كانت صورة المطار كئيبة من كل النواحي، إلا أن الأمر مختلف الآن.

لقد ذهبت إلى الهملايا لأقتفي آثار مستشرق مجري آخر، وهو ساندورSandor، لقد قضى بضع سنوات في هايمانستيرز، وزنجلا، وبوكتالا، ووضعت الخطط لتعقب آثاره. وقد نشرت كتابا عن ساندور باللغتين الإنجليزية والمجرية. كنت أعيش في كشمير في مجتمع مسلم. لقد استمتعت بكرم وفادتهم. كان كرمهم عظيمًا. عندما وصلت مع صديقي قادمين من الهملايا إلى كشمير منتصف الليل كان مضيِّفنا رجلاً كريمًا جدًا، كنا متسخين جدًا، فلم تُتح لنا فرصة للاستحمام، كنا عطاشًا جدًا وجياعًا جدًا، فقدم لنا مضيفنا أفضل أنواع الطعام الكشميري، وكان لديه كثير من المعلومات عن كشمير، ولم تكن الحياة في كشمير بالحياة السهلة، فأحيانًا نسمع أصوات قنابل، وانفجارات، وأزيز الرصاص على الحدود. ولكن الجزء الغربي والجزء الشمالي من كشمير يقطنهما التيبتيون، وهم يدينون بالديانة البوذية. أما من الناحية الجغرافية فكشمير بلد رائع، والظروف هناك وفَّرت ملاذًا آمنًا للبوذيين. فقد أنشأ بوذا ديانته في الهند قبل ٢٠٠٠عام، ولكن أتباعه في الوقت الحاضر هم أقلاء ولا يوجدون إلا في الجبال الشاهقة؛ لأنه ليس من السهل الوصول إليهم، ولذلك فهي تعد ملاذًا آمنًا لهم. بالنسبة إلى كانت تجربة رائعة أن أرى التعايش بين المجتمعات الإسلامية والهندية والصينية والنصرانية؛ على الرغم مما يبدو من مشكلات أحيانًا.

فالهند بلد واحد، ولا أعتقد أنها ستنهار في ذلك الوقت.. كان الاتحاد السوفييتي بلدًا واحدًا متماسكًا، واليوم لا يوجد اتحاد سوفييتي، فقد انهار كليًا، انهار من الداخل اقتصاديًا وعاطفيًا وأخلاقيًا. أما الهند فلا تزال موجودة.

أُصبت بمرض خطير في الهند، ورقدت في المستشفى هناك، وبعد عشرة أشهر عدت إلى المجر. أكملت الدراسة الجامعية، التقطت كثيرًا من الصور الملونة في الهند بلغ عددها ستة آلاف صورة، وصرفت مبلغًا كبيرًا للحصول على هذه الصور. كما حصلت على كثير من الصور والشرائح لأستعين بهاعلى إلقاء المحاضرات في المجرأصبحت مشهورًا جدًا، وتلقيت الكثير من الدعوات، عملت مدرسًا في المدارس الثانوية بعدما التحقت بالمتحف الجغرافي، ولكن كنت ألقى أربع محاضرات أو خمسًا شهريًا بانتظام في أماكن مختلفة. تلقيت الكثير والكثير من الدعوات، وشاطرت تجربتي مع الأجيال الحديثة السن، وأحيانًا مع الأجيال الكبيرة السن أيضًا.

- هل يمكنك إلقاء بعض الضوء على هذا المتحف؟

كان عملي في المتحف هو الحفاظ على تراث الرحّالين والعلماء المجريين الذين ارتحلوا إلى جميع أنحاء العالم، وليس إلى العالم العربي فحسب، وإنما

الماسي أشهر المستكشفين المجريين. ومن اكتشافاته كهوف في الصحراء والجبال ترجع إلى ٨ آلاف سنة، وله عدة كتب عن الصحراء الليبية

إلى أمريكا، وآسيا، وأستراليا وأماكن أخرى أيضًا. وقد نظمنا معرضين دائمين، كان أحدهما هو دور الرحالة والمستكشفين الجغرافيين المجريين. وشمل ذلك ٦٨ شخصًا، كما كان لدينا معرض آخر مخصص للمستكشفين العلماء في الحوض الكاريبي. وكان يزور المعرض الكثير من الطلاب المجريين كل سنة، حتى بلغ عددهم أكثر من عشرة آلاف طالب. وكان يزور المعرض يوميًا ما بين ثلاثمئة وأربعمئة زائر. ولم يكن من السهولة تدبر أمر كل أولئك الزوار؛ لأن المعرض صغير المساحة. إنه مبنى جميل يرجع إلى القرن التاسع عشر أي أن عمره يبلغ ١٨٠ عامًا تقريبًا، وأعيد تجديده قبل ثلاث سنوات، وكانت ملكيته تعود إلى الحكومة. أما اليوم فتعود ملكيته إلى المدينة، فقد سلّمته الحكومة إلى المجتمع المحلي في المدينة؛ لأن مجتمع المدينة قام بتوفير الخلفية الاقتصادية للأنشطة العلمية والأنشطة الأخرى التي يقدمها ذلك المتحف.

ـ من الذي أنشأ ذلك المتحف؟

إن مؤسس ذلك المتحف هو جغرافي مجري مشهور يُدعى بالازس دينيس Palazs Denes، وكان جغرافيًا عظيمًا باحثًا في المنحوتات والمشغولات من الحجر الجيري (الكلس)، لقد عمل بجد كبير لإنشاء ذلك المتحف، وهو الذي طلب مني الالتحاق بالعمل فيه، وكنت حينها مدرسًا شابًا. لقد استغرق العمل في تنظيم ذلك المتحف خمس سنوات، وهذا عمل شاق بالنسبة إلى بالازس دينيس، ومع ذلك لم يتقلد أي منصب، فهو أنشأ ذلك المتحف فقط، وعمل بجد لإبرازه للوجود، ومن دون أن يتقاضى أي أموال، ومن دون راتب. لقد نشر ٢٧ كتابًا، وقام بزيارة ١٣٠ بلدًا على حسابه الخاص من دون أن يتلقى أي دعم من الحكومة؛ وهذا عمل ليس باليسير، كان عملاً شاقًا، ولكن تلقى دعمًا من مجريين آخرين يعيشون في جميع أنحاء العالم.

ونشرت كتبه باللغات المجرية، والألمانية، والبلغارية، والبولندية. لقد كان رجلاً عظيمًا، وهو في منزلة والدي الروحي. كان يدير أوراق البحوث الجغرافية في المتحف، وكان رئيس تحرير دورية المنحوتات والعناية بها. وكانت وفاته قبل عشر سنوات.

ـ ما المدة التي عملت فيها معه؟

عملت معه ١٢ سنة تقريبًا. لقد حصل المتحف على تراث جرمانوس من الحكومة، ومن جرمانوس نفسه. لقد أخبرني دينيس أن تراث جرمانوس يُعدّ تراثًا مهمًا.

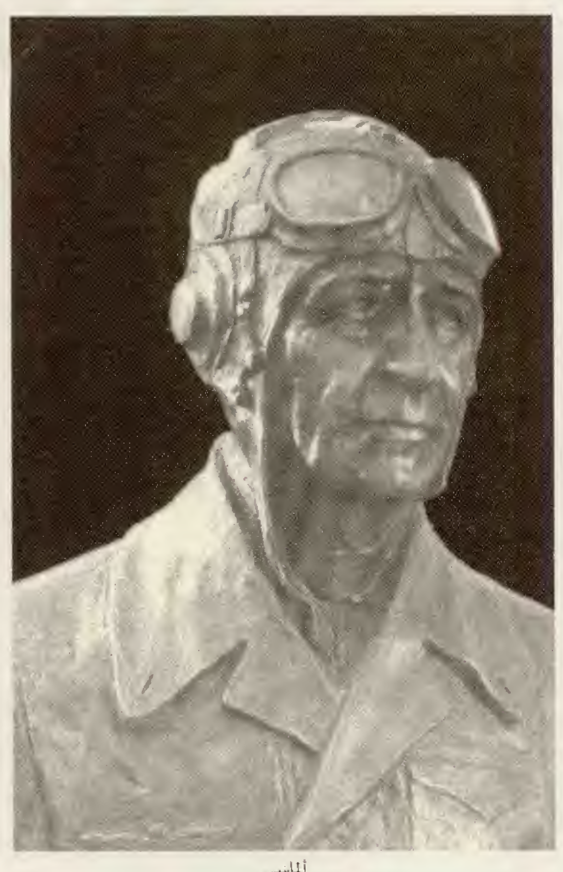
ـ متى سمعت عن جرمانوس أول مرة؟

عندما كنت في الخامسة عشرة من عمري، وكنت حينئذ طالبًا في المدرسة الثانوية، وقد قرأت كتبه وأنا في ذلك العمر. وعندما كنت طالبًا في الحادي والعشرين من عمري التقيته شخصيًا عندما زرته في منزله الذي كان يقع في وسط مدينة بودابست، ولا أزال إلى الآن أحتفظ برسالة كتبها لي بخط يده، ولقد أرسلت رسالة إلى جرمانوس، وتلقيت منه رسالة تتضمن عنوانه، ورقم

لم تستعمر المجر قط أي بلد من بلدان الشرق. وكان دافع علمائها إلى دراسة الشرق هو العلم والمعرفة، وليس الأمور السياسية والاقتصادية

هاتفه، وجاء في رسالته: «آمل أن تزورني في منزلي إذا عزمت على زيارة الهند. اتصل بي هاتفيًا وستُفتح لك أبواب منزلي». اتصلت هاتفيًا، ولم تكن الخدمة الهاتفية يسيرة في ذلك الوقت في بودابست، فلم يمتلك والدي حينئذ هاتفًا منزليًا. لقد سرت على قدميّ مدة ٤٥ دقيقة لأصل إلى أقرب مركز خدمة هاتفية، واستغرق الوقت ساعتين حتى استطعت الاتصال به، ردّ عليّ جرمانوس، وأخذ يوجه لي بعض الأسئلة، وكانت تلك الأسئلة اختبارًا لي، ومن ذلك: ماذا قرأت لجرمانوس؟ أخبرته ماذا قرأت له. لماذا تريد التقاءه؟ ما الغرض من زيارتك؟

أجبته أنني أخطط للسفر إلى الهند، وقبل أن أشرع في رحلتي تلك أود أن أُعدَّ وأجهز لها بأخذ النصيحة منه. هذا هو سبب طلبي التقاءه، وعندما ذهبت إلى منزله كانوا مؤدبين وكرماء معي، واطلعت على مكتبته التي كانت تحتوي على خمسة آلاف كتاب تقريبًا من العالم العربي، وكتب إسلامية، وكتب غربية.



الماسي

. كم كان عمره حينئذ؟

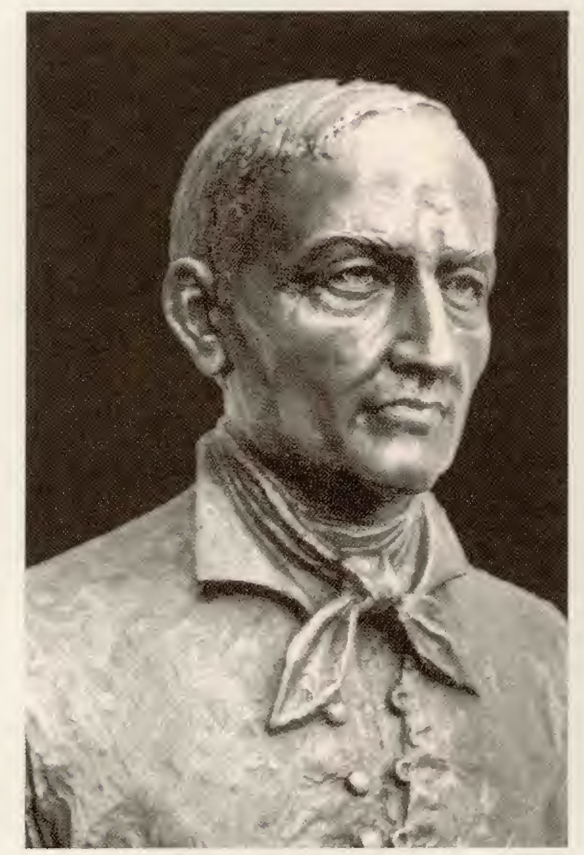
كان ذلك في عام ١٩٧٨م، وقد توفي بعد عام من ذلك التاريخ، وقد وُلد في عام ١٨٨٤م أي كان عمره ٩٤ عامًا، وقد قمت بزيارته عدة مرات بعد تلك الزيارة، كما قمت بزيارة أرملته (زوجته الثانية كاتالين كاجاري Katalin Kajari) التي اعتنقت الإسلام، وتسمت بعائشة، ولديها عنه انطباع قوي؛ لأنها رافقت زوجها في الهند، وفي سورية، وفي لبنان، والمملكة العربية السعودية.

. هل لا تزال على قيد الحياة أم تُوفيت؟

لقد توفيت في عام ١٩٩٠م. وقد التقيت في منزل جرمانوس المؤرخ المجري المشهور جدًا أنتال جوزيف الذي كان يتولى إدارة المتحف الطبي، وكان تلميذًا لجرمانوس، وقام بتحرير مقالة جرمانوس التي تتحدث عن ضريح بوذا، هذا هو عنوان الكتاب، و «أنتال جوزيف Antall Jozsef» أصبح رئيس وزراء للمجر بعد تغيير النظام في المجر.

. ما هو انطباعك عندما التقيت شخصية مهمة مثل جرمانوس؟

لقد كان قائدًا جذابًا ساحرًا للجماهير، قال لي تفضل واجلس، لقد قابلته أول مرة، وشعرت أنني أعرفه منذ طفولتي، لقد كان مؤدبًا ومنفتحًا، لا يجعل مسافة بينه وبين الناس. لقد قدموا لي قدح الشاي



ساندور كوروسي كوسوما

بمادة مُحلاة جيدة جداً مستوردة من الهند. وقد أخبرني جرمانوس بنفسه أنه لا يُعدُّ مستشرقًا فحسب، ولكنه أيضًا يعرف الكثير عن الجغرافيا، الجغرافيا السياسية، والجغرافيا التاريخية، كما حدثني عن الحدود الطبيعية للدول، وأنها أمر مهم جداً، وذلك مثل سواحل البحار، والجبال، والأنهار.

وحدثني عن البلدان التي لها حدود طبيعية، فإنجلترا أو بريطانيا العظمى لها حدود طبيعية فهي جزيرة، كما أن للهند، ولسيرلانكا حدوداً طبيعية أيضًا، وكذلك لشبه الجزيرة العربية، ولكن كثيراً من البلدان مثل أثيوبيا لا يوجد لها حدود طبيعية؛ فالمنطقة الطبيعية مقسمة بين أثيوبيا وأرتيريا، والصومال، وجيبوتي، وانطباعي عن جرمانوس أنه رجل ذكي، بل ذكي جدًا. وبوسع المرء أن يستفيد من كثير من تجربة حياته. وإذا سألته عن شيء فلديه الكثير، وله الكثير من الأصدقاء من مشارب ثقافات مختلفة.

كان على اتصال مع ذكير حسين أحد أساتذة الجامعات، وقد أصبح بعد ذلك رئيسًا للهند، ومع جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند، وكان له اتصالاته مع كثير من علماء المسلمين، وقضى وقتًا طويلاً في مصر.

- هل كانت له علاقة مع البارودي؟

نعم، نعم، ومع نجيب محفوظ الذي لا يزال على قيد الحياة. ويبلغ عمره الآن ٩٧ أو ٩٨ سنة. عندما كان طالبًا وأستاذًا في الأزهر التقى نجيب محفوظ ومحمود تيمور، والواقع أنه التقى الكثير من العلماء المشهورين.

وأعتقد أن إبراهيم ناجي كان صديقه أيضًا، لقد قام بزيارة ناجي في المستشفى في إنجلترا بعدما تعرض ناجي لحادث سير. لقد قرأت إحدى المقالات التي كتبها جرمانوس في مجلة المنهل، وقال في تلك المقالة: إن القاهرة هي أعظم بلد في العالم.

نعم، أعتقد أن القاهرة كانت تشكل نصف قلب جرمانوس؛ لأن الأزهر ترك انطباعًا عميقًا في جرمانوس، كما بدأ رحلته البحرية إلى المملكة العربية السعودية من القاهرة، وقد أعطاه أصدقاؤه في القاهرة رسالة توصية إلى عائلة زينل في جدة.

وقد وفرت تلك العائلة سكنًا مؤثثًا لجرمانوس، وكان اتصاله مع تلك العائلة اتصالاً حميمًا جدًا، ثم عاد إلى القاهرة وكانت هي الزيارة الثانية له، وحدثت في عام ١٩٦٥م، بينما نزل في زيارته الأولى ضيفًا على الأستاذ محمد نصيف، وفي وقت لاحق عندما تقدمت به

السن، حصل على منصب كبير، وانتخب عضوًا في لجنة تأليف قاموس عربي.

كان يتحدث العربية الفصحى، واللغة العربية الأدبية غير لغة عامة الناس، وقد حظي جرمانوس بكرم الوفادة في القاهرة. قمت بزيارة القاهرة عام ١٩٩٢م وزرت بها الجمعية الجغرافية هناك، وقد استقبلني الرئيس البروفيسور سليمان حسين. كان رجلاً متقدمًا بالسن، وكان عمره ٨٥ عامًا، وقال لي: «لدي ثلاثة أصدقاء مجريون هم: ألماسي لاسزلو Almasi Laszlo مستكشف الصحراء الذي نشر نتائج استكشافاته في هذا المبنى، مبنى الجمعية الجغرافية في القاهرة. كان ذلك شيئًا جميلاً فيه، فهو لم يعد إلى أوربا لينشرها بمعهد ألماني أو إنجليزي، لقد نشرها في مصر؛ لأن هذه الاستكشافات هي من إنجاز مصر، وبذلك تخص مصر، وهذا أمر مهم جدًا، لأن بعض العلماء الذين زاروا السعودية وقاموا بأبحاث هناك عادوا ونشروا أبحاثهم خارج السعودية، وهذا عمل غير جميل، فالأفضل أن ينشروا أعمالهم في المكان الذي أجروا فيه أبحاثهم؛ لأن هذا العمل هو قيمة مشتركة.

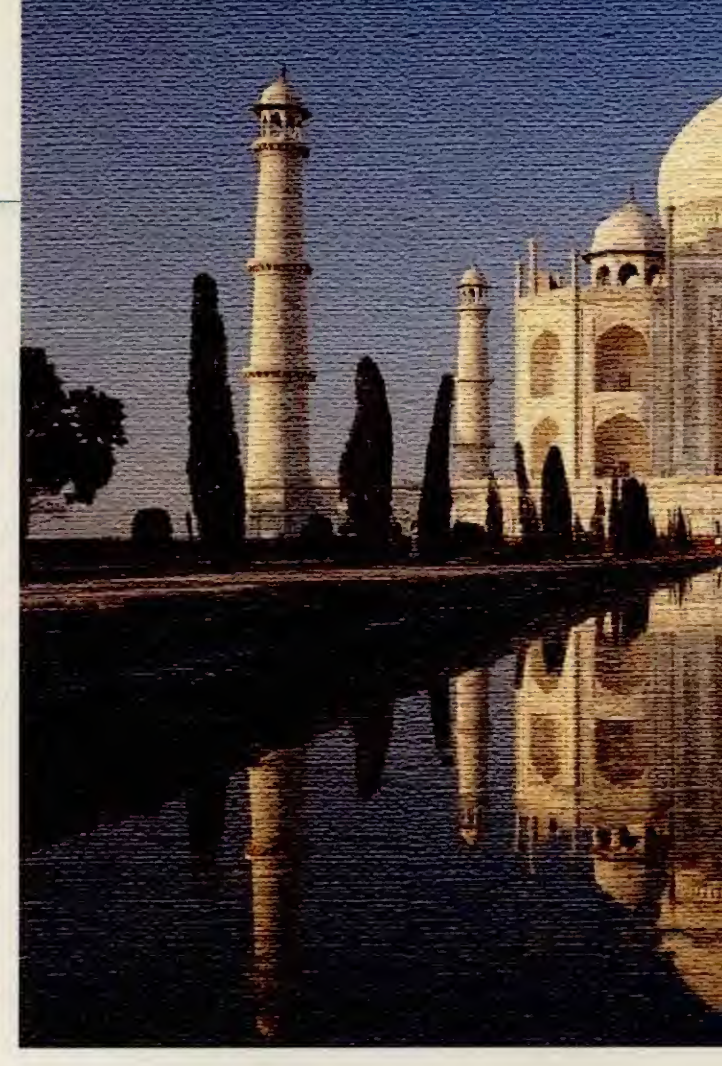
- وماذا أيضًا؟

كان جرمانوس يواجه أحيانًا بعض المشكلات، وسأروي لكم قصة أخرى عن جرمانوس: حدثت ثورة في المجر عام ١٩٥٦م، وانخرط في تلك الثورة بضعة طلاب، واحتجوا ضد الاحتلال الروسي، وكان واحد يدعى كرودينال ألايوش من بين طلابه، وكان يتحدث العربية بطلاقة، كما كان خبيرًا في وسائل الإعلام ومراسلاً لإحدى المحطات التلفازية، فألقي القبض عليه؛ كان طالبًا يافعًا، فذهب جرمانوس إلى السلطات المجرية وقال لهم: أرجو إطلاق سراحه، وقال: إنني أعرفه جيدًا، إنه طالب مستقيم، قد يكون ارتكب خطأً ما، ولكنه ليس بذلك الرجل السيئ وقام بكفالة ذلك الطالب، فأطلقت السلطات المجرية سراحه، وهذا الطالب لا يزال على قيد الحياة، ويعمل مراسلاً لإحدى القنوات الفضائية.



تاج محل من معالم الهند التي ولع بها جرمانوس

عشق جرمانوس الهند، وقال إن مصر أعظم بلد في العالم، وما كتبه عن السعودية مهم جدًا، وكان تقديره للملك عبدالعزيز عظيمًا



العربية، ثم قام بزيارة إلى مصر، وما كان يهمه في ذلك الوقت هو الاتصال بالجهات المحلية. كان له اتصالات مع رَسِل، وكان رسل حينئذ مدير الشرطة. ورسل باشا هو من أصل إنجليزي، لكن اتصالات جرمانوس كانت مع العلماء، وأساتذة الجامعات والكتّاب، كما كان خبيرًا ضليعًا بالأدب العربي، وقد كتب الكثير والكثير من الكتب عندما عاد إلى المجر. حان الوقت لأن ينكبّ على العمل، وكانت طاولة مكتبه مشهورة جدًا؛ إذ كان يمتلكها جنرال مجري مشهور هو جيرجيه.

في عام ١٨٤٨ أو ١٨٤٩م كان قد حان الكفاح من أجل الحرية، وكان قائد ذلك الجيش هو جيرجيه.. وقد قابل جرمانوس ذلك القائد في ويشاحريد.

وقدم جيرجيه طاولة مكتبه هدية إلى جرمانوس، وهي طاولة قديمة جدًا وجميلة جدًا. كان لجرمانوس عدة اتصالات مع جونار يارنغ الذي كان يتقلد منصب الأمين العام للأمم المتحدة، كما كان له اتصالاته مع السياسيين، والسفراء، والوزراء. لقد حلَّ جرمانوس ضيفًا على العلماء الأكاديميين في مصر. لنعد ثانية إلى المجر، وقد تواصلت تلك الاتصالات من خلال السفارة السعودية في مصر والسفارة المصرية، ولا يوجد سفارة سعودية في المجر.

- عندما زار جرمانوس المملكة هل كان يريد استكشاف بعض الأماكن، أم كان يريد أداء فريضة الحج؟

لقد جاء إلى هنا لأداء فريضة الحج، ولكنه كان شديد الملاحظة، وكتب عن ملاحظاته في المملكة العربية السعودية عدة فصول في كتابه «الله أكبر»، وآمل أن يفهم الجميع في السعودية لماذا كانت السعودية مهمة بالنسبة إلى جرمانوس، فجرمانوس لم يكن مستكشفًا مثل كولومبس أو ماجلان، لأن كولومبس ذهب إلى أمريكا،

- هل التقى جرمانوس شخصيات أوربية مشهورة في مصر؟

لقد ذكر أسماء قليلة من الأوربيين في كتابه، ولكن ما كان يهم جرمانوس هم الأشخاص المحليون، وليس الأوربيين، كان يبحث عن الشركات المصرية، والشركات

زار جرمانوس السعودية ثلاث مرات، ونزل على الشيخ محمد نصيف، وأكرمتْ عائلة زينيل وفادته، وكتب كثيرًا عن الملك عبدالعزيز، ووصفه بالشجاعة والأدب

ولم يكن قد ذهب إلى أمريكا أحد قبله، فقبل أن يذهب جرمانوس إلى السعودية زارها قبله جغرافيون كثيرون من ألمانيا، ومن البرتغال، ومن إنجلترا، ومن فرنسا، ولكن المعلومات التي سجلها عن السعودية كانت مهمة جداً، وكان أول شخص مجري يزور السعودية وقابل الملك عبدالعزيز الذي أحسن استقباله في خيمته، وقضى بضعة أسابيع ضيفًا عليه، ونشر فصلاً عن عبدالعزيز. تعرض الملك عبدالعزيز لمحاولة اغتيال، ولكنه نجا منها؛ فاستقبل بعد هذه الحادثة كثيراً من رؤساء القبائل المختلفة، وكان جرمانوس يقيم في ذلك المكان في أثناء محاولة الاغتيال، وقد كتب جرمانوس الكثير عن شخصية الملك عبدالعزيز، وذكر أن الملك عبدالعزيز كان شجاعًا جداً، ويتحلى بأدب جم. لقد حمل جرمانوس ذكرى طيبة، وإلى الأبد، عن الملك عبدالعزيز. ولا يزال ما كتبه جرمانوس عن السعودية مهمًا جداً.

- إذا أفضنا الحديث عن السعودية...؟

نعم، هناك تجربة عميقة لجرمانوس، وبخاصة في مصر؛ لأنه قضى معظم وقته هناك، كما ذهب إلى تركيا عندما كان لا يزال شابًا حديث السن، وقضى فيها ثلاث سنوات أو أربعًا في عهد السلطان عبدالحميد الثاني، ثم عاد إلى تركيا، ولكن لفترة قصيرة، ولكنه كان يزور مصر بانتظام. وقد قضى في السعودية عدة شهور ولكن لم يطل به المقام كما هو الحال في مصر أو في تركيا؛ ولذلك كان وقته محدوداً، وكذلك الفرص والإمكانات التي أتيحت له، ولكن حصل على معلومات كثيرة عن الفئات المختلفة للشعب السعودي.

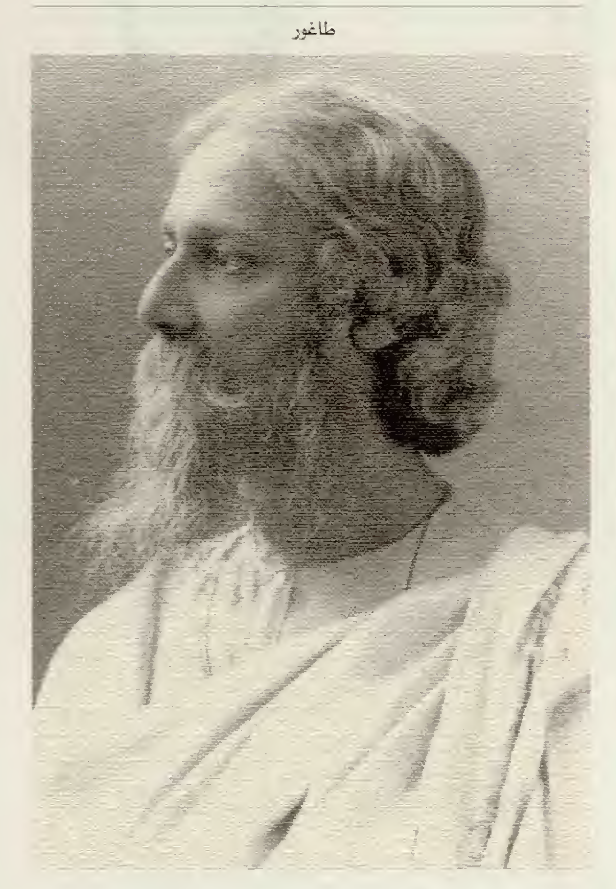
- كم مرة زار السعودية؟

ثلاث مرات، المرة الأولى عام ١٩٣٤م أو ١٩٣٥م، والمرة الثانية في أثناء الحرب العالمية الثانية، ولكنها كانت زيارة قصيرة جداً، فقد زار جدة فقط، والزيارة الثالثة كانت في عام ١٩٦٥م، وزار فيها جدة، ومكة، والمدينة المنورة.

- ما تأثيره بشكل عام في الدراسات المجرية عن العالم العربي؟

لقد ترك تأثيراً قويًا هذه الأيام، لماذا؟ لأننا ننشر كتبه بانتظام، ففي العام الماضي نشرت مؤسسة بالاتينوس ثلاثة

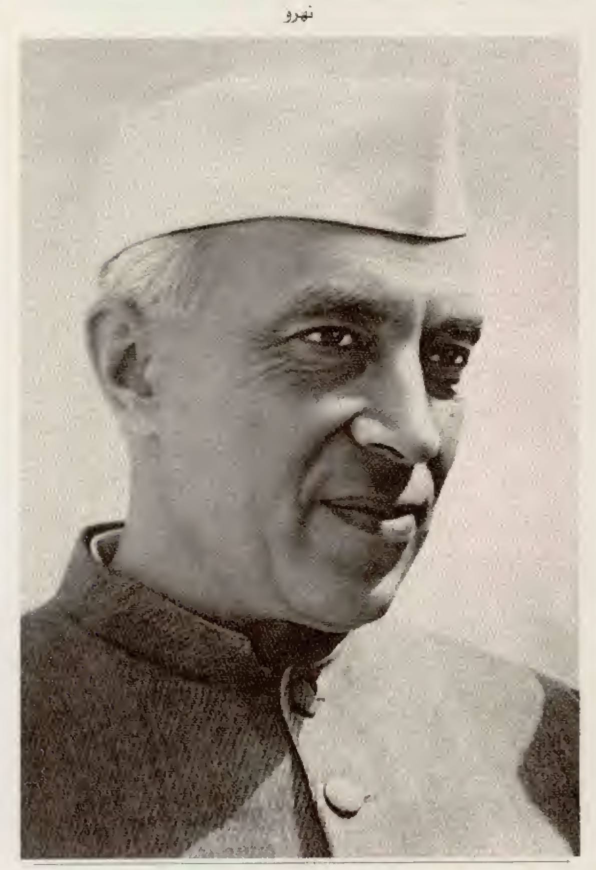
طاغور



أعمال لجرمانوس، وكنت أنا مسؤولاً عن تحريرها. وكتبت مقدمتها في اثنتي عشرة صفحة أو خمس عشرة، وكان أثر هذه الكتب قويًا جدًا، وبيعت كلها بعد بضعة أسابيع من دون دعاية أو إعلانات تجارية في الإذاعة أو التلفاز. وكانت تنفد من المكتبات بعد شهر أو شهرين من نشرها..

وهذا ليس بالأمر البسيط، بل كان بعضهم يسرق كتب جرمانوس من المكتبات؛ لأنه يحب تلك الكتب، وهي ليست متوافرة في السوق. فإذا قام أحدهم بسرقة كتاب من المكتبة فهذا يعني أن ذلك الكتاب جيد.

نهرو



ـ ألا تزال كتبه هي أكثر الكتب مبيعًا؟!

نعم، هي أكثر الكتب مبيعًا، إننا نطبعها، ونعيد طباعتها خمس مرات أو ستًا. وفي هذا العام قمنا بإعادة طباعة كتاب «الله أكبر» في المتحف الذي أعمل به، وهو الذي يملك حق الطبع وإعادة الطبع، وبوسعي أن أسند إلى أي مؤسسة طباعية طباعة كتبه باللغات الأجنبية.

قبل خمس سنوات طلبت ثلاث مؤسسات في إنجلترا معلومات عن «إلهام البنغال»؛ لأنها تخطط لعمل فيلم عن ذلك الكتاب؛ لأنه كتاب رائع جدًا، ولكنها لم تكمل ذلك الفيلم. ولذلك فإني أعتقد أن تأثير جرمانوس قوي جدًا هذه الأيام، وتأثيره عادة في المفكرين وفي الطلاب والأجيال الشابة، وليس في عامة الناس.

كما أن الحكومة المجرية تكنّ له الاحترام أيضًا، وقد أُطلق في بودابست اسمه على أحد المتنزهات العامة، وهذه علامة تنم على الاحترام. كما أقيم له تمثال صنعه النحات كيش سيجموند.



ـ من أكثر تلامذة جرمانوس تأثيرًا في هذه الأيام؟

الواقع أن له تلاميذ كثيرين تركوا تأثيرًا كبيرًا: أحدهم هو ساندور فودور الذي يعمل رئيسًا لقسم اللغة العربية في جامعة بودابست، وهو رجل مشهور جدًا، ويحظى بالاحترام، وكذلك فيري جاسوم الذي يعمل أستاذًا في جامعة لندن، ويبلغ من العمر ٧٨ عامًا، وكان قد عمل سابقًا سفيرًا للمجر في الكويت. أما أكثر تلامذته تأثيرًا فهو كروديناكو لايوش، وكان مراسلاً تلفازيًا، وقد أنتج كثيرًا من الأفلام عن العالم العربي، أما رابع أكثر تلامذته تأثيرًا فكان سفيرًا. كما أن أنتايوشا بوسوفانتو هو أحد تلامذته المؤثرين، ولكنه مات وقد تقلد منصب رئيس وزراء في المجر، وهو مؤرخ مسلم.

لقد درس تاريخ العالم العربي على يدي جرمانوس



نجيب محفوظ

فكثير جدًا من السفراء، ومن ذوي المناصب العليا كانوا طلابًا درسوا على يدي جرمانوس في الجامعة.

. هل توجد جمعية صداقة عربية / مجرية؟

كثيرون من العرب يعيشون في المجر، ويكملون دراستهم في جامعة بودابست وغيرها. ولهم صداقات مع مجريين، ومنهم من تزوج هناك. فعلى سبيل المثال تعمل زوجتي مدرسة في مدرسة إيرد، ويوجد في الصف الدراسي الذي تدرسه طالب نصفه عربي، ونصفه مجري، إنه طفل صغير، واسمه رمزي، إنه طفل لطيف قريب من النفس جدًا.

والعرب في المجر من جنسيات مختلفة، ولا أعرف بالضبط عددهم ويمكن أن يكونوا نحو عشرة آلاف أو أكثر. ولكن حرية ممارساتهم لشعائرهم الدينية مضمونة، فلا أحد يستطيع أن يقيد حريتهم في ممارسة شعائرهم الدينية. فهذا الحق يضمنه الدستور، ولديهم مسجد واحد في بودابست. وهذا شيء جيد بالنسبة إلى المجر، لأنهم يعملون لمصلحة البلد.

. هناك قبيلة كبيرة في السودان ذات أصول مجرية؟

نعم إنها تسمى «الماجاراب»؟ وكان للألماسي اتصالات شخصية مع هذه القبيلة، وقد قام بزيارتها في وادي حلفا.

وتعيش سلالة الماجاراب في حلفا منذ القرن السادس عشر، لقد أحضرهم الجنود الأتراك وهم يعيشون في السودان وفي مصر. لقد اتصل بهم ألماسي، وجرمانوس كان أحيانًا يحلُّ ضيفًا عليهم؛ لأنه توجد مجموعة منهم في القاهرة، فكان يزورهم أحيانًا. ونحن على علم بتلك الاتصالات، ومن المهم أن نعرف أن مُجتمع الماجاراب يقطن بالقرب من كومو امبو في مصر، ووادي حلفا في السودان. وهم شديدو الشبه بالمجر على

في الجامعة، وهو مشهور جدًا، ولديه معرفة جيدة عن العالم العربي وأصبح أحد أول ثلاثة رؤساء وزراء منتخبين في المجر؛ وذلك من عام ١٩٩٠ - ١٩٩٣م.

لقد كان أحد طلاب جرمانوس المؤثرين جدًا، وكذلك كوتونا تاماشي الذي شغل منصب أمين عام الدولة في وزارة الخارجية المجرية وكان طالبًا لجرمانوس مدة ثلاث سنوات.

حكى جرمانوس كيف اهتدى إلى الإسلام. وكيف استقبلته جموع المصلين في جامع دلهي بحرارة. فخطب فيها مسترشدًا من القرآن الكريم

الرغم من أن البشرة قد تكون سمراء أو بنية، إنه لشيء طيب.. كيف نقيم التعاون؟ إذا كنا يعرف بعضنا بعضًا، يجب أن نضع جسرًا للتواصل، هذا هو طريق المستقبل، يجب أن يتعرف بعضنا إلى بعض بشكل أفضل، وأن نعرف اهتماماتنا، وتاريخنا وخلفياتنا، وهذا ما يساعد على التفاهم بيننا، والمشاركة في حل مشكلاتنا.

فالسفير المجري الحالي في المملكة العربية السعودية استيفان تولي istivan tolli الذي جاء إلى هنا في الرياض منفتح جدًا لتطوير العلاقات الثقافية والعلمية، وهو يعمل كل ما في وسعه في هذا المجال، وكذلك السفير السابق. إنهم يحبون العالم العربي والثقافة العربية، وإنه من المهم جدًا أن نطور العلاقات بين المجر والبلاد العربية.

تعدّ المجر بلدًا صغيرًا نسبيًا، أما السعودية فهي بلد كبير.. إنها أكبر من المجر، كما أن فرص السعودية وإمكاناتها أكبر بكثير من إمكانات المجر، ولكن قد نجد بينهما خطًا للتعاون والتفاهم.

أخبرني جرمانوس أنه ليس مستشرقًا فحسب. وإنما يعرف الكثير عن الجغرافية السياسية. وأوضح لي أهمية الحدود الطبيعية للدول

ـ أعتقد أن ألماسي كان مستكشفًا لكثير من الكهوف؟

نعم، نعم، إنه أو «الإنجليزي الصبور»، إنه أشهر المستكشفين المجريين، وقد استكشف الكثير من الكهوف في صحارى وجبال عمرها ٧ أو ٨ آلاف سنة، وأبرز رسومات، ومنحوتات. وقد نشر عدة كتب عن الصحراء الليبية، وأحد هذه الكتب هو بعنوان «الصحراء المجهولة»؛ لأنه اكتشف كثيرًا من طرق القوافل غير المعروفة لدى الأوربيين، وكان ألماسي وجرمانوس صديقين حميمين.

ـ نعم، لماذا اهتم الاثنان بالشرق؟ هل هذا الاهتمام يعود إلى التأثر بالإمبراطورية العثمانية؟

لا، لا، فألماشي في الأصل طيار، وحاصل على درجة جامعية في الهند من إنجلترا، وعائلته ثريّة جدًا.

أما عائلة جرمانوس فتنتمي إلى الطبقة الوسطى، فهي ليست ثريّة، فوالده صانع أحذية وصانع جلود، ولم تكن عائلته غنية جدًا، وعائلة ألماسي كانت أغنى، لكن ألماسي نفسه، لم يكن ثريّاً ؛ لأنه وفقًا للقانون المجري فإن ثروة العائلة تؤول إلى أول مولود ذكر، أما المولود الثاني فلا يأخذ من الثروة إلا القليل شهريًا. ذهب ألماسي أولاً إلى مصر ثم إلى السودان لأغراض الصيد، ولكنه افتتن بالصحراء. عندما عاد بالسيارة أصبح بطلاً؛ لأنه سار بمحاذاة نهر النيل وحده ، وعندما عاد نشر بضع مقالات في المجلات والدوريات والصحف في مصر. وقرر أن يعود ويبحث في أسرار الصحراء. لقد قرأ كتاب هيرودتس، وكان هيرودتس قد نشر فصلاً عن زحف خمسين ألف جندي من طيبة إلى شيبا، ولا أحد يعرف ماذا حلَّ بذلك الجيش، وتمثّل حلم ألماسي بأن

يبحث عن ذلك الجيش. كان الماشي يتحدث العربية بطلاقة، وكان اسمه (أبو رملة).

وقد التقى جرمانوس عدة مرات في القاهرة، واستقبله الملك فؤاد وابنه الملك فاروق شخصيًا، كان الماسي مدربًا لطيار فاروق؛ لأن فاروقًا يحب السفر بالطائرة، والماسي كان مدرب طيران وقيادة أيضًا، وكان الماسي يحظى باحترام كبير في ذلك الوقت، وكان له صديق حميم هو الأمير كمال الدين، الذي كان لديه علم ومعرفة كبيرة بالناس، وكان يعتقد أن الماسي رجل مؤهل لمتابعة أعمال الاستكشاف، فتدبر أمر تزويد الماسي بمساعدة مالية. لقد قضى الماسي وجرمانوس وقتًا لا بأس به في القاهرة.

في إحدى المرات وقع جرمانوس في ورطة؛ إذ أصاب سيارته خلل ميكانيكي، وتوقفت في الصحراء؛ ولذلك لم يعد إلى القاهرة في الوقت المقرر، وعلم مدير شرطة القاهرة رضا باشا بخبر عدم عودة جرمانوس، وسأل عنه، وقال: الجو حار جدًا، فإذا لم يكن معه ماء فسوف يموت في اليوم التالي، سيموت في الصحراء من دون ماء، وسأل رضا الماشي عن رأيه في مشكلة جرمانوس، وقال له: أين جرمانوس؟ يجب أن نبحث عنه. وقد عثر الماسي على سيارة جرمانوس، ووجد جرمانوس والسائق وأحد أساتذة الجامعة بالقرب من السيارة، لم يغادروها، كانوا محظوظين؛ لأنهم لو ابتعدوا عن السيارة لكان من المستحيل العثور عليهم، فهنالك أنظمة وقوانين تحكم الصحراء وتنص على عدم مغادرة السيارة؛ لأن البحث عن السيارة أيسر من البحث عن شخص.

كما وقع الماشي بعد الحرب العالمية في ورطة كبرى، لأنه التحق بالجيش الألماني في ليبيا، وكان مستشارًا للقائد الألماني رومل. عاد إلى المجر فوقع في ورطة؛ لأن المجر كانت لا تزال تحت الاحتلال الروسي، فألقي القبض عليه، وأُودع في السجن، وقد أنقذه جرمانوس.



جرمانوس واقفاً ينظر إلى طاغور

ذهب عبدالكريم جرمانوس إلى القاضي، وقال له:هذا رجل مستقيم، وأنا أعرفه، إنني أعرف أنه رجل مستقيم، وأضاف نعم كان أحد أفراد الجيش الألماني، ولكن لم يرتكب خطأ في حياته ضد الإنسانية، وإنني أشهد باستقامته. كان أستاذًا جامعيًا محترفًا، كان يدرِّس في أكاديمية الشرق، فاحترم القاضي شهادة جرمانوس، وأطلق سراح الماسي، وعاد الماسي إلى مصر، وتوفي في سالزبورغ في عام ١٩٥١م بسبب سرطان الكبد. وكان جرمانوس والماسي صديقين حميمين، وقد قابلت إحدى سيدات أسرة الماسي، وقالت


من الصور التي التقطها جرمانوس وهو يؤدي مناسك الحج

لي عندما كان يواجه الماشي مشكلة يقول: إن كثيرًا من أصدقائه تخلوا عنه، ولكن جرمانوس كان يقف معه.

ـ متى توفي ألماسي؟

توفي عام ١٩٥١م في سالزبورغ في النمسا. لقد أحاط بحياة ألماسي أشياء غامضة كثيرة. قيل إنه جاسوس للإنجليز، وللروس، وللألمان.. كثير من المقالات السخيفة كتبت عنه، قيل عن ألماسي إنه نازيٌّ، لم يكن نازيّاً، لم يكن نازيّاً أبدًا! كان مجريّاً، كانت آراؤه تتطابق أحيانًا مع آراء الألمان، ولكن لا يوجد دليل على أنه كان نازيّاً.

- ماذا عن مؤلفاتك؟

لقد كتبت عشرين كتابًا، أحدها كتبته في مركز الملك فيصل عن ألماسي. لقد استغرق البحث مني حتى كتبت هذا الكتاب ٢٣ سنة.

لقد كتبت ساندور كوروسي كوسوما sandor korosi csomo (١٧٨٤ ـ ١٨٤٢م) أحد الكتب في التيبت والهند، وكتابًا آخر عن سانتو سيانوش الجغرافي المجري المشهور، كما كتبت كتابًا آخر من سيرلانكا؛ كما أنني المجري الوحيد الذي كتب كتابًا عن تايلند، بل نشرت كتابين عنها، فأنا أحبها وأحب شعبها.

ونشرت كتابًا عن تايوان في العام الماضي، وهو أول كتاب باللغة المجرية عنها، وكنت قد تلقيت دعوة من صديق تايواني، وقضيت شهرًا في تايوان، ولكنني زرت الكثير والكثير من الأماكن. لقد زرت حدائق عامة، وجبالاً، وسواحل بحار، وجامعات، وكثيرًا من الإدارات.

ـ ولكن بخبرتك هذه بالمشرق، فهل لديك أي علاقة لِنَقُل مع مؤسسات جغرافية؟

نعم، نحن لدينا علاقة مع الجمعية الجغرافية الوطنية، ولديهم فرع في بودابست، وطلبوا مني النصيحة. ولدينا مجلة أخرى اسمها «الكرة الأرضية»، إنها مجلة الجمعية الجغرافية المجرية، وأنا أعمل عضوًا في أسرة تحريرها، وأكتب فيها مقالاً دوريًا.

ـ ما أكثر كتاب من الكتب التي نشرتها تأثيرًا في المجريين؟

أكثر كتبي تأثيرًا هو «ساندور كوروسي كوسوما»، فبعد سنتين من طباعته طلبت مني الشركة الناشرة أن أُعِدَّ الطبعة الثانية لذلك الكتاب، كما تلقيت عدة دعوات لإلقاء محاضرات بعد نشره؛ لأن كثيرًا من المدارس



من الصور التي التقطها جرمانوس في إحدى زياراته للمملكة

اتخذت اسم «ساندور». فعدد المدارس التي اتخذت هذا الاسم خمس عشرة مدرسة تقريبًا.

ـ هل لك أن تخبرنا عن أعمال لم تُنشر بعد، أو ربما يكون هنالك قليل من المعلومات أو قليل من الناس يعرفون أشياء عن جرمانوس؟

يوجد الكثير والكثير من رسائله في أماكن مختلفة، إننا لا نعرف بالضبط أين؛ لأنه كان يكتب للكثيرين؛ وربما ستكشف هذه الرسائل عن تراث آخر، ونأمل أن نعثر على الرسائل التي كتبها بخط يده بعد بضع سنين من الآن.

ـ هل لديك بيان بمؤلفات جرمانوس؟

لا، لا نملك بيانًا كاملاً بمولفاته. لقد توفي قبل ٢٥ سنة، وهذا وقت قصير لا يكفي لأن نعدَّ بيانًا بمؤلفاته، ولكننا استثمرنا قدرًا كبيرًا من الطاقة لفائدة هذا المتحف،

ولدينا معلومات في هذا المتحف عن ألف شخص مجري، وجرمانوس هو أحدهم، ومهم جداً، ولكن لدينا الكثير عن أشياء أخرى مهمة، ولكن هذه الطاقات محدودة؛ لأن عدد العاملين في المتحف خمسة أشخاص فقط، ثلاثة منهم يحملون شهادات جامعية، ولكن الوقت محدود جداً لإجراء بحوث، فالإمكانات في الجامعات ومراكز البحوث الجامعية المجرية ضعيفة بالمقارنة بمثيلاتها في السعودية. فالمراكز في الأكاديمية في المجر تعاني نقصاً في السيولة النقدية، وهذا يشكل مشكلة كبيرة، وهذا لا ينطبق فقط على المعاهد الأكاديمية، بل ينطبق أيضاً على أقسام وكليات الجامعات فهي على حافة السكين، ولا تعرف كيف تتابع عملها في السنة التالية. فالأمر ليس باليسير، فميزانية الأكاديمية العلمية المجرية في حالة سيئة جداً. يجب أن نستثمر بشكل أكبر في المجالات العلمية في الحفاظ على الثقافة المجرية، وحينئذ يصبح بوسعنا أن نقدم نتائج وإنجازات أكبر.

ولدي كتاب عن الماسي آمل أن يتولى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية نشره، فقدأخذ مني مجهوداً كبيراً لإعداده.

- إذا تركنا لك المجال في ختام هذا اللقاء.. ماذا تقول؟

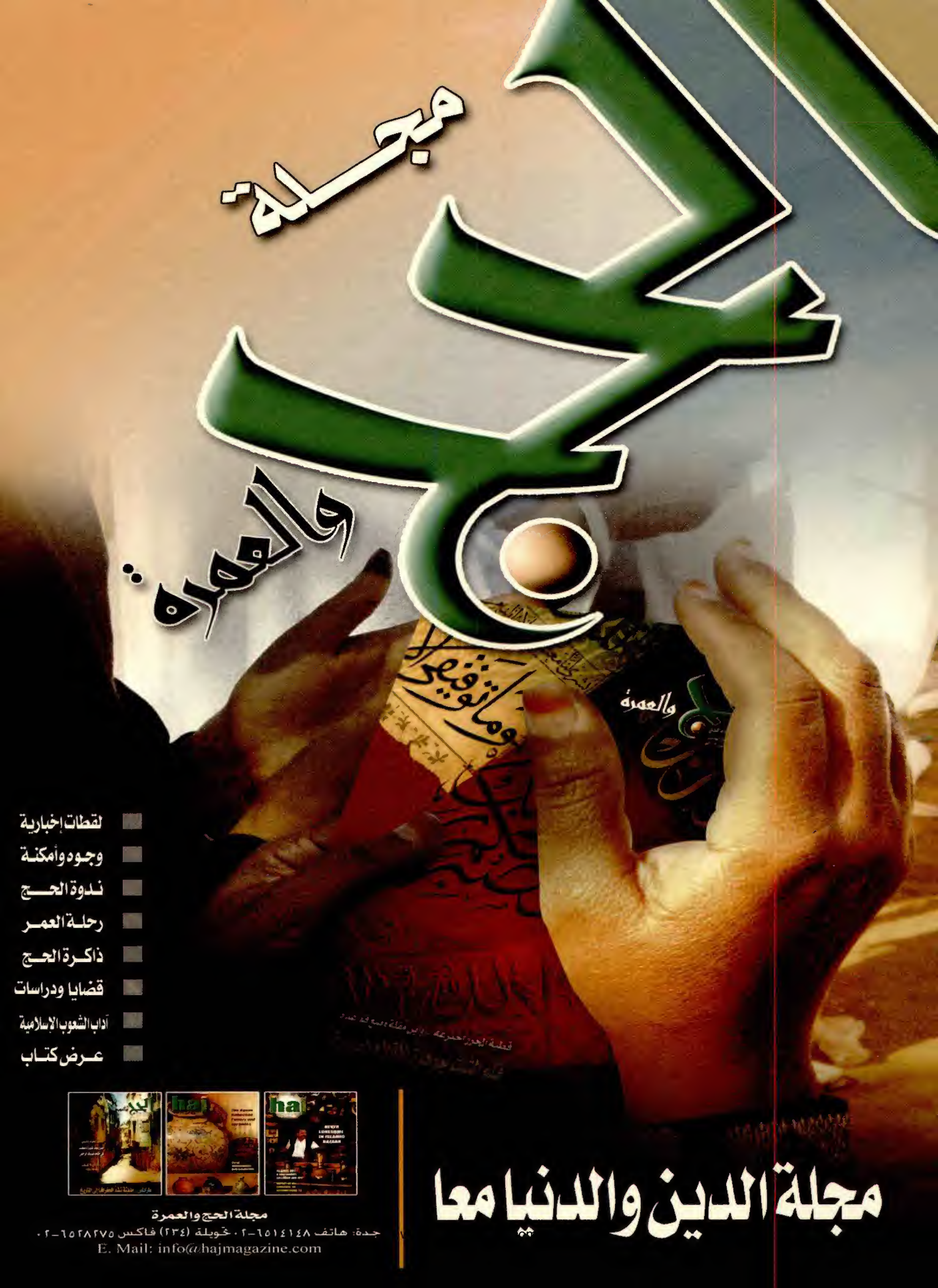
قال كوباشيك، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة

نعتز بالثقافة الإسلامية، ونحافظ على آثارها، وهناك مبنى أثري لا يزال قائماً في إيرد ـ فالو منذ أربعة قرون، ونجا من الدمار في الحرب العالمية الثانية

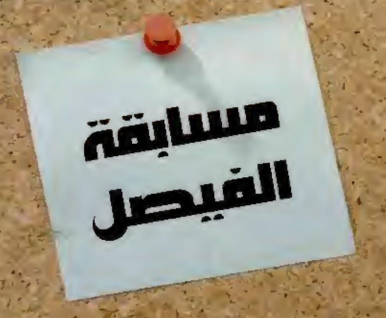


جرمانوس بملابس الإحرام

عريضة: إن من أطرف ما قرأت عن جرمانوس أنه عندما قام بزيارة أشهر شاعر رومانسي ، وهو إبراهيم ناجي سأل جرمانوس «إزيَّك» باللهجة المصرية فبدت على جرمانوس الدهشة؛ لأنه لم يفهم تلك الكلمة «إزيَّك؟»، وقال إنني أعرف الكثير من اللغة العربية، وعندما غادر المستشفى قال: لقد التقيت أعظم شاعر عربي، وقال كلمة جديدة، إنني أتقن اللغة العربية الفصحى، ولكن ماذا تعني تلك الكلمة «إزيَّك»؟



مجلة الحج والعمرة
لقطات إخبارية
وجوه وأمكنة
ندوة الحج
رحلة العمر
ذاكرة الحج
قضايا ودراسات
آداب الشعوب الإسلامية
عرض كتاب
مجلة الدين والدنيا معا
مجلة الحج والعمرة
جدة: هاتف ٦٥١٤١٤٨-٠٢ - تحويلة (٢٣٤) فاكس ٦٥٢٨٢٧٥-٠٢
E. Mail: info@hajmagazine.com



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٣٨) شعبان ١٤٢٥هـ/ سبتمبر / أكتوبر ٢٠٠٤م.

الفائز الأول: إبراهيم الجيوشي أحمد ـ القاهرة ـ مصر.
الفائز الثاني: خالد محمد قاسم حزام ـ الحديدة ـ اليمن.
الفائز الثالث: مرام سعود عبدالعزيز ـ الرياض ـ السعودية.
الفائز الرابع: خليل رحمو العجيلي ـ حلب ـ سورية.
الفائز الخامس: سعود عبدالعزيز حسن ـ الدوحة ـ قطر.
الفائز السادس: زين العابدين اكريم ـ الرباط ـ المغرب.
الفائز السابع: رضى مهدي الإسكافي ـ المنامة ـ البحرين.
الفائز الثامن: رشيد الصكلي ـ خنيش ـ تونس.

حل مسابقة العدد (٣٣٨)

١- يخفي لواعجَه والشوقُ يفضَحُه
فقد تساوى لديه السر والعلن
قائل البيت هو: ابن زيدون.

٢- الإيديوغرافيا: الكتابة بالرموز الإيديوغرافية أو اللوغوغرافية.

٣- السهروردي: متصوف وفيلسوف مسلم، حاول التوفيق بين الفلسفة اليونانية والتصوف.

٤- العين: اسم معجم لغوي ألّفه الخليل بن أحمد الفراهيدي يبدأ بحرف العين.

٥- الكويستا: كلمة إسبانية تعني جبلاً مختلف الانحدار.

أسئلة مسابقة العدد (٣٤١)

ضع علامة ✓ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: إذا مالت الدُّنيا إلى المرءِ رَغَّبَتْ إليه ومال الناسُ حيث يميلُ

☐ أبو العتاهية
☐ حسان بن ثابت.

(٢) التقالوق:

☐ رقصة إسبانية مرحة
☐ اللغة الفلبينية.

(٣) هَلْيُوس:

☐ إله الليل في الميثولوجيا الإغريقية
☐ إله الشمس في الميثولوجيا الإغريقية.

(٤) لولب أرخميدس:

☐ أداة لولبية تستخدم لرفع المياه (لأغراض الري)
☐ سفينة على هيئة أنبوب استخدمها اليونانيون في الحروب.

(٥) عبدالمجيد الثاني:

☐ آخر الخلفاء العثمانيين
☐ سلطان عثماني وضع أول قانون عثماني مدني، خلع عن العرش ثم قتل.

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة. ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) - الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي



- ثقافة التغيير في مؤسسة الفكر العربي
- جائزة ابن رشد لصنع الله إبراهيم
- عودة لاسكالا إلى الحياة
- مكتبة الإسكندرية تفوز بجائزة الآغا خان
- ذخيرة الدنيا في إسبانيا

•• خاتمة المطاف: مقتطفات من الفكر التربوي عند إخوان الصفا



أخبار

ثقافة التغيير في مؤسسة الفكر العربي

عبر رئيس مؤسسة الفكر العربي صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل عن شكره وامتنانه للملك محمد الخامس ملك المغرب على دعوته ورعايته للمؤتمر الثالث لمؤسسة الفكر العربي الذي انعقد في مدينة مراكش المغربية على مدى أربعة أيام تحت شعار «العرب بين ثقافة التغيير وتغيير الثقافة»، كما شكر الأمير رشيد بن الحسن شقيق العاهل المغربي على رئاسته الافتتاح والمؤتمر، ثم شكر الحضور البارز والقوي لأصحاب الفكر في العالم العربي.

وقال سموه: «إنه بهذه الطريقة، وبهذا الأسلوب يستطيع المثقفون العرب أن يحققوا بعض الأهداف التي أنشئت من أجلها مؤسسة الفكر العربي»، مشيرًا إلى إعجابه بالطريقة والأسلوب اللذين أبدى من خلالهما كل الأعضاء المشاركين آراءهم ونظرتهم إلى مستقبل الأمة العربية.

وكانت الجلسة الأولى بعنوان «لماذا التغيير؟» أدارها الأستاذ مهدي إبراهيم، وشارك فيها كل من شاكر النابلسي، وهاني حفص، والمتداخلان الرئيسان هما: فرانسوا بورجا، ومحمد الشرفي.

وكانت الجلسة الثانية بعنوان «نماذج التغيير عند العرب وغيرهم» شارك فيها الدكتور خلدون النقيب، والدكتور علي أومليل، وكل من: شيرارد كوبركول، والدكتور مسعود ظاهر، والدكتورة نادية مصطفى.

وجاء الجلسة الثالثة بعنوان: «منهج التغيير الثقافي وآلياته» شارك فيها الدكتور الطاهر لبيب، والدكتورة مريم لوتاه، والدكتورة ثريا التركي، والسفير روبرت بيلليترو.

وحملت الجلسة الرابعة تساؤلاً: «أي مستقبل عربي في ظل ثقافة التغيير؟»، وشارك فيها كل من الدكتور حسن نافعة، والدكتورة ريما خلف، والمحامي عبدالعزيز القاسم، والدكتور على فخرو، والدكتور غسان سلامة، والمستشار محمد القباج .

وتضمنت جلسات المؤتمر حوارًا مفتوحًا عن «الإصلاح السياسي والتنمية الإنسانية في الوطن العربي» وشارك فيها كل من : الدكتورة ريما خلف، والدكتور أحمد كمال أبو المجد، والدكتور كلوفيس مقصود.

ومن موضوعات الحوار المفتوح «تأثير الفضائيات في الثقافة العربية» شارك فيه محمد نبيل عبدالله وزير الاتصال المغربي، وكل من : جورج سمعان رئيس تحرير صحيفة الحياة، وعبدالرحمن الراشد مدير قناة العربية، وعبدالوهاب الزغيلات رئيس تحرير صحيفة الرأي الأردنية، والكاتب فهمي هويدي. كما تضمن الحوار محاضرة ألقاها عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية، وقد شارك د. عبدالعزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والتعليم والعلوم والثقافة «إيسيسكو» بورقة عمل بعنوان «رؤية الإيسيسكو للعمل الثقافي ودورها في مجالاته»، كما تضمن الحوار المفتوح كيفية تعامل الإعلام العربي مع ثقافتنا العربية، ورؤية حول منظمات حقوق الإنسان في الوطن العربي، ودور المنظمات الدولية في الاهتمام بالثقافة العربية.

الأمير خالد الفيصل



حماية المقدسات الإسلامية والمسيحية

دعا المؤتمر الدولي الثاني حول حماية المقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين، الذي نظمته اليونسكو، واختتم أعماله أخيرًا في عمّان، المجتمع الدولي والمتعاطفين مع الحقوق الفلسطينية المشروعة إلى فضح الأساليب التعسفية لقوات الاحتلال الإسرائيلية من تدمير للمقدسات واعتداء على السكان والأرض والعمران، وممارسة القتل والاغتيال والطرد، والتهجير والسجن والهدم وقلع الأشجار، وتجريف الأراضي الزراعية وبناء الجدار العنصري العازل.

وأوصى المؤتمر بإنتاج أفلام، وكتب باللغات الأجنبية تظهر الحق العربي والتاريخي للقدس الشريف من خلال نتائج الحفريات الأثرية بعد أن زور اليهود التاريخ المقروء حول فلسطين والقدس.

وأكد البيان الختامي ضرورة فضح ممارسات السلطات الإسرائيلية التي تعمل ضد حرية العبادة، وتحاصر المسجد الأقصى، وكنيسة المهد في بيت لحم، والمسجد الإبراهيمي في الخليل، وكنيسة القيامة في القدس، وتمنع المصلين من الوصول إلى هذه الأماكن، وفي الوقت نفسه تسمح للمتطرفين الصهاينة بالاعتداء على حرمة المسجد الأقصى.

وأوصى البيان بإعداد إستراتيجية محكمة لمواجهة برنامج الهجرة اليهودية إلى فلسطين الذي يمثل جوهر المشروع الصهيوني وغايته لفرض تغييرات سكانية وجغرافية على الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وشدد المؤتمر على ضرورة إعداد أطلس جغرافي وسياسي واقتصادي واجتماعي للقدس الشريف، يوثق الجرائم الإسرائيلية والاعتداءات على المقدسات في فلسطين باللغات الأجنبية، ونشره في دول العالم.

كما أوصى المؤتمر بإنتاج فيلم وثائقي باللغات الحية عن المجازر الإسرائيلية والاعتداءات التي طالت المقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين.

ودعا المؤتمر إلى وضع مناهج خاصة بالقدس لطلبه التعليم الثانوي والعالي لإدارجها ضمن المناهج التعليمية في العالم الإسلامي، وإلى فتح صفحة على شبكة الإنترنت بالمقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين، وإبراز المخاطر التي تهددها.

وأشاد المؤتمر بمبادرة الإيسيسكو والمنظمة العربية للمحامين الشباب، والجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني بإنشاء المرصد الدولي لتوثيق جرائم الحرب الإسرائيلية في فلسطين.

كما أوصى المؤتمر بتشكيل فريق قانوني متخصص للدفاع عن الأراضي العربية المحتلة، وبإعداد الدراسات القانونية، وإجراء المشاورات والاتصالات مع المنظمات الدولية من أجل ابرام اتفاقية دولية لحماية الأماكن المقدسة.

مونتريال عاصمة عالمية للكتاب

اختارت المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) مدينة مونتريال الكندية عاصمة عالمية للكتاب لعام ٢٠٠٤م. وتبدأ هذه التظاهرة كل عام في ٢٣ أبريل/ نيسان وتنتهي في ٢٢ أبريل/ نيسان من العام الذي يليه.

وتاتي مونتريال الخامسة بعد مدريد، والإسكندرية، ونيودلهي، وأنقير البلجيكية.

وتتألف لجنة التحكيم من اليونسكو المخولة تسمية هذه المدينة عاصمة عالمية للكتاب أو غيرها وخبراء دوليين ومختصين في مجال التأليف والنشر وصناعة الكتاب، وتضم اللجنة آلان فرانسواز دي برويار رئيسة اللجنة، وممثلة الاتحاد العالمي للمكتبات، وروش سيمون ممثل الاتحاد العالمي لدور الكتب، وجورج بوسان مندوب اليونسكو.

وتعتمد اللجنة المعايير الدولية التي تتمحور حول المقاييس الفنية والمهنية والجمالية حول صناعة الكتاب جودة وشكلاً ومضمونًا وآلية وتسويقًا.

ولمونتريال تاريخ في صناعة الكتاب منذ عام ٧٧م، فالمسؤولون في المدينة حريصون عن إقامة المعارض السنوية التي يزورها نحو ١٦٠ ألف زائر، ولم تنقطع المدينة منذ ٩٥م على الاحتفال باليوم العالمي للكتاب، إذ تقيم الهيئات المعنية بالثقافة والتربية والعلوم حملات إعلانية، وتوزيع الملصقات والمنشورات، كما تعقد المنتديات، وتقام المعارض في المدارس والجامعات. وتشير إحصائيات أن ٥٠ إلى٧٠ في المائة من الكنديين يواظبون على قراءة الكتب، وأن الشخص يقرأ بمعدل ١٣ كتابًا في السنة، وتنفق الحكومة على إنشاء المكتبات وتجهيزها نحو ٢٥ مليون دولار سنويًا، ونسبة الكتب المستعارة من المكتبات والمدارس والجامعات بنحو ٧٣ في المائة.

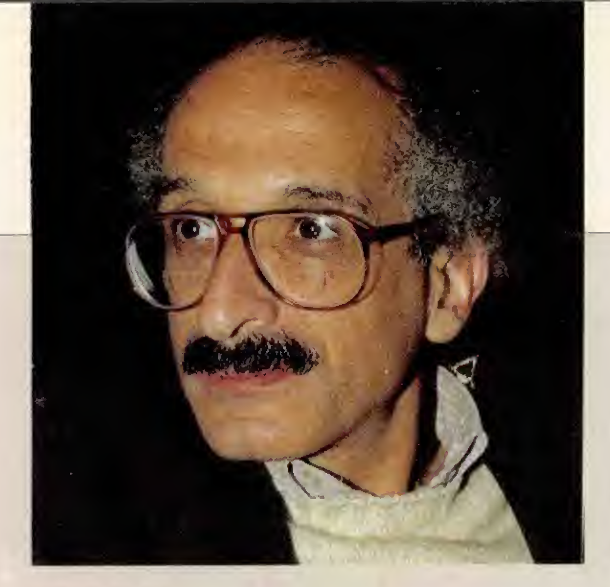


صحفي يواجه تهمة التحقير المدني

يواجه الصحفي الأمريكي جيم تاريكاني مراسل تلفزيون N B C إدانة بتهمة التحقير المدني لرفضه الكشف عن مصدره الذي سرب له شريط فيديو من مكتب التحقيقات الفيدرالي عن تحقيق في فساد حكومي.

وأدين في هذه العملية ٩ أشخاص من ذوي المناصب العليا، مثل المحافظ فنسنت سيانسي الابن الذي حكم عليه بالسجن لمدة ٦٤ شهرًا، وأدين مساعده الأول فرانك كورنيث الذي حكم بتهمة الفساد والاحتيال لأخذه رشوة بقيمة ألف دولار.

وسلم أحد الأشخاص نسخة من الشريط المصور للمراسل التلفزيوني تاريكاني فبثته محطة N B C، مما دفع قاضي المحكمة إلى التحقيق في تسريب هذه المعلومات.



صنع الله إبراهيم

جائزة ابن رشد لصنع الله إبراهيم

منحت جائزة ابن رشد للفكر الحرّ هذا العام للكاتب الروائي المصري صنع الله إبراهيم الذي سيتسلم الجائزة في برلين، وحسب بيان الجائزة، فإن جائزة ابن رشد منحت لصنع الله إبراهيم لكفاحه المتواصل من أجل الحرية والديمقراطية في البلاد العربية.

ويضيف البيان: «على الرغم من أن الأديب له شهرة واسعة في البلاد العربية، ويتردد اسمه بالمستوى نفسه مع نجيب محفوظ، وجمال غيطاني، إلا أنه لا يزال غير معروف كثيرًا في الغرب باستثناء فرنسا».

وأشار البيان إلى أن صنع الله إبراهيم من الكتّاب الذين يدور حولهم الجدل، فقد صودر كتابه الأول (تلك الرائحة) من عام ٦٦ ـ ١٩٨٦م، وأنه يكره استعمال لغة السلطة ويسعى لاستعمال لغة أصيلة بعيدة عن قواعد الأدب المعروفة وتقاليده.

وأضاف البيان أن الخروج عن القواعد كان وما يزال يشكل ثورة في المحيط الأدبي حيث يطالب الأدباء بالتمسك بالتقاليد الأدبية، ويقول صنع الله إبراهيم: «أن تتكلم فقط عن جمال الزهرة الأنيقة ذات الرائحة الخلابة بينما الفضلات تملأ الشوارع والمياه الآسنة تغطي الأرض وكل مار يشتم رائحتها»

وتتعرض كتابات صنع الله إبراهيم لوسائل الإعلام الحديث، وخطاب السلطة، وإنتاج المعرفة، مركزًا في وضع المثقفين في مواجهة السلطة، كما يتطرق إلى إمبريالية الاقتصاد والثقافة، مثل روائيه «اللجنة» التي يتناول فيها دور الشركات العالمية المتعددة الجنسية في الهيمنة العالمية، وأثرها في المجتمع العربي.

ويتهم الكاتب القيادات السياسية في البلدان العربية بالتساهل مع العدوان الأمريكي، وسياسة التوحش الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

صدرت أخيرًا رواية بعنوان (أمريكا نلي) تعني أمريكاني لكنها يمكن قراءتها (أمري كان لي) والأديب متفرغ منذ عام ١٩٧٥م، للكتابة والترجمات بتأليف كتب الأحداث وسيناريو السينما والتلفاز.

يذكر أن صنع الله إبراهيم فجّر ضجة كبيرة عندما رفض قبول جائزة الرواية العربية عام ٢٠٠٣م المقدمة من وزارة الثقافة المصرية، وقال في خطابه «إن هذه الجائزة مقدمة من حكومة لا تملك مصداقية منحها»

وقال تاريكاني: «أتمنى لو أستطيع الكشف عن جميع مصادري، لكن عندما يكون الناس خائفين ولا يستطيعون الكشف عن أسمائهم بسبب السرية التامة يمكن بهذه الطريقة الحصول على المعلومات لكشف الحقائق للناس»، ويضيف: «لا أستطيع سوى، الوفاء بوعدي لحماية الأشخاص الذين منحوني المعلومات، ولا أنوي خيانة ثقتهم».

وبعد التحقق من مجموعة من الأشخاص الذين أنكروا علمهم بالمصدر حكم القاضي على تاريكاني بتهمة التحقير المدني، وغرّم مبلغ ألف دولار عن كل يوم يستمر فيه لإخفاء مصدره، وبلغ التغريم نحو ٨٥ ألف دولار عوضته عنه شركته التي يعمل فيها.

وأكد القاضي تورس أنه سيبدل بقضية الاحتقار المدني قضية تحقير إجرامية.

مؤتمر عن بادية الإمارات

ينظم مركز الوثائق والبحوث في ديوان رئاسة دولة الإمارات في الفترة من ٢/٢٦ إلى ٢٠٠٥/٣/٢م، مؤتمرًا علميًا عالميًا متخصصًا بعنوان «بادية الإمارات بين فاعلية الوثيقة ومنطق الرواية» ويتوقع مشاركة أكثر من مئتي عالم وباحث.

ويهدف المؤتمر إلى دراسة بادية الإمارات لإبراز معالم البادية قديمًا وحديثًا بوصفها موئل التاريخ، ووطن الأجداد.

وأكدت الدكتورة فاطمة سهيل المهيري نائبة المدير العام لمركز الوثائق والبحوث أن عددًا من العلماء والباحثين سيشاركون في محاور المؤتمر، وأجرى المركز اتصالاته مع كثير من دور الأرشيف العالمية، والهيئات الأكاديمية والجامعية، للتمهيد لمشاركة أكبر عدد ممكن من المتخصصين في موضوع المؤتمر.

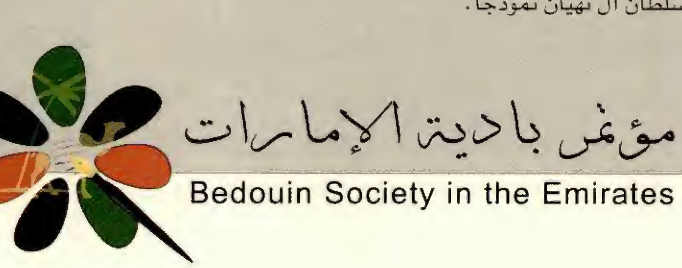
وبيّنت المهيري أن إقامة المؤتمر يخدم قضية الاندفاع الحضاري لدولة الإمارات، وتبيان الصورة الحقيقية لكنوز البادية مثل الإرادة والثبات والصبر، والتحدي، وعظمة الآباء والأبناء.

ويعدّ هذا المؤتمر أول حدث علمي يتناول الحياة في البادية، ومدى تأثيرها في نمط الحياة المعاصرة من خلال عدة محاور، هي: المناحي الثقافية لبادية الإمارات، ويتضمن الحديث عن البادية: مفهومها ومصطلحها، وأدبها وقصصها، ولهجاتها، وأدب البادية وتسجيل التاريخ، والبادية في أدب الرحلات الأجنبية، والتاريخي الشفهي في بادية الإمارات.

ويتضمن المحور الثاني السياسة في بادية الإمارات من خلال النظام الأساسي القبلي في البادية، والبعد الجيو - إستراتيجي للبادية (قبيلة بني ياس)، والبادية والحضر، ومبادئ العمل السياسي في البادية وصوره.

ويتناول المحور الثالث مجتمع البادية من خلال مفهوم التجمع البدوي، والتقاليد والعادات، والحياة الأسرية، والتراث الشعبي البدوي، والمرأة في المجتمع البدوي.

ويركز المحور الرابع في معالم الحياة الاقتصادية في بادية الإمارات، ومقومات هذا الاقتصاد، ومصادر الماء في البادية، ومعالم التجارة، ودور الإبل والخيل والحيوانات في حياة البدوي. ويأتي المحور الأخير عن رموز البادية - زايد بن سلطان آل نهيان نموذجًا.



الكويت تتسلم مسروقاتها الثقافية

تسلمت دولة الكويت من الحكومة العراقية جزءًا من ممتلكاتها التي سرقت في أثناء غزو النظام السابق لدولة الكويت عام ١٩٩٠م.

وأكد بولي فورنتسوف منسق الأمم المتحدة لشؤون الأسرى، والممتلكات الكويتية في العراق عملية التسليم، ووصفها بأنها الخطوة الأولى في إعادة الممتلكات الكويتية المسروقة، وأضاف نأمل في الخطوة الثانية العثور على الآثار الكويتية المسروقة.

وأوضح عباس الخفاجي ممثل الحكومة العراقية في وزارة الخارجية العراقية من جانبه أنه تم تسليم شحنتين من الكتب تتضمنان ٤٠٠ كتاب تابعة إلى مكتبة مجلس الأمة الكويتية، والمتحف الوطني.

في السياق ذاته أكد صلاح السيف ممثل وزارة الخارجية الكويتية أن المعلومات التي وردت تدل على أن المحتويات كانت مخبأة في منزل موظفتين من موظفات المتحف العراقي لخوفهما على سلامتها، موضحًا أنه سيتم الحفاظ على محتويات الشحنة

التي سلمت فترة ٤٥ يومًا لإجراء عملية البحث، وحين تنقضي المهلة المحددة يتم بعدها إبلاغ المنسق العام بالمحتويات.

مينارغ يفوز بجائزة الهمشري

نال الصحفي آلان مينارغ جائزة فلسطين - محمود الهمشري عن كتابه «جدار شارون»، حسبما أعلنت لجنة التحكيم.

وذكرت صحيفة الوطن أن كتاب مينارغ يتطرق إلى بناء الدولة الإسرائيلية للجدار الفاصل الذي يمتد ٧٠٠ كيلومتر لتفادي هجمات الفلسطينيين.

وأدلى مينارغ بتصريحات مثيرة للجدل حول منشأ المعازل أو «الجيتوهات»، كما وصف إسرائيل بأنها «دولة عنصرية».

وأثارت تصريحات مينارغ اعتراضات خصوصًا داخل هيئة التحرير في إذاعة فرنسا الدولية، مما أدى إلى استقالته من منصبه مديرًا عامًا مساعدًا مكلفًا بالإعلام في الإذاعة.

وتضم لجنة الجائزة زوجة محمود الهمشري، وبول بالتاو، وكنيزة مراد، ولوسيان بيترلان.

وتحمل هذه الجائزة التي أسست عام ١٩٧٩م، بمبادرة من جمعية التضامن الفرنسية العربية، ومجلة «فرنسا والدول العربية» الشهرية، اسم محمود الهمشري مندوب منظمة التحرير الفلسطينية الذي اغتاله جهاز الاستخبارات الإسرائيلية «الموساد» في باريس عام ١٩٧٢م، ومنحت الجائزة السابعة والثلاثون للصداقة العربية الفرنسية التي أطلقتها في عام ١٩٦٩م، جمعية التضامن الفرنسية العربية، ومجلة «فرنسا والدول العربية»، إلى إلياس صنبر عن كتابه «صور الفلسطينيين: هوية الأصول وهوية المستقبل».

أما جائزة لجنة التحكيم الخاصة فكانت من نصيب هنري لوران الأستاذ في جامعة فرنسا المتخصص في تاريخ العالم العربي لمجمل أعماله التي، من أبرزها كتابه «القضية الفلسطينية»، الصادر عن دار «فايار» للنشر.

تأسيس مجمع ثقافي عربي

أنهت الجامعة العربية إعداد مشروع إنشاء مجمع ثقافي يعمل مساعدًا استشاريًا ثقافيًا للأمين العام للجامعة، ويعمل أيضًا في المجالات الثقافية العربية.

وأكد عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية في مؤتمر تنمية المعرفة العربية الذي أقيم أخيرًا، أنه بعد نجاح تجربة المشاركة العربية في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب، ونجاح تجربة معهد الترجمة في الجزائر كان لا بد من إنشاء كيان ثقافي داخل الجامعة لدعم عملها في خدمة الثقافة العربية.

وناقش المؤتمر ٣٤ بحثًا في خمسة محاور، هي: دور الترجمة في تنمية المعرفة والتوحيد اللغوي، ودور المؤسسات الإعلامية في تنمية اللغة، وأزمة الخطاب اللغوي، و تقويم العرض المنهجي، وشارك في المؤتمر باحثون وأكاديميون من دول عربية.

وشهد الاحتفال بافتتاح المؤتمر تكريم عدد من العلماء والفنانين والأدباء الذين خدموا اللغة العربية، ومنهم: الدكتور الخضرأغاكا من نيجيريا، والدكتور كمال بشر، وعبدالوهاب يوسف، والدكتورة فردوس عبدالحميد، ومحمود ياسين من مصر، والدكتور رضوان الدبسي، والدكتور عبدالله أبو هيف، والدكتورة نادية حكور من سورية، والدكتور يوسف الصميلي. ويتوقع أن يعلن عن تأسيس هذا المجمع في احتفالات الجامعة بعيدها الستين المصاحب للقمة العربية في الجزائر في مارس/آذار المقبل.



عمرو موسى

التنديد بسلب التراث العراقي وتدميره

ندد مؤتمر وزراء الشؤون الثقافية في الوطن العربي ومسؤولي الثقافة الذي نظمته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتنسيق مع وزارة الثقافة والسياحة اليمنية في صنعاء أخيرًا، بما يتعرض له التراث الثقافي في العراق من سلب ونهب وتدمير، مناشدًا دول العالم والمنظمات الإقليمية والدولية والمعنية بالتراث لتقديم يد العون لاسترداد الآثار المنهوبة، وصيانة ما تم تدميره من معالم وآثار وممتلكات هي جزء من التراث الإنساني.

وأكد البيان الختامي أن الثقافة العربية عنصر أساسي من عناصر الوحدة العربية، وهي التعبير الحي عن مشاعر الأمة وهمومها وتطلعاتها، وأن العمل الثقافي المشترك هو الإطار الأمثل لجمع شمل الأمة، واستنهاض طاقاتها الإبداعية لاستكمال مسيرتها الحضارية.

ودعا البيان إلى الحفاظ على اللغة العربية والعناية بها بوصفها الحاضنة للفكر الثقافي والإبداع، مشيرًا إلى أهمية العناية بالتراث العربي، والعمل على صونه خاصة في ظل ما تتعرض له فلسطين والجولان والعراق من محاولات طمس ونهب وسلب، وهذا ما يتطلب موقفًا عربيًا حازمًا في المحافل الدولية خاصة اليونسكو لتأكيد عروبة فلسطين والقدس والجولان وجنوب لبنان وصون هويتها الثقافية العربية، ودعم المؤسسات الثقافية الفلسطينية حتى تستطيع النهوض بدورها في الحفاظ على الهوية العربية.

وأشار المجتمعون إلى أن التحديات التي تواجه الثقافة العربية تستلزم الانخراط في مجتمع المعلومات، والعمل على امتلاك ناصية التقنيات الحديثة، واستخدامها في التعريف بالثقافة العربية والإسلامية، وتطوير أدوات الخطاب الثقافي العربي؛ بما يصحح الصورة المغلوطة والمشوهة للثقافة العربية، ويعزز فرص حضورها على ساحة المشهد الثقافي العالمي.

وأقر المؤتمر توصيات اللجنة الدائمة للثقافة العربية المرفوعة إلى المؤتمر، والخاصة بالخطة القومية لتحقيق التكامل بين السياسات الثقافية والإعلامية في الوطن العربي، ويتضمن مشروع الخطة القومية للسياحة والثقافية والاتفاقيات الثقافية وحماية الملكية الفكرية، ومشروع الاتفاقية العربية لحقوق المؤلف، والحقوق المجاورة، ومشروع اتفاقية السوق الثقافية العربية المشتركة.

وتضمنت التوصيات التقارير الموصى بها عن أوضاع الأراضي الفلسطينية المحتلة، وبرامج المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والتدابير الخاصة بحماية الهوية الفلسطينية، والمقدسات الإسلامية من خلال اتخاذ مواقف عربية موحدة في المحافل الدولية، كما تطرق إلى التحدي الإسرائيلي في مجال صناعة الثقافة عمومًا، وصناعة البرمجيات خاصة، والتمية الثقافية العربية، ومشروع القناة الثقافية العربية المشتركة.



دعوة للتأليف في المجالات العلمية

دعت مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية المؤلفين والكتاب إلى التأليف والترجمة العلمية إلى اللغة العربية في بعض المجالات العلمية.

وأكد الدكتور عبدالله الرشيد نائب رئيس المدينة أن لجنة النشر العلمي في المدينة اشترطت لقبول المادة المقدمة لها من تأليف أو نشر، أن تتسم بالأصالة والجدة، ولم يسبق نشرها من قبل، وأن تكون معدة بلغة عربية سليمة، وبأسلوب واضح، مع ذكر المصادر التي اعتمدها المؤلف، والتزام قواعد النشر في المدينة. ويكون أقصى موعد لقبول البحوث نهاية ذي القعدة سنة ١٤٢٥هـ (ديسمبر) عام ٢٠٠٤م.

وأوضح الرشيد أن المدينة حددت خمسة مجالات علمية للتأليف أو الترجمة، تشمل المجالات الآتية: الصحة، والتغذية، والتقنية، والفلك، والفيزياء، والهندسة.

ويتضمن مجال الصحة موضوعات الأمراض الوراثية، وأسبابها، وعلاقة زواج الأقارب بالأمراض الوراثية، والطب البديل ومميزاته وعيوبه.

وحددت المدينة مجالات التغذية في موضوعات المواد المضافة إلى الأغذية والرموز المستخدمة دوليًا للدلالة على المواد المضافة، وكذلك موضوع حفظ الأغذية بالتشعيع، وتقنياته.

وتشمل مجالات التقنية موضوعات التقنيات الحديثة، وأنواعها، والثورات الصناعية الناتجة من التقنيات الجديدة، وتأثيرها في الإنسان والبيئة، ومن العناصر المقدمة للتأليف موضوع النظرية النسبية، ومصطلح النسبية، ونسبية جاليليو، ونيوتين، والنسبية الخاصة، وتعدد الزمن والحقائق التجريبية المرتبطة.

ويتضمن مجال الهندسة موضوعات: إنشاء بيت المستقبل، وتكييف الهواء ووسائل التكييف القديمة، والحالية، وأخطاء التنفيذ.

جائزة الآغا خان لمكتبة الإسكندرية

فازت مكتبة الإسكندرية أخيرًا بجائزة الآغا خان للعمارة التي تمنح كل ثلاث سنوات لأفضل المشروعات ذات الطابع الإسلامي، وتعد من أبرز الجوائز المعمارية في العالم، وتبلغ قيمتها نصف مليون دولار.

وأكد بيان صادر عن المكتبة أن مديرها إسماعيل سراج تسلم الجائزة في الهند التي تعقد فيها الدورة التاسعة للآغا خان، وفازت المكتبة با لجائزة ضمن سبعة مشروعات معمارية أولية بارزة منها: مشروع مأوى الأكياس الرملية في إيران، ومسجد العباس في اليمن، وبرنامج إعمار في مدينة القدس في فلسطين، ومشروع برجي بتروناس في ماليزيا.

وأوضح البيان أن المكتبة فازت با لجائزة على التصميم والتشغيل، مشيرًا إلى الإجراءات التي قامت بها المكتبة إذ حولت سرداب السيارات الخاص في بالمكتبة إلى قاعة للاكتشافات ومعرض دائم، وإضافة إلى إنشاء متحف تاريخ العلوم أسفل القبة، وإنشاء مكتبتين متخصصتين للأطفال والفتيان.

يشار إلى أن إدارة المكتبة ستنظم في بداية العام المقبل احتفالاً لتكريم الذين ساهموا في تنفيذ مشروع المكتبة، وتصدر كتابًا لمديرها بعنوان «التجديد والتأهيل في عمارة المجتمعات الإسلامية» بمناسبة ٢٥ سنة على جوائز الآغا خان للعمارة.



ذخيرة الدنيا في إسبانيا



تنظم دار الآثار الإسلامية في الكويت معرض «ذخيرة الدنيا، فنون المصوغات الهندية في العصر المغولي الإسلامي»، وذلك في قاعة كبيرة في القصر الملكي الإسباني، ويستمر المعرض ثلاثة أشهر قبل انتقاله إلى برلين.

وتحدثت الشيخة حصة صباح السالم الصباح المشرفة العامة على دار الآثار الإسلامية عن علاقة المعرض بالتاريخ الإسباني، مؤكدة أن أصول الأحجار المعروضة تعود إلى اكتشافات إسبانيا ووصولها إلى أمريكا اللاتينية، وإلى موطن حضارة الأنكا في كولومبيا.

وأشارت الشيخة حصة أن في تلك الفترة بدأت التبادلات التجارية بين إسبانيا والهند، إذ وصلت الأحجار الكريمة الكولومبية من إسبانيا إلى الهند. وفي المقابل وصل الألماس الهندي على يد التجار الإسبان والفرنسيين إلى إسبانيا.

يذكر أن المعرض العالمي المتنقل «ذخيرة الدنيا» قد بدأ جولاته في المتحف البريطاني عام ٢٠٠١م، ثم انتقل إلى أمريكا عام ٢٠٠٣م.

جمعية للصحفيين العمانيين

صدر أخيراً قرار رسمي عماني بالموافقة على إنشاء جمعية مختصة بالصحافة والإعلام، وجاء القرار بعد انتظار ثلاث سنوات، منذ تقديم طلب الإنشاء. وسبق هذه الجمعية جمعيات أخرى للكتاب والحقوقيين، وصدر هذا القرار من الوزيرة الجديدة للتنمية الاجتماعية شريفة اليحيائية.

ونص القرار على قيد الجمعية في سجل الجمعيات الأهلية في وزارة التنمية التي تهدف إلى نشر الوعي في مجال الصحافة والإعلام، بما لا يتعارض مع أحكام قانون الجمعيات، والنهوض بالصحافة العمانية؛ لتكون معبرة عن عمان في المحافل العربية والإقليمية والدولية، والارتقاء بالمستوى الثقافي والمهني للصحفيين من خلال عقد الدورات في العمل الصحفي، واللقاءات الإعلامية، وتأهيل الكوادر الصحافية.

عرض تماثيل في متحف كابول

عرضت في متحف كابل مؤخراًمجموعة من التماثيل الخشبية من عصر ما قبل الإسلام كانت حركة طالبان قد كسرتها عام ٢٠٠١م، وذلك بعد ترميمها بتمويل من الحكومة النمساوية. وتضم المجموعة أكثر من عشرة تماثيل كان الجيش الأفغاني قد عاد بها كغنائم خلال مسعاه لنشر الإسلام في تسعينيات القرن التاسع عشر، كما تضم مصنوعات يدوية جمعها أستاذ متقاعد بجامعة فيينا أشرف على عمليات الترميم، وأعيدت إلى أفغانستان عام ١٩٧٨م، هدية من الحكومة الألمانية التي اشترت تلك المجموعة. وتعود هذه التماثيل إلى كفرستان أي «أرض الكفار»، وهي منطقة شبه أسطورية بها جبل كوش الهندوسي الذي يمتد على حدود شرق أفغانستان، وشمال غرب باكستان، وقد تحول اسم المنطقة إلى إقليم نورستان بعد اعتناق أهلها الإسلام. وكانت حركة طالبان قد دمرت تماثيل، وفجّرت تمثالين عملاقين لبوذا كانا يطلان على بلدة باميان منذ نحو ١٦٠٠ عام.

عودة الحياة إلى لاسكالا

عادت الحياة إلى دار الأوبرا لاسكالا الشهيرة بمدينة ميلانو الإيطالية بعد أعمال ترميم استمرت ثلاث سنوات، وتم على مسرحها عرض أول أوبرا بعد هذا التوقف.

وكان قرار الترميم قد أحدث ضجة لدى سكان ميلانو الذين لم يقبلوا فكرة تحول دار الأوبرا التي يحبونها إلى حفرة أشغال بلغت تكلفتها ما يربو على ٨٠ مليون دولار.

وأسرت الدار الجديدة سريعًا قلوب أهل ميلانو، إذ سمحت الترميمات بأن تصبح لاسكالا على قدم المساواة مع أكبر دور الأوبرا في العالم، مثل «بالمتروبوليتان» في نيويورك، و«بكفنت غاردن» في لندن.

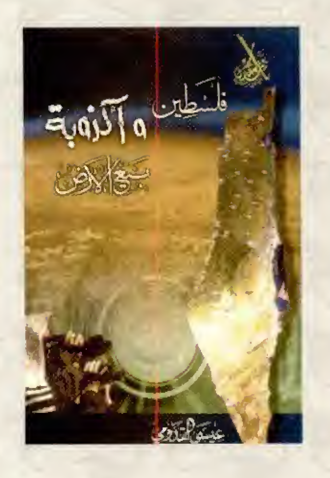
وتتيح التعديلات التي أدخلت تغيير المناظر بين مشهد وآخر، بشكل أسرع وأكثر إثارة، وتم تزويدها بتجهيزات جديدة تسمح بأداء ثلاث مسرحيات غنائية في الوقت ذاته، لكن أهم تحديث هو الصوت، فالمقاعد القديمة كانت مبنية حول مخلفات قنبلة من أيام الحرب العالمية الثانية تمت تغطيتها بالأسمنت الذي فرش فوقه السجاد الأحمر، وهو ما كان يمتص كل الصوت بدل ترجيعه، أما نظام الصوت الجديد المشكل من ١٢ طبقة من المادة المرجعة للصدى، ومن أرضية من خشب البلوط الرنان، فيسمح للصوت أن يتردد في كل البناية.





اصـدارات





القدومي، عيسى/ فلسطين وأكذوبة بيع الأرض.- قبرص: مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

تعدّ أكذوبة بيع الفلسطينيين أراضيهم لليهود من أشهر وأنجح الأكاذيب التي راجت بدعاية إعلامية يهودية موجهة، فقالوا إنهم لم يأخذوا أرض فلسطين إلا بيعًا من الفلسطينيين، وشراء من اليهود.

ويقول أرنولد توينبي بهذا الشأن: «سلب أراضي فلسطين جرى في أكبر عملية نهب جماعية عرفها التاريخ، ومن أشد المعالم غرابة في النزاع حول فلسطين هو أن تنشأ الضرورة للتدليل على حجة العرب ودعواهم».

من جهته يقول هنري فور ـ المليونير العالمي: «لو عرف العالم حقيقة الأساليب التي اتبعت لاغتصاب أراضي فلسطين من أهلها العرب في الأيام الأولى من الغزو الصهيوني، أو لو سمح لهذا العالم بمعرفتها، لعمه السخط والاشمئزاز، ولاريب في أن هذه الأساليب كانت تجري بمعرفة صاموئيل المندوب السامي اليهودي وتأييده»

يدحض هذا الكتاب الادعاءات اليهودية حول بيع الفلسطينيين أراضيهم، ويلقي الضوء تاريخيًا على أراضي فلسطين في ظل الحكم العثماني والاحتلال البريطاني، ويبين كيف نفذ المشروع الاستعماري على أرض فلسطين، كما يبين الأكاذيب اليهودية لتسويغ احتلال الأرض، وكذلك أساليب التزوير لسلب الأراضي، وأرض فلسطين بعد احتلال ٦٧، ونظر الحاخامات اليهودية إلى أراضي فلسطين.

ويشير المؤلف إلى القوانين اليهودية التي استهدفت الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية، إضافة إلى الجدار الفاصل، وفتاوى العلماء بتحريم بيع الأراضي لليهود، وشهادات وأقوال تاريخية لبعض الشخصيات الغربية.



كامبيل، كولن، و(آخرون)/ نهاية عصر البترول: التدابير الضرورية لمواجهة المستقبل، ترجمة: عدنان عباس علي.- الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠٤م، ٣٠١ص، (سلسلة عالم المعرفة؛ ٣٠٧).

يبيّن هذا الكتاب أن البترول لم ينشأ إلا بفعل تحقق ظروف جيولوجية ذات خصوصية وتميز، ومن ثم فإنه لا يمكن العثور عليه في كل أرجاء المعمورة، ولا يوزع بالتساوي على كل بقاع العالم، وكما هو معروف يمتلك الشرق الأوسط نحو نصف كمية البترول التي لا تزال متاحة للعالم، وكانت حقبة اكتشاف النفط في العقود الأولى من القرن العشرين وبالاً على الدول العربية، فلم تؤجج الصراعات بوعي وعن قصد فحسب، بل جردت الشعوب من حقّها في تقرير مصيرها؛ وذلك من

خلال طرائق التدليس، وسبل الخداع، ووسائل الهيمنة التي انتجتها الشركات العملاقة، ودولها الأم.

ويؤكد المؤلف أن الخبراء اكتشفوا معظم البترول الكامن في جوف الأرض، وأن النفط الذي تستهلكه البشرية بدءًا من الآن، أو بدءًا من سنوات لا تتعدى أصابع اليد الواحدة لن يكون في الإمكان التعويض عنه حتى خلال اكتشاف حقول نفطية جديدة. أي أن البشرية أشرفت على الاستهلاك من رأسمالها، بخلفيات الأزمة السائدة حاليًا من سوق النفط، وبشدة الأزمات التي ستخيم على هذه السوق مستقبلاً.

الدغشي، أحمد محمد/ صورة الآخر في فلسفة التربية الإسلامية ـ الرياض: مجلة المعرفة، روناء للإعلام المتخصص، ١٤٢٥هـ، ١٥٠ص.



تفرض الأحداث العالمية في الآونة الأخيرة، خصوصًا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، إعادة السؤال التقليدي القديم: كيف ينظر الإسلام إلى مخالفيه؟ وإلى أحداث العنف التي تحدث . هنا وهناك، وبأيد إسلامية وصلة الفلسفة التربوية التي نشأ عليها الفاعلون.

تحاول الدراسة الإجابة عن الأسس والمنطلقات التي تنبثق عنها صورة الآخر في إطار فلسفة التربية الإسلامية؟ وما طبيعة النظرة إلى الآخر في ظل الفلسفة التربوية الإسلامية، وهل شرع الجهاد القتالي في الإسلام ليوجه ضد دين الآخر أو معتقده أو عرقه أو لونه؟ أم لعدوانه وتهديده بيضة الإسلام ودرء الفتنة وفق فلسفة التربية الإسلامية؟وما مدلول تشريع الجزية على الآخر في فلسفة التربية الإسلامية؟

وتأتي أهمية الدراسة وانعكاسها على الواقع التربوي من حيث تضمن الأفكار والمفاهيم والأحكام التي ستخرج بها تجاه الآخر في محتوى المقررات الدراسية، المتصل بمادة التربية الإسلامية، وما في حكمها أو قريب منها عبر مختلف المراحل الدراسية.

وخلص المؤلف إلى وضع الخطوط العريضة للفلسفة التربوية، على مبادئ عامة منها: التعارف والتعاون على البر والقسط، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وعلى مبادئ الكرامة الإنسانية، والحرية في الاختيار، ورفض منطق الصراع الحضاري، والأصل في علاقة المسلم بالآخر هو السلم لا الحرب، وهدف الجهاد القتالي هو حماية الدعوة، ودرء الفتنة والحرابة، وليس القضاء على الكفر،

وشرعت الجزية مقابل الحماية لأهل الذمة ومن في حكمهم، حتى إذا انتفت الحماية أو صارت عبئًا مشتركًا، انتفت الجزية.



الحمود، عبدالله بن ناصر/ من أين أتينا؟ محاولة لفهم الواقع الذي استعصى ـ الرياض: أسبار للدراسات والبحوث والإعلام، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ٢٤٨ص.

يجيب هذا الكتاب عن كيف تشكلت ثغرات الاختراق للكيان الثقافي الاجتماعي السعودي.

ويقول المؤلف: «ينبغي النظر إلى الإشكالية بتجرد وموضوعية قدر الإمكان، إذ ليس من مسوغات تحقيق المصلحة أن ننأى بالتفكير والنظر والطرح بعيدًا عما حولنا فحسب، بل لا بد من فحص مكامن الإشكالات الذاتية لدينا والمواطن التي يمكن أن تستغل إستراتيجيًا أيما استغلال»

ويعرض المؤلف ما يعتقد أنه ذو علاقة بالشأن العالمي من ثقافة الاختراق، مستندا إلى أهم المواطن التي ارتكزت عليها، أو ولجت من خلالها هذه الثقافة لدى القوى الدولية، المدعومة بنهم السيطرة على المقدرات الاقتصادية للمنطقة المشحونة بنزعة العدوان التوسعية لدى الكيان الصهيوني.

ويتطرق الكتاب إلى قضايا عن الثقافة، وبعض الهواجس الوطنية، وبحلول فهم إشكالية الاتصال مع الآخر، وقضايا التعليم، والإدارة من خلال المركزية، والبيروقراطية وإشكاليات مؤسسات المجتمع المدني، ويتناول دور الإعلام العربي وغياب الرؤية، والإرهاب الفكري، وإدارة الأزمات في الإعلام السعودي.



الفريحي، فاطمة بنت محمد بن سليمان/ تجارة السلاح في الخليج العربي (١٢٩٧ ـ ١٣٣٣هـ/ ١٨٧٩ـ ١٩١٤م)ـ الرياض دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ، ٢٣٥ص، (سلسلة الرسائل الجامعية؛١١).

تلقي هذه الدراسة الضوء على قضية مهمة في تاريخ الخليج العربي السياسي، لم تحظ بالدراسة من قبل، ألا وهي قضية تجارة السلاح، إذ لا توجد دراسة مستقلة عن هذه الفترة التاريخية.

وقسمت الدراسة إلى أربعة فصول رئيسة، وخاتمة: تناول الفصل الأول العوامل التي أدت إلى ازدهار تجارة السلاح في الخليج، وخصص الفصل الثاني للحديث عن تطور تجارة السلاح من خلال أهم مراكز تجارة السلاح، وحجم التبادل التجاري للأسلحة، وطرائق هذه التجارة وأنواع الأسلحة، وتطرق الفصل الثالث



إلى بريطانيا والإستراتيجية الأمنية لمنع تجارة السلاح، وتحدث الفصل الرابع عن النزاع البريطاني الفرنسي حول تجارة الأسلحة في الخليج، وختم الكتاب بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها.

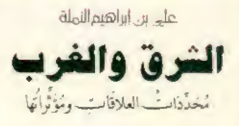
واعتمدت المؤلفة على عدد من الوثائق غير المنشورة، مثل الوثائق البريطانية في سجلات مكتب الهند في لندن، ووثائق بريطانية عبارة عن تقارير المقيمية البريطانية في الخليج، ووثائق الخارجية البريطانية، وكذلك أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية.

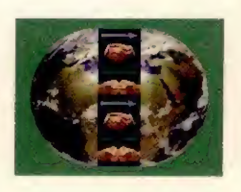
كما استفادت من الوثائق المنشورة، مثل الوثائق العربية العمانية في مراكز الأرشيف الفرنسية، ودليل الخليج لمؤلفه ج ح لوريمر، إضافة إلى الدراسات العلمية الجادة لتاريخ الخليج العربي الحديث.

أفوقاي، أحمد بن قاسم الحجري/ رحلة أفوقاي الأندلسي: مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب (١٦١١- ١٦١٣م)، تحقيق وتقديم: محمد رزوق.- أبو ظبي: دار السويدي للنشر، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م ، ١٨٨ص.

يعد هذا الكتاب من أندر النصوص في اللغة العربية، ووثيقة تاريخية مهمة ومصدرًا تاريخيًا أندلسيًا مهمًا كتب بعد صدور قرار النفي بحق الأندلسيين الموريسكيين، فمؤلفه يتحدث وهو بمنأى عن محاكم التفتيش، ويجادل المسيحيين واليهود، ويستعرض من خلال ذلك ما فعله الأسبان بشعبه، وظروف انتقال الموريسكيين إلى شمال إفريقية وصل أفوقاي إلى المغرب أواخر عهد المنصور الذهبي، واشتغل لديه بالترجمة، كما ترجم لدى السلطان زيدان وابنيه عبدالملك والوليد.

تقدم الرحلة صورة حية عن تطور اللغة العربية لدى الموريسكين بعد تجربتها المريرة مع الأسبان، فالرحالة تعلم العربية سرًا، وهذه اليوميات تتضمن رحلته المؤلمة منذ خروجه من الأندلس حتى وصوله إلى لاهاي في هولندا مرورًا بمراكش وباريس وبوردو، وغيرها من الحواضر العربية والأوروبية.





النملة، علي بن إبراهيم / الشرق والغرب: محددات العلاقات ومؤثراتها.- الرياض: المؤلف، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ٢٤٨ص.

يتكون هذا الكتاب من قسمين: الأول عن المقدمات التي سميت المنطلقات لإعداد هذا البحث، أما القسم الآخر فيعنى بالمحددات، مثل الجهوية، ومحاولة تحديد

مصطلحي الشرق والغرب، ومن المحددات: الإرهاب الحقوق، العرقية، الحروب، اليهودية، الاستعمار، التنصير، الاستشراق، الاستغراب، الاغتراب، البعثات، التقريب، العلمنة، العولمة، الإعلام، وأخيرًا الحوار.

وخلص الباحث إلى استعراض العلاقات بين الشرق والغرب في مختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، وعلى الرغم من أن تلك العلاقات والمحددات التي حكمتها خلال عدة قرون، حتى وقتنا الحاضر كانت في مجملها غير عادلة، وليست متكافئة، واتسمت بالروح الاستعلائية والعدائية والفوقية، وسوء الاستغلال، إلا أن نافذة من الأمل لتجسير هذه الفجوة، وتصحيح هذه الاختلالات، تبدو ممكنة إذا أحسن الطرفان عبر النوايا الحسنة.

ويؤكد المؤلف أن تجسير فجوة العلاقة بين الشرق والغرب يمكن أن يتم عبر آليات من وسائل الموصلات والاتصال الحديثة، للتقارب بين الشعوب، والأخذ بمبدأ الحوار بين الحضارات، وتصحيح الصور النمطية السيئة في وسائل الإعلام الغربية، ودعم الفعاليات الثقافية للجاليات والأقليات المسلمة في الغرب، والاستفادة من البعثات الطلابية، والملحقيات الثقافية للدول الإسلامية والعربية؛ من أجل تعميق التواصل والحوار بين الشرق والغرب



النحوي، عدنان علي رضا/ التجديد في الشعر بين الإبداع والتقليد والانحراف ـ الرياض: دار النحوي للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ٤١٢ص.

يقول المؤلف: «اختلطت اليوم المصطلحات، واختلطت دلالاتها، وزاد الأمر سوءًا ما طرحته الحداثة والعلمانيّة ومذاهبهما من مصطلحات ومواقف غذّاها الإعلام كثيرًا، وخاصة الإعلام الغربي بأشكاله المتعددة، ووسائله المتنوعة، حتى بدأ كأنه طوفان!. فظهرت مصطلحات: الأصالة، المعاصرة، التقليد، التجديد، والتطور، الحداثة، النمو، العلمانية، الاشتراكية، الديمقراطية، وغير ذلك من المصطلحات التي ظلّت «لا تحمل معنى محددًا، أو تحمل معاني مختلفة، كل معنى يمثل طائفة، يدور بينها الصراع.

وكان من أوسع أبواب الفتنة الدعوة التي لا تحمل أسسًا ولا قواعد، ولا مرجعًا تفيء إليه. إنها صورة من صور التفلُّت والدخول في تيهٍ يشتدُّ ظلامه».

يستعرض هذا الكتاب مسيرة الشعر في أوربا، والعصور التي مرت بها، والمذاهب الفكرية والأدبية التي تعاقبت، كما يستعرض مسيرة الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث، ثم يخرج بأسس واضحة من مقارنة المسيرتين توضّح

بصورة جليّة الفرق الواسع الكبير بين لغات أوربا ومذاهبها، واللغة العربية وخصائصها، وبين شعر هذه وشعر تلك بحيث لا يُعقل تطبيق قواعد الأدب الغربي وشعره على اللغة العربية وشعرها، ولا يجوز استخدام مصطلحات مراحل الشعر الأوربّي وتطبيقها على الشعرالعربيّ!

ويظلّ التقليد والتجديد والتأثر في التصوّر الإسلامي مختلفًا عمّا هو لدى الشعوب الأخرى وتصوراتها.

الشويعر، محمد بن سعد/ الشباب والتيارات المعاصرة ـ تبوك: النادي الأدبي بمنطقة تبوك، ١٤٢٤هـ ٢٧٠ص.

يلقي هذا الكتاب الضوء على قضية مهمة، وهي الشباب والتيارات المعاصرة، فالمؤلف يبرز أهم مسارب التيارات المعاصرة في الهجمة الشرسة على الإسلام والعداء للمسلمين، وقسر الأمور الإسلامية حتى توافق الأهواء، والتشكيك في التشريعات الإسلامية، وما تنطوي عليه أفكار المبشرين والمستشرقين، والحرب على اللغة العربية، وتسليط المغريات، والترغيب في الملذات، وإظهار شعارات مختلفة لتكون مجالات للترابط والتقارب مع الإسلام، وإيجاد هوة بالنفرة بين الشباب وقادتهم وعلمائهم، وتحريك جذور العقيدة والقبلية العقدية، وإحياء النزعات العرقية والطائفية، وتجسيم التيارات الفكرية ونشرها وتمجيد أصحابها، وتبني التيارات الأدبية بمذاهبها وأهدافها البعيدة عن منهج الإسلام باسم التقليد والمحاكات، وتثبيط همم الشباب، وتشكيكهم في مقدرة أمتهم الإسلامية على مسايرة الأمم الأخرى حضاريًا وعلميًا، والتمييز بين الفكر والعقيدة وما بينهما من التقاء وتباعد.



وفي المبحث الثاني يبين المؤلف كيفية تحصين الشباب من الغزو الفكري، ويناقش المبحث الثالث العلاقة بين الفكر والعقيدة، ويورد المؤلف بعض التوصيات التي يمكن أن تعين على تغيير مفاهيم الشباب، وتملأ فراغ أذهانهم، بما هو نافع لهم ولأمتهم، وإدراك ما يريده الأعداء بدينهم ووطنهم. ومن هذه التوصيات: التغلب على مشكلة الفراغ عند الشباب، والقضاء على البطالة، والاهتمام بالمراكز المتخصصة، وإيجاد مراكز تدريب على المهن المختلفة للهواة، وربط العلماء المعتبرين بالشباب، وربط الشباب بالنصوص الشرعية من القرآن والسنة، وتسخير وسائل الإعلام في التوعية وتفنيد الشبهات، وإنكار الإرهاب والغلو، ونشر الوعي بمخاطر الغزو الفكري.



دوريـــات



عالم الكتب (مج٢٦، ع ١، ٢، رجب شعبان/ رمضان شوال ١٤٢٥هـ) سبتمبر - أكتوبر/ نوفمبر ديسمبر٢٠٠٤م)

مجلة محكّمة متخصّصة في الكتاب وقضاياه، تصدر عن دار ثقيف للنشر والتأليف.

احتوى هذا العدد على دراسات ومراجعات وتعريف بالإصدارات الحديثة من الكتب والدوريات، بدأ العدد بدراسة لحاتم صالح الضامن عن تحقيق النص الشعري القديم تحقيقًا علميًا أساساً للقراءة الصحيحة، وتناول محمد حلمي عبدالسلام تعددية التصنيف النحوي عند ابن مالك، وكتب محمد بن حسن الزير عن توظيف الأدب في جهود أبي الحسن الندوي الدعوية، وقدم أحمد محمد المعتوق دراسة فنية لأمالي الشريف المرتضى، وتطرق محمد بن إبراهيم حسن محمد إلى الإنتاجية العلمية أداة لتقويم أداء الأعضاء الأكاديميين في مدارس وكليات المكتبات وعلم المعلومات، وترجم يوسف عيسى عبدالله وظيفة المكتبة في الجامعات الإفريقية لـ: هـ. ك رازوركا.

وفي مجال المراجعات كتب محمد عبدالرحمن شميلة الأهدل عن البخلاء للجاحظ، تحقيق يوسف الصميلي، والجامع للرسائل والاطاريح في الجامعات العراقية لعبدالرحمن حسن العارف، وكتب صادق العبادي عن كتاب «القند في ذكر علماء سمرقند» لنجم الدين النسفي: تحقيق يوسف عبدالهادي، وقدّم عباس عبدالحليم عباس عرضًا لكتاب «الكتاب في العالم الإسلامي»، تحرير: جورج عطية: ترجمة عبدالستار الحلوجي، واستعرض عبدالله محمد المنيف كتاب «الكتب العربية النادرة: دراسة في المفهوم والشكل لعلي بن سليمان الصوينع، وختم العدد بالإصدارات من دوريات وكتب، أعّدها نجيب محمد الخطيب.

العنوان: ٢٩٧٩٩ الرياض ١١٤٦٧

هاتف:٤٧٦٥٤٢٢/ ناسوخ:٤٧٦٣٤٣٨



المنار الجديد (س٧، رمضان ١٤٢٥هـ/ أكتوبر ٢٠٠٤م)

مقالات وأبحاث في فلسفة الدين، وشؤون الاجتماع والعمران، تصدر عن دار المنار الجديد للنشر، بالتعاون مع التجمع الإسلامي في أمريكا الشمالية، بدأ العدد بافتتاحية لجمال سلطان رئيس التحرير بعنوان «خصخصة الدولة وتأميم الدين»، وتضمن العدد دراسات لكل من: الدكتور عصام البشير عن الأطر العامة والمرتكزات الأساسية في بناء الحضارات، والأستاذ سمر العريفي عن صناعة الإرهاب في مناهج التعليم الإسرائيلية، والدكتور رجب اليومي حول التراث العلمي أقوى أسباب الوحدة الإسلامية.

وفي باب المقالات كتب عبود الزمر مقالاً عن الخطاب الإسلامي العالمي المعاصر، وتطرق زكريا سليمان بيومي إلى مفهوم الانتماء في الفكر الإسلامي، وجاء مقال محمد حماد بعنوان«الإسلام دين الحرية»، وقدّم الدكتور حمزة الفعر دراسة شرعية عن فوائد البنوك.

وتطرق سعد الحصين لحقوق الملكية الفكرية. وفي مراجعات الكتب، قدم طارق عبد الحليم عرضًا لكتاب «ضد كل الأعداء»، وجاءت قراءة أحمد عبدالرحمن بعنوان «الرهان على الجهالة والتزوير» لكتاب جابر عصفور «الرهان على المستقبل»، وكشف أحمد غانم الأهداف الحقيقية للجامعة الأمريكية من خلال استعراض كتاب «أهداف الجامعة الأمريكية في القاهرة: دراسة وثائقية منذ النشأة حتى ١٩٨٠م» لسهير البيلي.

وختم العدد بملف الحياة الثقافية: الذي شارك فيه الدكتور محمد بن حامد الأحمري بمقال عن مشاهداته لمعرض فرانكفورت الدولي للكتاب، ومقال أعدته هيئة التحرير بعنوان «استضعاف الدين واستنبات التطرف»، وختم العدد بالإصدارات التي أعدها أحمد فتح الله.

العنوان: ص ب: ٢٨ ـ البانوراما ـ الرمز البريدي ١١٨١١ ـ القاهرة

هاتف: ٤٨٥٢٨٢١ / ناسوخ: ٦٨٤٤١٨١



التقدم العلمي (ع٤٧، أكتوبر ٢٠٠٤م، رمضان ١٤٢٥هـ)

مجلة علمية ثقافية فصلية تصدر عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

حفل هذا العدد بموضوعات متنوعة، جاء أولها عن تغذية الطفل في شهر رمضان للدكتورة نوال القعود، وكتب عبدالله حسين جعفر عن الفيتامينات، وناقشت الدكتورة انتصار الشامي نظرية إنقاص الوزن وفقًا لفصيل الدم حقيقة أم خيال؟.

وحللت مجموعة من المتخصصين الغذاء الكيتوني وعلاج السمنة، وترجم الدكتور ناصر الكندري مقالاً عن التهابات الكبد الغامضة والواضحة، وأوضح الدكتور خليل رضا اليوسفي أهمية الكوليسترول وأنواعه، وتطرق الدكتور محمد عايض الشمالي إلى الجهاز الهضمي وتركيبه وعمله، وبيّن السيد بهيج الملط النظم الغذائية الخاطئة لإنقاص الوزن، وكتب الدكتور خليفة عبدالمقصود زايد عن الجديد في المنتجات الغذائية المعدلة وراثيًا، وتناول محمد عودة جمعة مضادات التأكسد. وجاء مقال الدكتورة نوال الحمد بعنوان «الإنسان وغذاؤه»، وعرض الدكتور كمال الدين البتانوني كتاب «أسرار التداوي بالعقّار بين العلم الحديث والعطّار» لكمال الدين حسن البتانوني، وتضمن العدد مقالاً عن داود الانطاكي أحد أعلام التراث العلمي، وصاحب كتاب «تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب والعجاب»

واحتوى العدد على مقابلات مع كل من: الدكتورة نوال الحمد مديرة إدارة التغذية والطعام في وزارة الصحة الكويتية، وحوار مع الدكتور غانم مهديا اختصاصي التغذية، والدكتورة انتصار الشامي اختصاصية تغذية.

العنوان: ص ب: ٢٥٢٦٣ ـ الرمز البريدي ١٣١١٣

الصفاة ـ الكويت: هاتف: ٢٤١٥٥١٠ / ناسوخ: ٢٤١٥٥٢٠





مقتطفات من الفكر التربوي عند إخوان الصفا

نجيب الجباري
طنجة - المغرب

حظيت حضارتنا الإسلامية باهتمام المفكرين والباحثين في مختلف جوانبها الفكرية والفلسفية والأدبية والعمرانية.. ما عدا جانبها التربوي، وكأن علماءنا ومفكرينا وفلاسفتنا ليس لديهم أي مجهود أو عطاء أو إسهام في الميدان التربوي.. كما أننا نلاحظ أن كثيرًا من الأطروحات والدراسات المعمقة والعليا قد اتخذت إنتاج أولئك المفكرين الفلسفية والتاريخية والسياسية والاجتماعية موضوعًا لها، في حين يُغض الطرف عن أفكارهم التربوية وآرائهم ونظرياتهم في الحقل التربوي والتعليمي؛ فقد نظمت على سبيل المثال بالمغرب ندوة ابن رشد عام ١٩٧١م وندوتان لابن خلدون عامي ١٩٦٢ و١٩٧٩م، كما نظمت لهذا الأخير ندوة بالجزائر عام ١٩٧١م، وأخرى بتونس عام ١٩٨٠م، وفي جميع هذه الندوات وغيرها لم يحظ الفكر التربوي لدى علمائنا الكبار بأي تدخل أو بحث أو اهتمام.

وإسهامًا مني في إلقاء بعض الضوء على إسهامات بعض المفكرين العرب والمسلمين في هذا الميدان، وقع اختياري على أحد المساهمين في إقامة صرح التربية الإسلامية، وفي بناء الفلسفة التربوية الإسلامية.. ألا وهم إخوان الصفا.

من هم إخوان الصفا؟

ظهر إخوان الصفا بصفتهم حركة فلسفية في ظرف سياسي وديني مضطرب إبان الخلافة العباسية التي بدأت قبضتها على الحكم تضعف، وتتلاشى سيطرتها على الأوضاع؛ مما أدى إلى ظهور دويلات الأمراء في الأطراف، وتقوية نفوذ رجال القصر.. وكانت هذه الجماعة تحظى بعطف بني بويه الذين عرفوا بأفكارهم التحررية، وحلوا محل الأتراك وقتًا طويلاً، وأصبح لهم النفوذ الفعلي في العاصمة بغداد في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وذلك بعد أن استنجد بهم الخليفة العباسي المستكفي، ولقّبهم بألقابهم التي عرفوا بها كعماد الدولة، وركن الدولة.. وغيرهما من الألقاب.

وقد اجتمعت هذه الحركة على كتابة مصنف في أنواع الحكمة الأولى، ورتبوها مقالات تصل إلى خمسين مقالة في الحكمة، وواحدة جامعة لأنواع المقالات مختصرة ومركزة. ويُعَرِّفهم الدكتور علي شلش في كتابه «نقاط في الأدب العربي» بكونهم جماعة فكرية دينية عقلانية فلسفية سرية هزت رسائلهم الأدب العربي، واهتم بها الباحثون المستشرقون اهتمامًا بالغًا، قضوا معظم حياتهم في الظل لا يعرف منهم إلا العدد القليل، أمثال أبي سليمان البستي المقدسي، وزيد بن عبدالله بن مسعود بن رفاعة، ومحمد بن أحمد النهرجوري.. إلخ؛ وتتأكد من كتابات إخوان الصفا أنهم يميلون ميلاً صريحًا إلى العلوية التي تتخذ التقية شعارًا لها، ويصرحون في كثير من المواضع بعدم تعصبهم لمذهب أو لدين دون آخر، إذ يؤكدون قبولهم لكل الأديان، ولكل المذاهب. لقد عمل إخوان الصفا على إتمام ما بدأه المعتزلة فيما يتعلق بمسألة التوفيق بين العلم والدين، وبين الشريعة الإسلامية والفلسفة اليونانية.

وتتحدد طبيعة عقيدتهم في كونها عقيدة منحرفة عن الإسلام؛ لكونهم اعتقدوا أن من يعرف الله حق معرفته بإمكانه أن يستغني عن الرسل، مخلّين بأهم ركن من أركان الإسلام ألا وهو إحدى الشهادتين (محمد رسول الله).

من آراء إخوان الصفا التربوية

أول ما نلاحظه على إخوان الصفا في المجال التربوي سبقهم

لفكرة «جان جاك روسو» الذي أكد في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي أن الطفل بعد سن الخامسة عشرة يبدأ في النضج الوجداني، وتظهر مشاعره وأحاسيسه العاطفية، ويصبح قادرًا على استيعاب الأحكام الخلقية، والمبادئ الروحية وتمثلها، وأن غاية التربية في هذه المرحلة هي تنمية البعد الوجداني لدى الطفل.. وذلك حينما حددوا لجماعة الإخوان الأبرار الرحماء سن ١٥ من العمر؛ ذلك لأن الطفل في هذه السن يتميز بصفاء النفس، وجودة القبول للعلوم والصنائع، وسرعة التصور، وحضور البديهة.. وقد قسم إخوان الصفا رسائلهم أربعة أقسام❖:

- الرسائل النفسانية العقلية.
- الرسائل الجسمانية الطبيعية.
- الرسائل الناموسية الإلهية والشرعية الدينية.
- الرسائل الرياضية التعليمية.

وفي هذه الرسائل الأخيرة اهتم إخوان الصفا بالتربية، وجعلوها أداة فعالة لنشر مذهبهم التعليمي، وأول ما قاموا به تمييزهم بين التربية والتعليم: فالتربية عندهم هي إبراز الاستعداد الشخصي لدى المتعلم، أما التعليم فيكمن في عملية نقل المعلومات والمعارف إلى المتعلم.

كما أنهم حددوا سن التمدرس في السنوات الأربع الأولى من عمر الطفل، أي بعد تمام السنة الشمسية الرابعة من عمر الصبي، وأعطوا أهمية بالغة للميول والاستعدادات الفردية في ميدان التعليم، وهنا يلتقون مع بعض علماء النفس المحدثين الذين يؤكدون ضرورة إعطاء حرية للمتعلم لاختيار ما يلائم طبيعته دون الضغط عليه، أو توجيهه إلى ما لا يرتاح إليه، ولا تتقبله طبيعته النفسية، وتكوينه العضوي، كما أنهم يُلحُّون على مبدأ التدرج في التعليم، أي السير من البسيط إلى المركب، ومن السهل إلى الصعب، ومن المحسوس إلى المعقول، ومن المعلوم إلى المجهول. يقولون بصدد هذا المبدأ «ينبغي لمن يريد النظر في مبادئ الموجودات ليعرفها على حقيقتها أن يقدم أولاً النظر في مبادئ الأمور المعقولة؛ لأن معرفة الأمور المحسوسة أقرب إلى فهم المبتدئين» (الرسائل ٥١). وكيفما كان الأمر فهي قاعدة تشبهها إلى حد كبير قاعدة «جون لوك» التي ترى أن الحواس هي أساس المعرفة، وأن المعرفة العقلية لا يمكنها أن تتم إلا عبر الحواس.

وتطرقوا أيضًا إلى تقنية السؤال بالنسبة إلى طالب العلم. والسؤال، كما هو معروف في علم التربية الحديث، يقوم بدور فعال في استنفار الفهم والتفكير، وشد انتباه المتعلمين جميعًا إلى معنى التعلم، ودفعهم إلى التنافس على طلب العلم. وما هي أوجهه، وعلى كم وجهًا يكون السؤال وما جواب كل سؤال؟ ورأوا أن للبيئة أو الوسط دورًا وأثرًا كبيرين في التربية من الناحية النفسية سابقين بذلك «جان جاك روسو» (١٧١٢ - ١٧٧٨م) الذي يقول: «كل شيء يأتي حسنًا وطيبًا من الخالق والطبيعة، ولكنه يبدأ في الفناء والدمار عندما تصل إليه يد الإنسان».

واشترطوا في طالب العلم جملة شروط يجب توافرها فيه، وهي: السؤال، والصمت، ثم الاستماع، ثم التفكير، ثم العمل بالعلم، ثم طلب الصدق من نفسه، وكثرة الذكر، ثم ترك الإعجاب بالنفس، وعدم ادّعاء معرفة الشيء إلا بعد التأكد منه.

تلكم كانت بعض اللمحات من الفكر التربوي عند إخوان الصفا التي توافق في معظمها ما تدعو إليه التربية الحديثة على لسان أعلامها الكبار كجون بياجي، وجون ديوي، وجان جاك روسو، وجون لوك، وهورت سبنسر، وغيرهم كثير.

الهوامش

❖ طبعت هذه الرسائل في ليبزغ عام ١٨٨٣م، وفي بومباي عام ١٨١٦م، ولندن عام ١٨٦١م، ومصر عام ١٨٨٩م، ودخلت هذه الرسائل إلى الأندلس بعد ١٠٠ عام من كتابتها على يد أبي الحكم عمرو بن عبدالرحمن الكرماني القرطبي، وحققها الدكتور بطرس البستاني.